السلام البريطاني

في الخليج العربي

١٨٩٩-١٩٤٧

د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم

مركز التاريخ العربي للنشر



السلام البريطاني في الخليج العربي

1899 – 1947م



اسم الكتـــاب: السلام البريطاني في الخليج العربي

تـــأليـــف: د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم

موضوع الكتاب: تاريخ

عدد الصفحات: 288 صفحة

عدد المـــلازم: 18 ملزمة

مقاس الكتـاب: 28 x 42

عدد الطبعـات: الطبعة الأولى

رقــم الإيـــداع:

الترقيم الدولي: ISBN:

التوزيع والنشر





6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201027013326 - 00201555566139
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com

جميع الحقوق محفوظة



د. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم

السلام البريطاني في الخليج العربي
1899 – 1947م

دراسة وثائقية

الطبعة الثانية 2016 م



ثبت المحويات

الإهداء

الإهداء

إلى فيض الحنان الذي لم تكدره عوادي الزمن

و نهر المحبة المتدفق الذي أستقينا منه حب الآخر مهما تباينت مشاعره و اختلفت مشاربه .

إلى أمي (رحمها الله)

أ. د. عبد العزيز عبد الغني حمدون

مقدمة الكتاب (الطبعة الأولى)

استطاعت بريطانيا في الفترة السابقة لعام 1899م أن تقيم الأمن البريطاني في الخليج العربي بسلسلة متلاحقة من التعهدات و الاتفاقات التي ربطت بها المنطقة و أقامت المتاريس عند مدخل الخليج العربي حتى لا تتعداه أية قوّة من القوى الزاحفة الى الهند الطامحة في النيل من درّة التاج البريطاني. ووصلت بريطانيا بهذا إلى تحقيق السلام البريطاني Pax Britanica الذي لم يعمر طويلا.

تتناول هذه الدراسة التحديات التي واجهت السلام البريطاني في الخليج العربي منذ بداية القرن العشرين المتمثلة في التطور في مجالات الصناعة و التقنيات وسبل الاتصالات والمواصلات ما تمخض عنه اختلاف في الطبيعة الوظيفية للخليج في الاستراتيجية الهندوبريطانية. لم يكن الخليج العربي قبل هذه الفترة يمثل في استراتيجية بريطانيا و هندها سوى أحد الأزقة البحرية المغلقة التي يمكن حراستها من مدخلها في الجنوب لئلا تصل إليه القوى الدولية الأخرى. عملت بريطانيا جاهدة علي فلق الخليج فلقتين فلقة فارسية واضحة و أخرى عربية واضحة، و بينهما نطاق من المياه والجزر اختصت به نفسها، و عاثت فيه و أخضعته لقوّتها تماما. كانت بريطانيا قوّة بحرية قامت استراتيجيتها العسكرية على عدم منازلة القوى الدولية الأخرى علي برّ شبه القارة الهندية فمدّت حدود الهند الأمنية للهند إلى مدخل الخليج العربي و جعلت منه حاجزا دون الهند يمكن لها أن تلاقي فيه القوى العسكرية الأخرى إذا دعت الضرورة، كما يمكن أن يقوم الخليج في فترات السلم بما يقوم به قرنا الاستشعار فيوجه الدبلوماسية البريطانية و يخدم سلام دروبها.

اضطرت بريطانيا في بدايه هذه الفترة للاهتمام بالكويت التي لم تكن قبل هذه الفترة تمثل في جيواستراتجيتها الأمنية شيئا مذكورا لأنها تقع في شمال الخليج المغلق على هيمنتها من جنوبه. غير

أن زحف الخطوط الحديدية في اتجاه الخليج العربي بما حمل من مؤثرات روسية أو ألمانية أو عثمانية و بما يمكن أن يحدثه من ربط الخليج العربي بالظهير العربي الذي لا تريد بريطانيا أن تخوض غمار سياسته، أرغم بريطانيا للخضوع للأمر الواقع.

أدركت بريطانيا أن ربط الخليج بظهيره سيحدث فجوة كبيرة في جسم السلام البريطاني فاضطرت إلى أن ترتفيه بالاهتمام بالكويت فعقدت مع شيخها عقدا أدخل الكويت في جيوستراتيجية بريطانيا في الخليج العربي، و أصبح موقع الكويت، حتى الحرب العالمية الأولى، أحد أعمدتها الكبيرة المميزة.

استطاعت فرنسا، مع تزايد المدّ الدولي في منطقة الخليج العربي، أن تجد لها موقعا في مسقط التي كانت حجرالزاوية في صرح السلام البريطاني الذي كان يطبق علي عنق الخليج العربي و لا يسمح لأي نفوذ مغاير أن يمرّ إلى داخله. عالجت الهند أمر فرنسا بالحسم اللازم بالرغم من شكوى لندن من تهور موظفى الهند الذين لا يرون في السلام البريطاني إلا الهند التي يخدمونها غير مدركين أن بريطانيا " تريد أن تصيد أسماكا أخرى " في بحار أخرى، و أن الوضع الدولي يتطلب المناورة و يقتضي المساومة. و لهذا عالجنا في الفصل الأول التحدي الطارئ علي السلام البريطاني من القوى الأوروبية التي تريد أن تبلغ أطراف الخليج العربي برّا أو بحرا، و نظرنا في مسألة بندر جصّه و مسألة العلم الفرنسي، كما عالجنا التحدّي الناجم عن خط حديد برلين بغداد بصرة، و تتبعنا أوجه النظر البريطانية و الهندوبريطانية.

عنى الفصل الثاني من هذا البحث بالمسألة المزمنة التي أقضّت مضجع السلام البريطاني، و هي مسألة الزحف الروسي تجاه الخليج العربي خاصة من خلال فارس، و محاولة روسيا بناء ميناء لها في تلك المنطقة أو اكتساب منطقة نفوذ علي ساحل الخليج يمكن أن تنقلب إلى قاعدة تهدد السلام البريطاني في تلك المنطقة، بل و تعصف به حين تجد إلى ذلك سبيلا، و تودي بكل خطوط الاتصال بين الهند و لندن عبر مكمنها في الخليج. و مرّة أخرى نتابع الخط التصالحي للندن و خط الهند المتشدد حتى نصل إلى تصريح لانسدون في عام 1903م الذي جاء منه أن أي امتداد دولي إلى الخليج العربي، و أي وجود دائم لأية قوّة أخرى يمثل تهديدا خطيرا للسلام البريطاني لن تسمح لندن به. و انتهينا إلى النظر في سياحة نائب الملك في الهند، اللورد كيرزن، في الخليج العربي حيث بدا في تلك الفترة و كأن السلام البريطاني قد حلّق إلى الذروة. و انتهينا في الفصل الثالث إلى تتبع

النشاط الدولي في الفترة 1904 – 1914م، و هي فترة استقرّ فيها السلام البريطاني تماما حتى كانت الحرب العالمية الأولى.

نظرنا في الفصل الرابع في المتغيرات التي أحدثتها بداية تلك الحرب و ما كان من لجوء بريطانيا إلى ابن سعود ليساعدها في الحفاظ علي السلام البريطاني و حمايته من مشكلات الحرب. كان التعامل مع ابن سعود أمرا ذهبت إليه بريطانيا مرغمة حيث كانت قبل هذا لا تتجاوب مع رغبته في اللقاء لكنها باتت مع هبوب رياح الحرب تطوي إليه المسافة طيّا لتصل إليه قبل أن تتلقفه القوى الأخرى. و يصل عبد العزيزبن سعود بذكاء إلى ضمان أمن دولته الناشئة بحرا حيث لم تكن للقوّة السعودية الفتية وقتها وجودا في البحر. و تفرغ عبد العزيز بهذا لتحقيق أهدافه في داخل الجزيرة العربية مستغلا الظروف البريطانية الطارئة، و لم يخسر شيئا للبريطانيين أو لغيرهم. لم يصبح عبد العزيز حليفا للبريطانيين، و لم يحارب في صفوفهم. كما نظرنا في هذا الفصل إلى الخطط الهندية لتهنيد العراق.

خرجت بريطانيا من الحرب العالمية الأولى دولة منتصرة لكنها منهكة، و كان لابد لها من أن تستجيب للمتغيرات الدولية و الاقليمية الاقتصادية منها و السياسية. و لهذا عرضنا في الفصل الخامس لامتيازات البترول و درسنا بدايات الاهتمام الأمريكي بالمنطقة العربية خاصة بعد ظهورها كقوّة عظمى و تخليها – إلا في تصريحات ادارتها – عن عزلتها المجيدة. و تتبعنا في الفصل السادس التوافق القلق بين الوجود السياسي و الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية و أثر ذلك في السلام البريطاني الذي ما كان ليستطيع أن يقوم بدوره إلا بالدعم الأمريكي مع أن الوجود الأمريكي في المنطقة يتلفه و يقضي عليه. و لهذا نظرنا في هذه المعادلة الصعبة التي زاد في صعوبتها دخول عناصر أخرى، ثم ما كان بعد هذا من انهيار السلام البريطاني أمام التسابق الاستثماري و السياسي للقوى الدولية الأخرى في الخليج العربي الذي لم يعد بعد استقلال الهند و تغير طبيعته الوظيفية، منطقة يمكن أن تخدم السلام البريطاني. و تتبعنا بعد هذا تعاظم الدور الأمريكي في المنطقة ووصلنا إلى أن المتغيرات الدولية قد غيرت في وضع بريطانيا التي ما عادت تستطيع أن تحمي الخليج العربي لكنها غدت واجهة للسلام الأمريكي الذي بدأ يرث السلام البريطاني تحت شعار سلام الطاقة للعالم الغربي.

أخيرا.

نرجو أن نكون قد وفقنا بهذه الدراسة المتواضعة في وضع بعض لبنات في صرح تاريخ الخليج العربي. و إذا لم يصادفنا التوفيق فعلى الآخرين من أمثالنا أن يجدّوا في طريقه، و ما التوفيق إلا من عند الله.

عبد العزيز عبد الغني حمدون

الرياض 1 محرم 1402

الفصل الأول
السلام البريطاني و المسائل الطارئة
1899 – 1904م

- بدء ولاية اللورد كيرزن
- مسألة الكويت
- مسألة بندر جصّة
- خط حديد برلين بغداد

السلام البريطاني و المسائل الطارئة
1899-1904م

اتسمت بداية هذه الفترة بازدياد النشاط الأوروبي في الخليج العربي و تعاظم حدّته سياسيا و اقتصاديا. و لما كان كيرزن من أبرز المهتمين في بريطانيا وقتها بتاريخ فارس و سياساتها و مخططات روسيا فيها، و بسياسة الهند و استراتيجية الطرق التي تقود إليها، لم تجد حكومة لندن مانعا من التجاوب مع رغبة كيرزن و ارساله مع نهاية القرن التاسع عشر – لمعالجة الوضع الجيواستراتيجي في الهند و دروبها. و مع مجيء كيرزن نائبا للملك في الهند بدأت فترة أخرى من السياسة الهندية النشطة بهدف مجابهة السياسات الدولية التي بدأت تهتم بالاستثمار في الخليج العربي و في ظهيره، تبلورت تلك السياسة أخيرا في تصريح لانسدون و زيارة اللورد كيرزن للخليج العربي في عام 1903 م.

اختلفت في هذه الفترة نظرة حكومة الهند و أسلوبها الذي تشير به لمعالجة التحديات عن نظرة و أسلوب لندن. كانت لندن ترى في حكومة الهند إدارة تابعة لها لا يتسع نطاق تخطيطها لأبعد من نطاق الهند و حدودها الأمنية و إنها، بهذا الوضع، لا تستطيع أن تعارض قرار لندن أو إلزامها بشيء ما، بالرغم من أن هذا لا ينفي أن لرأي حكومة الهند في تقرير تلك السياسات مكانته. كانت لندن تدرك طبيعة التشابك الامبريالي الذي لا تُفك عقده إلا بالمساومات التي قد تشمل تعديل وضع سياسي في منطقة ما في الأرض الأفرواسيوية لتحقيق أهداف بعينها في السياسة الدولية. اختلفت كلكتا مع لندن كثيرا في هذه الفترة، و كثيرا ما انجلى الخلاف عن إقرار سياسة كلكتا إما لانها كثيرا ما وضعت لندن أمام الأمر الواقع أو لاقتناع لندن، تحت اصرار اللورد كيرزن بنجاعة سياسته. أدى هذا الخلاف بين لندن و كلكتا إلى أن تنتهي فترة كيرزن في نيابة الملك لتقتنع حكومة الهند بعدها أن

دورها في الخليج العربي لا يعدو أن يكون دور الذي يقوم بالسياسة الادارية في الخليج العربي، و ينصح لندن، دون أن يناكف، في شؤون السياسة الخارجية ذات الاتصال بمنطقة الخليج العربي.

الخليج العربي في حقبة ولاية اللورد كيرزن للهند:

في العقد الأخير من القرن التاسع عشر كانت جيوش القوى الأوروبية تُعدّ بالملايين، و لم يكن لبريطانيا أكثر من نصف مليون جندي، و لهذا انبنت السياسة البريطانية على ما سُمى بالعزلة المجيدة. لم يكن لبريطانيا من مصالح في القارة الأوروبية، و لهذا فقد كان كل همّها هناك أن لا تبتلع أية قوّة أوروبية الأخرى فتخلّ بتوازن القوى في القارة.و كان بسمارك، المستشار الألماني (1871-1890م)، يدرك تماما موطن الخلل في الجسد البريطاني حتى انه صرّح بأن لبريطانيا " جيشا لو أرسلنا عليه الشرطة الألمانية لاعتقلته ". و بالرغم من هذا كانت بريطانيا أكبر الأمم في مسؤولياتها العالمية في تلك الحقبة. كان حوالي ربع سطح اليابسة بريطانيا، و لا يوجد هناك، فيما عدا في شبه القارة الهندية، أية منطقة من المناطق التي كانت تهيمن عليها بريطانيا، استعمارا أو نفوذا، منطقة تستطيع أن تدافع عن نفسها. صار علي تلك الجزيرة الصغيرة واجب حماية كل هذه الأرض التي كان منها مناطق لا يمكن الدفاع عنها بحرا (حدود كندا مع الولايات المتحدة الأمريكية و حدود الناتال و الكاب مثلا). أما في الخليج العربي فقد توجست بريطانيا، بصفة خاصة، من المدّ الروسي في آسيا الوسطى، و خشيت من أن تمتد روسيا حتى تجاورهم في الهند برّا، و الجوار البريً للقوى الكبرى هو شيء لم يألفه البريطانيون أبدا، و لم يكونوا يسمحون به. و لهذا كان سالسبري، رئيس الوزراء البريطاني (1885- 1892م) واقعيا حين قرّر في عام 1885م " بأن الأمة البريطانية إذا عجزت أن تأتي بالقماش الكافي لتفصيل الثوب الذي تريده، فعليها أن تُفصّل ثوبا في حدود ما هو متاح لها من قماش." و جاء هذا التصريح نتيجة لبخل الشعب البريطاني علي ميادين القتال بأبنائه، و لعزوفهم عن أداء الضريبة الحربية [1]

كانت لبريطانيا، في فترة اللورد كيرزن[2] التي قضاها عاملا في وزارة الخارجية البريطانية (1895 -1898م) مشكلاتها في النيجر، و في سودان وادي النيل، و مشكلاتها الناجمة عن الضعف الشديد الذي اعترى الدولة العثمانية التي باتت كافة القوى الدولية تتطلع لوراثتها، كما كان لها مشكلاتها مع دولة فارس، و حكومة سيام بالاضافة إلى مشكلات الإدارة في الهند البريطانية. و كان اللورد سالسبري يؤمن بالحلول السلمية عن طريق التفاوض كي يشتت جهود القوى الدولية ويبعد

بعضها عن البعض الآخر حتى لا تجتمع ضدّ بريطانيا. و حاول سالسبري أن يجعل التحالف الروسي الفرنسي مقصورا علي القارة الأوروبية و أن لا يمتدّ إلى أبعد من ذلك حتى لا يؤثر في المصالح البريطانية فيما وراء الحدود، و لهذا حرص سالسبري أن يحتفظ بعلاقة طيبة بكلا البلدين.

زار القيصر نيقولا لندن في عام 1896م و أنكر كل ما يُشاع من النوايا الروسية غير الطيبة تجاه الهندالبريطانية. و قد أثر أسلوب نيقولا في سالسبري في فترة رئاسته الثالثة للحكومة البريطانية (1895-1900م) و في الملكة فيكتوريا (1839-1901م) و شعر كل من رئيس الوزراء و الملكة بأنه لا داعي للقلق من الجانب الروسي. و لم يكن اللورد كيرزن يؤمن بما آمن به سالسبري، فقد كان يخشى من أن تفكر روسيا في الامتداد تجاه فارس و منطقة ما بين النهرين، وتلك منطقة مغلقة في الجيواستراتيجية البريطانية علي النفوذ البريطاني.و كان رأي سالسبري أنه من غير المتوقع أن تعترف روسيا بالنفوذ البريطاني في آسيا الصغرى و ما جاورها " إلا إذا لطّفنا هذه الصورة ". و أضاف سالسبري ردّا على المتشددين و أبرزهم كيرزن، نائب الملك في الهند، بأنهم يطلبون أكثر مما تستطيع روسيا أن تعترف لهم به.

أغتيل في صيف عام 1897م، في أحد ثغور الهند البريطانية، أحد الضباط السياسيين البريطانيين و ثلاثة من مرافقيه. و اشتعلت مناوشات الحدود التي غذّتها ثورة أحد المجاهدين المسلمين. و اتخذت هذه الثورة طرد البريطانيين في أسبوع من الهند شعارا لها. و تمكن البريطانيون من المجاهد المسلم و أهله، و سلّمت لهم منطقة خيبر، و انتهت بهذا ما عرف من المصادر البريطانية بثورة " الفقير المجنون ". و علّق كيرزن علي هذه الأحداث بأن مناطق الحدود لا تتطلب ضباط قيادة و عمليات حربية، إنما تتطلب موظفين ذوي خبرة بالمنطقة و لهم دراية باللغات الوطنية. و لم يفت سالسبري أن يلاحظ أن كيرزن يوجه الأنظار لخبرته. و في ذي القعدة 1314/ ابريل 1897 كتب كيرزن إلى سالسبري صراحة: " بأن الهند و مشكلات الحدود بها تتطلب الخبرة و الدراية، و أعتقد أن هناك عملا جليلا سينجز في الهند لو تولي أمرها نائب ملك أنكليزي، حدث السن، نشط، دؤوب في عمله يملك قدرة وثابة، و له المقدرة علي التطبيق [3]". و طلب كيرزن إلى سالسبري أن ينيط به نيابة الملك في الهند، و هو – كما يقول – لا ينطلق في هذا من رغبة شخصية، و لا من زهد في التعامل مع سالسبري في الخارجية " إنما إستجابة لرغبة في أن أكون في موقع أهّلتني له دراساتي السابقة، و التدريب الذي نلته ". و رد سالسبري علي خطاب كيرزن يشكره علي حماسه، و يوعده بالنظر في الأمر "الذي لو حدث فإن الهند ستغني بك، كما

ستفتقر إليك وزارة الخارجية ". ولما لم يتمخض الأمر عن شيء، قام كيرزن بعد سنة من تاريخه يُذكّر سالسبري به مرّة أخرى. قال كيرزن في رسالته: " ربما كانت هناك عقبات تقف في سبيل تعيني, منها مثلا أني لازلت حدثا صغير السن، و لكن الأمور الجسام تتطلب الحماس، ولأزكي نفسي فقد عملت في المسائل الخاصة بالمنطقة لمدة اثنتي عشرة سنة، درست فيها و تأملت. و أعتقد بأنه لو أتيحت لي الفرصة فإن لي ما يؤهلني للمنصب ".و أنكر كيرزن في خطابه أية تطلعات شخصية له: " فهو يريد فقط أن يفعل شيئا يؤمن به "، و استشار سالسبري الملكة التي لم تبد اعتراضها و لكنها أوصت بمواصفات معينة يجب أن تتوفر في من يشغل وظيفة نائب الملك في الهند في هذه الفترة، و طلبت الى سالسبري أن ينظر في ما إذا كان كيرزن يستوفي تلك الشروط. و نقل سالسبري رغبة كيرزن إلى جورج هملتون، وزير الهند، الذي لم ينكر علم كيرزن و خبرته لكنه أضاف أنه "لا يثق في حكمته ". و أخذ هملتون على كيرزن تشدده و تضخيمه لأمر روسيا في المنطقة. و أضاف هملتون أنه لا يرغب في كيرزن حاكما عاما للهند: " لكن إذا بات هذا أمرا مقرّرا، فعلى مجلس الوزراء أن يصيغ لكيرزن وثيقة تفصيلية لا يحيد عنها أبدا[4]". و أتهم هملتون كيرزن بأن مقدرته " استعراضية أكثر من كونها بناءة ".و ذكر هملتون أن مشكلات الهند هي مشكلات داخلية أكثر منها خارجية، و أكد أن تفكير كيرزن سينصب علي المخاطر الخارجية، و أن كيرزن إذا أخطأ في سعيه وراء السياسة الخارجية فإن خطأه سيثير تعقيدات هندوبريطانية و دولية مزعجة.[5]

بالرغم من هذا وافق سالسبري ووافقت الملكة علي قرار تعيين كيرزن حاكما عاما للهند. و بهذا أعلن عن تعيين كيرزن نائبا للملك في الهند في 23 ربيع الأول 1316/11 أغسطس 1898. ووجد تعيين كيرزن قبولا حتى من المعارضة، كما قرّظت التايمز اللندنية قدرات كيرزن، أما صحيفة نوفا فيميجا Novoe Viemja الروسية فقد أشارت إلى أنه بالرغم من أن ليس لروسيا أي رغبة في غزو الهند إلا أن ما سيقوم به كيرزن يجب أن ينظر إليه بعين الحذر [6].

تسلّم كيرزن في يوم 20 شعبان 1316/3 يناير 1899 رئاسة حكومة الهند من اللورد الجن. وواجهت نائب الملك المعين حديثا، حال وصوله مسألة الكويت و مسألة ميناء بندر حصة.

مسألة الكويت:

لم تكن الكويت قبل التعقيدات الدولية التي أحدثها تطوّر سبل الاتصال و التقنيات و التسابق الأوروبي للحيازة و الاستعمار شيئا مذكورا في سياسة حكومة الهند. و لا تذكر وثائق الهند عن الكويت قبل نهاية القرن التاسع عشر شيئا اللهم إلا أنها أصابت ازدهارا وقتيا في فترة احتلال فارس للبصرة في الفترة 1775 - 1779 م و ذلك حين خدمت نشاط شركة الهند في المنطقة في تلك الفترة. وورد ذكر الكويت في سجلات الشركة مرّة أخرى في عام 1793م حين اختلف ممثلو شركة الهند الشرقية مع سلطات البصرة و نقلوا نشاطهم الى الكويت لفترة وجيزة امتدت حتى عام 1795م [7]. و يجيء ذكر الكويت مرّة أخرى في عام 1809 م حين رغب شيخها في أن يساعد البريطانيين في حملتهم ضدّ القواسم [8]. وفي 2 ذي الحجة 1236/10 سبتمبر 1820 كتب الميجور كولبرك عن الكويت و جزيرة فليكا، كما حول الفنستون مستودع الشركة في عام 1821م إلى جزيرة فليكا لفترة وجيزة عاد بعدها المستودع للبصرة مرّة أخرى. و في عام 1829م كتب الميجور بركس Brucks فصلا عن الملاحة في الخليج العربي ورد فيه ذكر الكويت و شيوخها التابعين للسلطات التركية [9]. و في عام 1831م زار أحد الأوروبيين منطقة الكويت و ذكر أنها منطقة لم يستكشفها الأوروبيون بعد. و في عام 1854م جاء في تقرير كمبال، المقيم البريطاني في الخليج(1852- 1856م)، عن الكويت أنها تدين بالتبعية الأسمية للعثمانيين. و رأى المقيم أن رفع العلم العثماني على المركبات الكويتية هو مظهر من مظاهر الإحترام لدولة الخلافة، و أنهم يرفعون هذا العلم لما له من مكانة دولية إذ يصعب رفع علم كويتي لعدم وجود اعتراف دولي به. [10].

جاء في تقرير للمقيم لويس بيلي (1862-1873م)عن قبائل الخليج العربي ذكر الكويت. و تحدّث التقرير عن عائلة الشيخ " الذين يُعمَّرون طويلا ". و جاء في التقرير أن شيخ الكويت يعيش عند خور عبد الله علي مقربة من بندر الزبير. و لفت بيلي الانتباه إلى الكويت " للاعتبارات التي قد يأتي بها المستقبل لأنها ربما تصير يوما محطة لاحدى شركات البواخر أو محطة تزويد البخاريات بالفحم، أو محطة برق. فالتجارة التي بدأت تنشط مع تطوّر المواصلات بين الشرق و الغرب ربما تدفع بالكويت للصدارة، فالكويت كميناء، أجود من ميناء البصرة "، و أن مناخ الكويت كما يرى بيلي – أجود من مناخ البصرة " و أن هذا ينعكس في صحة القوم في المنطقة الذين يتزوج رجالها وهم في عمر الثمانين و لا يموتون عادة إلا معمرين تخطوا المائة و عشرين سنة ". و أفاد بيلي أن الكويت التي تُسمى أحيانا بالقرين، نتيجة لأن الساحل يشبه القرن الصغير شكلا ستصير إلى ازدهار قريب [11]، و كتب المقيم بيلي عن الكويت مرّة أخرى مشيرا إلى أن بحارتها أمهر بحارة الخليج، و أنها ميناء نشط يأتيه البدو شتاء يبدلون أصواف أغنامهم بالسلع المختلفة.

وصلت الكويت إلى الصداراة في سياسة الهند مع نهاية القرن التاسع عشر، و لعل من الطريف أن نذكر أن الإشارة التي أطلقت الإهتمام لم تأت من الهند، إنما من استانبول. كتب ستافردج [12] Stavridge، المستشار القانوني للسفارة البريطانية في استانبول، بأن المدعو مبارك الصباح قتل أخويه و أعتلى سُدة الحكم في الكويت، و إن ذلك تمّ بالإتفاق مع المقيم البريطاني في الخليج العربي. و خلص المستشار ستافردج إلى تقديم دراسة عن الكويت و مدى تبعيتها للحكومة العثمانية. جاء في هذا التقرير أن سلطات البصرة خاطبت عبد الله الصباح، شيخ الكويت في أوائل عام 1866م في شأن طرد كل الفرس المقيمين في الكويت، و طلبت إليه التنازل لعائلة الزبيرعن جزيرة بوبيان التي ظلت في الثلاثين سنة الأخيرة من أملاك عائلة الصباح. و طلب عبد الله الصباح من سلطات البصرة أن تمهله حتى يرسل لهم ابنه بعد انقضاء الشتاء ليفاوضهم في ما يهمهم. و يشير التقرير إلى ما كتبه كمبال، القنصل العام في بغداد، بتاريخ 2 ذي الحجة 1282/18 أبريل 1866 الذي جاء فيه أن شيخ الكويت شأنه شأن شيوخ المنطقة الآخرين " تابع للحكومة التركية، التي كانت تعتمد عليه في حماية شط العرب، تلك المهمة التي اندثرت بتولي الحكومة البريطانية زمام الأمن في الخليج العربي.

في خطاب آخر بتاريخ 16 مايو 1866 ذكر المقيم بأن الشيخ عبد الله الصباح وفد إلى بغداد لبحث قضيته ضدّ الزبير. و أن السلطات التركية استجابت لدعوته خوفا من أن يقوم بتنفيذ دعواه بالقوّة خاصة و أن " عبد الله، الأمير الوهابي، كان قد وعد عبد الله الصباح بالمساندة و المساعدة."[13]

جاء في14 صفر 1283/ 28 يونيو 1866 عن السلطات البريطانية في الخليج العربي أن شيخ الكويت يعارض إدراج الكويت ضمن قائمة الموانيء التي يمكن لشركة الهند البريطانية التجارية زيارتها. و يرد الشيخ معارضته بأنه لا يريد أن يزيد العثمانيون في نفوذهم في إمارته حين يحسّون المدّ البريطاني. و يؤكد الخطاب أن: " العرب يريدون علاقات أكثر قوّة مع البريطانيين إلا أن الظروف الراهنة تدفعهم في اتجاه آخر ". و خلص الخطاب إلى أنه بالرغم من أنه ليس لتركيا أن تعارض امتداد المصالح البريطانية المشروعة في الكويت إلا أن الأمر يقتضي أن تصرف الشركة النظر مؤقتا عن هذا الموضوع ," فالكويت غير البحرين، فهي دائما مقاطعة تركية. و لئن كانت السياسة العثمانية الضعيفة سابقا عاجزة عن وضع الكويت في اعتبارها فإن سياستها النشطة و

الإهتمام الحالي بالجزيرة العربية قد حدّ من حرية الكويت. إن معارضة شيخ الكويت لا تنبع عن خوف من البريطانيين بقدر ما هي نابعة من خشيتة من الأتراك".[14]

يرقد موضوع الكويت لفترة لا تهتم بها حكومة الهند حتى تأتي حملة مدحت باشا العثمانية إلى نجد في عام 1871م. و اتخذ شيخ الكويت لنفسه في تلك الحقبة علما عثمانيا، شأنه شأن المشايخ العرب الآخرين في المنطقة. و ساهم شيخ الكويت في الجهود العثمانية في الاحساء و قطر، فأنيط به لقب باشا من قبل الأتراك[15]، و أقطع أراضي شاسعة في مجاورة الفاو، و أقيم في الكويت مكتب جمرك عثماني لم يعمر – فيما يبدو- إلا قليلا.

كتب المقيم بالإنابة في بوشهر [16] المدعو بريدوكس Prideaux في حصره للقلاع العثمانية علي ساحل الخليج العربي في عام في 1876 م فذكر إنها تقع في الكويت و القطيف و القصير. و لعل في هذا تأكيد لما ذكره المقيم بيلي في عام 1863 م علي لسان صباح بن جابر من أن الكويت كانت دائما من توابع الدولة العثمانية، كما تؤكد هذا سفارة الشيخ عبد الله بن صباح بن جابر عن الدولة العثمانية ألى الشيخ قاسم ال ثاني، الشيخ التنفيذي في قطر، لاقناعه بقبول حامية عثمانية في بلاده. و في جماد الأول 1295 / مايو 1878 كان من رأي حكومة الهند أنهم يمكن أن يعترفوا بسلطة الباب العالي في المنطقة الممتدة من البصرة إلى العقير برّا على أن تقوم السلطات الهندوبريطانية في الخليج العربي بحماية أمن البحر و مطاردة " القراصنة " في المياه العثمانية المعترف لها بها، بل و علي الساحل ايضا وفق حدود معينة، و أن يناط أمر تقدير هذا الأمر بالمقيم في الخليج العربي. و وافقت الخارجية البريطانية بعد تردد على تبني هذه السياسة بعد أن عملت على تعديلها. و في رسالة مؤرخة في 11 المحرم 1296/5 يناير 1879 طلب سالسبري من السير ليارد Layard، السفير البريطاني في استانبول، أن يقترح للباب العالي عقد اتفاق بينه و بين الحكومة البريطانية يضمن للبحرية البريطانية ملاحقة القراصنة في حدود ثلاثة اميال من الساحل الممتد إلى الشمال من العديد. و أنهى ليارد بذلك لرئيس وزراء تركيا ووزير خارجيتها هذا الأمر، و بدأت مفاوضات لم تثمر عن اتفاق. و يتضمن هذا الأساس الذي انطلقت منه المفاوضات البريطانية اعترافا منها بأن الكويت عثمانية التبعية، شأنها في هذا شأن المناطق المجاورة لها.[17]

مع ازدياد التمدد الهندي في اتجاه أعالي الخليج العربي في ذي الحجة 1305/ أغسطس 1888 كان من رأي بعض السلطات الهندوبريطانية بأن يعترفوا للدولة العثمانية بأن حدودها تنتهي عند القطيف في الساحل، و أن لا يعترفوا لها بأي أرض إلى الجنوب من هذا الموقع. و رفضت

وزارة الخارجية البريطانية هذا الرأي لأنه لا يتناسب مع ما اعترفوا به مؤخرا للحكومة العثمانية من أن حدودهم تمتد إلى الجنوب من القطيف. و انحازت وزارة الخارجية البريطانية بعد مداولات مكثفة مع السلطات الهندوبريطانية إلى رأي حكومة ووزارة الهند، و أبلغت استانبول بأنهم يعترفون بالسيادةالعثمانية في المنطقة الممتدة من البصرة حتى القطيف. و أضاف السفير البريطاني لوزير الخارجية العثماني بأن حكومة لندن تري أن الأرض الواقعة إلى الجنوب من القطيف هي أرض حيازتها قابلة للتفاوض و التدوال للتوافق على السيادة فيها[18].

جاءت أخبارمن استانبول تفيد قتل مبارك لأخويه و تشير إلى أن ذلك كان بالاتفاق مع المقيم، كما أسلفنا القول. و يضيف خطاب استانبول أن الانقلاب الذي أحدثه مبارك كان من أجل الوصول إلى تكوين كمفدرالية عربية من تتشكل من الكويت و حائل آل رشيد و قطر آل ثاني، و ربما تنضم إليهم البحرين أيضا [19].

أنكر المقيم أي علم له بهذا الحدث بل أنه اتصل بالقنصل العثماني في بوشهر و عرف منه أن مبارك لم يزر بوشهر في مدى الثلاث أو الأربع سنوات الأخيرة. و نفي المقيم أي علم له بتشكيل هذه الكمفدرالية. و في رسالة للقنصل هويتي Whyte بتاريخ 18 شوال 1314/22 مارس 1897 نفى فيها صحة معلومات المستشار القانوني لسفارة لندن في استانبول. و كان رأي هويتي " أن مبارك طمع في ثروة أخيه الشيخ محمد، و أنه راح بعد أن ورثها يبددها في رشوة السلطات العثمانية في البصرة و في استانبول ليحصل على اعتراف تركي به قائم مقاما على الكويت، و يبدو أنه نجح في هذا". و نفي هويتي أي تفكير في تشكيل كمفدرالية عربية لدى مبارك أو غيره. [20]

زار الكابتن بيكر، بتوجيه من حكومة الهند، الكويت 22 المحرم 1318/3 يوليو 1896. و أكد بيكر، قائد الباخرة سفنكس، في تقريره صحة قتل مبارك لأخويه " و اعتلائه الحكم على جثتيهما منذ بضع شهور، و أن المقيم البريطاني لم يكترث لهذا الحدث ". و أضاف بيكر أن دخول سفنكس إلى الكويت سبّب لمبارك رعبا عظيما حتى أنه لم يرد الزيارة التي قام بها إليه، كما أنه لم يزر السفينة أبدا. و جاء في هذا التقرير " أن مبارك ينشر العلم التركي، و لما سألته عن معني هذا لم يحر جوابا ".

جاء اعتلاء مبارك للحكم في فترة كانت فيها السلطات الهندية تحقق في كيفية طلب التعويض عن بغله " مركب " هندية هي هاريباسا Haripasa قام بعض العرب بمهاجمتها في29

ربيع الأول 1313 /19 سبتمبر 1895 عند مدخل شط العرب. و كان رأي وزارة الهند أن تطالب كلا من الحكومتين العثمانية و الفارسية بالتعويض. و لم يكن هذا رأي قنصل البصرة الذي رأى أن شيخ الكويت و شيخ المحمرة هما المسؤولين عن الحادث و يمكنهما معاقبة الجناة[21]. و أحيل الموضوع إلى السفير البريطاني في استانبول ليدلي برأيه الذي جاء منه أن شيخ الكويت حاكم مستقل لا يتبع للعثمانيين إلا تبعية إسمية، و لكن يبدو كما جاء في تقرير بيكر، قائد السفينة سفنكس "، و كان مبارك قد وصل إلى الحكم عندئذ، أن للأتراك نفوذا كبيرا يمارسونه فعلا على شيخ الكويت، و أن العلم التركي يرفرف عليها. "و خلصت حكومة الهند بعد هذا إلى أن البتّ في أمر التعويض عن هذه السفينة الهندية متروك للمقيم[22], " فإذا رأى ان الكويت تتبع العثمانيين فعليه أن يستخلص التعويض منهم، و إذا اعتبر حاكم الكويت مستقلّا فيُكتفي بأن يوجه للشيخ إنذارا عنيفا، و أن يخطره بأن حكومة الهند ستضطره مستقبلا لتحمل تبعات جرم مواطنيه إذا لم ينهاهم عن مهاجمة سفن الرعايا البريطانيين [23] ". و يمكن على هذا أن نقول بأن حكومة الهند ووزاراتها في لندن كانت حتى هذا التاريخ (31/7/1897) لا تأبه بوضعية الكويت، و لا تخشى من خطر دولي يأتيهم من تلك الناحية، و لا تريد أن تدخل في تحديد أمر السيادة على الكويت. و كان رأي سالسبري بأن أمر الكويت لا يهم الحكومة البريطانية، فهم لا يبغون أن يتعاملوا معها ما لم يؤثر وضع الكويت في تنشيط " القرصنة " في الخليج العربي، أو يؤثر في وضع الشيوخ البحريين الذين تجمعهم ببريطانيا علاقات خاصة[24].

جاء في رسالة بتاريخ الأول من ربيع الأول 1315/ 31 يوليو 1897 من قنصل البصرة، أن السلطات العثمانية ترغب في فرض نفوذها على الكويت، و أن هناك طرّاد عثماني في انتظار تعليمات استانبول للإبحار إلى الكويت. كما جاء في تلك الرسالة أيضا بأن أحد ابناء الشيخ القتيل اتصل بقنصل البصرة البريطاني يطلب إليه مساندته ليحوز السلطة التي اغتصبت من والده، وعبر عن استعداد أن يضع الكويت بعد ذلك تحت الحماية البريطانية. و طلب القنصل من لندن موافاته بتعليماتها. [25]

رأي سالسبري أن لا دخل للحكومة بما يجري في الكويت، و أحال رأيه هذا لهملتون، وزير الهند، الذي أحاله بدوره إلى حكومة الهند بعد أن علّق عليه بأنه يوافق سالسبري الرأي، خاصة " و أننا و إن كنا لم نعترف " بالحماية " التركية علي الكويت إلا أني أشك في أننا نستطيع إنكارها ". و أبرقت حكومة الهند في 7 أغسطس 1897 بموافقتها سالسبري الرأي و عبّرت عن زهدها في مسألة

مساندة ورثة القتيل و إعلان الحماية علي الكويت، خاصة و أن حكومة الهند كانت قد رفضت طلبا مماثلا قدّمه مبارك في يوليو من العام ذاته يطلب فيه اسباغ الحماية البريطانية عليه. و في 17 أغسطس أخطرت السلطات البريطانية في البحرين الوكيل الذي أرسله يوسف الإبراهيم ليفاوض تلك السلطات نيابة عن أبناء الشيخ القتيل بأن حكومة الهند لن تسانده في حملته التي يزمع القيام بها ضدّ الكويت[26].

جاء في برقية من المقيم إلى سملا في 22 أغسطس أن مندوب يوسف الإبراهيم إلى السلطات البريطانية في البحرين عرض على جاسكن أن يقوم شيخ البحرين بالوساطة بينه و بين الشيخ مبارك. و استجابت سملا في 29 أغسطس وذكرت أنهم لا يجدون غضاضة في أن يقوم شيخ البحرين بالوساطة بين مبارك و يوسف. و في30ربيع الأول 1315/ 29 أغسطس 1897 أبرق المقيم إلى الهند بأن مباركا طلب إلى جاسكن فرض الحماية البريطانية على الكويت على ذات النمط المطبق في البحرين و مع الشيوخ المتصالحين. و أوصى المقيم بقبول الدعوة خاصة و أن مبارك، مع أنه يرفع العلم العثماني، إلا أنه " لا تربطه اتفاقيات مع استانبول ".

في الحقيقة فإننا نتفق مع صلاح العقاد حين يقول بأن استعمال كلمات مثل علاقة اتفاقيات، و عبارة سيادة في وصف العلاقة بين مبارك و بين الدولة العثمانية هو أمر لا يتسق مع المفهوم العثماني و لا الفكر العربي، فذلك مفهوم غربي بحت نما في ظل القوميات و تكوين الدول [27].

جاء في تقرير للمقيم البريطاني في الخليج العربي في 22 ديسمبر 1897 أن "احتلال" العثمانيين للكويت و تثبيت نفوذهم فيها سيصيب المصالح البريطانية في العربية التركية بأبلغ الخطر، و ذلك لأن العثمانيين سيسيطرون سيطرة كاملة على مدخل شط العرب. كما أشار خطاب المقيم إلى أن هناك إشاعات تشير بأن الروس بدأوا يرسلون عملاءهم إلى هذه المناطق، و أن روسيا ربما سعت كي يكون لها محطة تزودهم بالفحم عند أعالي الخليج العربي، و أنها تركز انتباهها على الكويت بصفة خاصة [28].و على الرغم من توجس حكومة الهند من هذا النبأ إلا أن الخارجية البريطانية لم تكن ترى أن الروس يريدون الكويت، أو أن العثمانيين يمكن أن يفرِّطوا للروس في الكويت. و جاء رأي الأدميرالية مُؤيِّدا لهذا الرأي كذلك، إذ جاء عندهم: " أنه بالرغم من أن الكويت ميناء طبيعي جيد إلا أنه لا يقود إلى أي مكان، و لا ندري لماذا يرغب الروس فيه ؟ "، إلا أن الأدميرالية لم تستبعد أن تكون الكويت ميناءا ممتازا لاستقبال سفن الروس في حالة أن تصل روسيا إلى سواحل الخليج العربي عن طريق فارس [29].

ازدادت مع أوائل 1898 الإشاعات التي تقول برغبة روسيا في أن يكون لها محطة فحم في الكويت، كما أشيع أن هنالك بعثة روسية وصلت إلى بغداد[30]. و أبرق المقيم مؤيدا نوعا من التدخل في هذا الشان. و طلبت وزارة الهند بعدئذ في 19 رمضان 1315/11 فبراير 1898 إلى وزارة الخارجية أن تنظر في تخفيف سياسة عدم التدخل التي تتبناها في هذا الصدد, و تجاهلت الخارجية الرد على وزارة الهند. و لم تهتم حكومة لندن بالموضوع حتى وصلها خطاب من السير أوكنور مؤرخ في الأول من نوفمبر 1898 مرفقا به تقرير قنصلي جاء منه أن والي البصرة قام، بموافقة الباب العالي، بتسمية لجنة مصالحة بين مبارك و أبناء أخيه القتيل. و انتهزت وزارة الهند هذه الفرصة و طلبت إلى الخارجية ردّا على الخطاب الذي سبق لهم أن ارسلوه في 11 فبراير 1898. و قام كيرزن الذي كان وقتها قد تعين نائبا للملك في الهند و لم يتسلم أعباء منصبه بعد، بإعداد مذكرة عن الوضع في المنطقة التي كان يهتم بأمرها منذ فترة، و يراسل مقيم الخليج العربي بشأنها حتى قبل أن يسمى حاكما عاما على الهند [31]. جاء في مذكرة كيرزن أن الخليج العربي يشهد في الفترة الأخيرة مدّا ألمانيا متزايدا، و أن ألمانيا قامت في نوفمبر 1897 بتعيين قنصل لها في بوشهر، و أن محاولاتها دائبة في أن تتمكن من تجارة البصرة. كما أشارت مذكرة كيرزن إلى المد العثماني كذلك و شجبت اتجاه الخارجية البريطانية القائل بأن الكويت تقع تحت السيادة العثمانية، وأنها يمكن أن تحتج بأن الحكومة البريطانية أعترفت سلفا بأن السيادةالعثمانية تمتد من البصرة إلى نقطة ما في وراء الكويت. و ذكر كيرزن أنه من " لغو الحديث " أن يُقال أن دولة ما لها الحق في أن تدّعي منطقة ساحلية بعينها لأن تلك الدولة تسيطر على نقطتين متباعدتين فيه. و أضاف كيرزن أنه يرى أن الاقرار بسلطة للعثمانيين أو لأية قوّة خارجية أخرى في الكويت ستعود بالخطر على المصالح البريطانية في الخليج العربي، و ستنطوي على العديد من المشكلات في المستقبل. و رأى كيرزن أن الحقوق العثمانية في في الكويت غير ثابتة، و أنهم يمكن أن تتنازلوا عن تلك الحقوق لأية قوّة دولية أخرى. و خلص كيرزن إلى الدعوة إلى فرض الحماية للكويت في أقرب وقت ممكن، خاصة و أن شيخها قد طلب، و كرّر الطلب معبًرا عن رغبته في أن يدخل في حماية بريطانية على النهج المطبق في البحرين[32].

كتبت وزارة الخارجية إلى وزارة الهند بأنها على استعداد لتبني رأي حكومة الهند بخصوص الكويت، و أن تساندها بالأساليب الدبلوماسية بشرط أن تعتبر حكومة الهند أن فرض الحماية على الكويت و ما يستتبعها هي مسؤوليتها وحدها، و أنه لن تنشأ عن هذا الوضع أية صعوبات خاصة بحكومة لندن، أو أية زيادة في عمليات الحراسة الشرطية البريطانية في الخليج

العربي. و أشارت الخارجية أنه لا يبدو أن هناك أي أساس للدعوة العثمانية بالسيادة أو النفوذ على هذه المنطقة. و قامت وزارة الهند بإرسال فحوى هذا الخطاب برقيا إلى حكومة الهند في 24 ديسمبر 1898 و طلبت منها إبداء الرأي فيه. و اتصلت الخارجية، من جهتها ايضا، بأكنور سفيرها في استانبول، تسأله الرأي.و استلمت وزارة الخارجية البريطانية رسالة من أكنور في13 شعبان 1316/ 27 ديسمبر 1898 مؤرخة في 22 ديسمبر، يطلب إليها الحذر من أن تسلك أي سلوك يمكن أن تعتبره الدولة العثمانية عدائيا أو موجها ضدّها "، و أن أمرا كهذا لن تؤدي نتائجه إلى تعقيدات مع تركيا فحسب إنما قد يتعدى الأمر فيشمل روسيا أيضا ". و أبرق فحوى هذا الخطاب إلى نائب الملك في الهند في 5 يناير1899 للعلم. و سبق وصول هذا الخطاب أن أبرقت وزارة الهند بناء على موافقة الخارجية في 4 يناير 1899 إلى نائب الملك في الهند [33] كي يحصل من الشيخ مبارك على تعهد بأن لا يتنازل أو يؤجر أو يرهن أو يهب أي جزء من أرضه لأية حكومة أجنبية أو لرعايا أية دولة أخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية.

جاء هذا التغيرالمفاجئ في موقف وزارة الخارجية استجابة لإشاعة وصلت إلى لندن فحواها أن وزير المالية الروسي قرّر أن يدعم مشروع كابنست. و على هذا أبرق كيرزن، نائب الملك الذي تسلم منصبه حديثا، في 8 ينايرإلى المقيم في الخليج كي يحصل على التعهد المذكور من مبارك. و في 17 يناير 1899 أبرقت حكومة لندن إلى الهند تخطرها بأن يصاغ اتفاق الكويت على الخطوط التي قام عليها اتفاق مسقط. و لما لم يكن كيرزن يؤمن " بحماية لا تقوم على أسس قوية، خاصة و أن تركيا يمكنها أن تتجاهل مثل هذا الاتفاق و تتجاوزه ". طالب أن يقوم إتفاق الكويت على فرض الحماية الرسمية عليها ". [34]

أبرق المقيم في الخليج العربي في 18 رمضان 1316/30 يناير 1899 بأنه التقى مبارك في 23 يناير و أبرم معه الإتفاق المطلوب، و ابلغ أنه زاد على ما طلبته الحكومة بأن أضاف إلى الإتفاق شرطا يمنع هذا الشيخ من استقبال أي ممثلين لأي قوى خارجية. و ذكر المقيم أن الشيخ يخشى من أن تقوم تركيا بمعاقبته و حرمانه من ريع بساتين التمر التي يملكها في العربية التركية[35]. و أنه (المقيم) رد عليه مؤكدا: " حسن نوايا الحكومة البريطانية فيما يخصّ مسألة بساتين التمور". كما وعد المقيم الشيخ مبارك باعطائه خمسة عشر الف روبية حال اعتماد الوثيقة، و ذلك بشرط أن يراعى أحكام ما جاء فيها. و أضاف المقيم أن أخوّة مبارك رفضوا اعتماد الوثيقة و ذلك لأن المقيم لم يتعهد تعهدا قاطعا بضمان وصول نتاج هذه بساتين التمور إلى الشيخ و أهله. و أبرق نائب الهند

إلى لندن يسأل في أمر قيام ميد بإعطاء الشيخ و إخوته كلمة قاطعة في مسألة ضمان تلك البساتين. و ردّت الخارجية في 14 فبراير على برقية النائب بموافقتها على أن يقوم ميد بالتعهد بأن " حكومة جلالتها ستبذل ما في وسعها لحماية أملاك الشيخ في الفاو "[36].

لم ترض حكومة لندن من ميد إدراجه النصّ الذي يُحرِّم على مبارك استضافة ممثلين لقوى أخرى، و لامت كيرزن على عدم التقيد بتعليماتها.و رأت لندن أن هذا النصّ قد يجر في عقابيله تبعات مُعقّدة. غير أن الخارجية البريطانية لم يكن أمامها إلا أن تُصدق على الإتفاق كما هو لأن " عدم التصديق عليه سينال من هيبة ميد وسط العرب، و ستتدنى جراء ذلك سمعة بريطانيا في الخليج العربي. و ربما أدي عدم اعتماده إلى ابتعاد مبارك عن السلطات الانجلوهندية في الخليج العربي." و لهذا رأت لندن أن يُستبقي هذا النصّ المعترض عليه في الإتفاق على أن يكون إعماله من شأن نائب الملك في الهند شخصيا خاصة فيما يتعلق" بالمسألة التركية "[37]. و دافع المقيم ميد بأن هذا النصّ قد أدرج كرغبة مبارك. و ذكر المقيم أن هذا النصّ موجود في اتفاق 22 ديسمبر 1880 المعقود مع شيخ البحرين. و أضاف ميد بأن تركيا لن تعترف بهذا النصّ، و لكن يمكن لمبارك أن يرفض تعيين وكيل عثماني في الكويت دون ذكر لما تعهد به للحكومة البريطانية[38].

أرسلت نسخة من هذا الاتفاق إلى الشيخ مبارك بعد التصديق عليها من لندن و معها اخطار لمبارك بأن مبلغ الألف و خمسمائة ربية سترسل في نهاية مايو إلى وكيله في البحرين و ذلك تجنبا للاشتباه، و يمكن له أن يسحبه من البحرين بوسيلته الخاصة. كما أبلغ المقيم ميد حكومة الهند " أن هذا المبلغ سيرصد تحت بند (مصروفات سرية) على أن يخطر مراقب الخزينة الهندية بأن هذا المبلغ قد صُرف بناء على تعليمات حكومة الهند ". [39]

على الرغم من عقد هذا الاتفاق بين الشيخ مبارك الصباح و المقيم البريطاني في الخليج في سرِّية تامة إلا أن العثمانيين تيقنوا من أن هناك شيئا ما بين مبارك و المقيم. لم تكن الكويت منطقة يسهل على الحكومة العثمانية التفريط فيها إذ كانت في ذلك الوقت الميناء الطبيعي لمنطقة جبل شمّر، كما كان بحارتها من أمهر البحارة، و تجارها من أهل الثقة. يضاف إلى ذلك أن موقع الكويت من شط العرب يجعل تمكن أية قوّة غير صديقة من تلك المنطقة أمرا من شأنه أن يهدد السلطة العثمانية فيما بين النهرين تهديدا خطيرا [40]

كان كيرزن يعي هذا جيدا و لهذا أبرق في 3 فبراير 1899 يسأل هل يسمح لسلطاته في الخليج بأن تمنع أي هجوم عسكري عثماني قد يقع على الكويت. و أجيب كيرزن إلى طلبه و خولوه استعمال قطع الأسطول البريطاني في مياه الخليج العربي للوقوف في وجه أي هجوم عثماني. و أرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى الأدميرالية بنسخة من الاتفاق المعقود مع مبارك، و كذلك الخطاب الذي خُوّل كيرزن بموجبه استعمال القطع الأسطولية لرد أي هجوم عثماني على الكويت و أبرقت الأدميرالية إلى القائد الأعلى للأسطول في الهند الشرقية لتنفيذ هذا القرار[41].

حين أعيد تعيين حمدي باشا واليا على البصرة في مايو 1899 تبنى موضوع أبناء شيخ الكويت القتيل خاصة و أن ثقة العثمانيين في مبارك كانت قد تضعضعت منذ لقاء مبارك بالمقيم البريطاني في يناير. و يرى المقيم أن هذا الوالي ربما يتذرع بتحقيق العدالة ليوقع بمبارك. و كان المقيم حاسما حين أخطر الهند في أوائل مايو 1899 بأنه من المستحيل عليهم التفريط في الكويت للدولة العثمانية أو لأية قوّة أخرى " فالكويت ربما تصبح نهاية خط حديدي يقود إلى الهند ". و رأى المقيم أن ترابط سفينة حربية بريطانية عند الكويت لتمنع عنها التحرش العثماني. كما أقترح المقيم تعيين وكيل أنباء سرّي في الكويت. و انساق المقيم في حماسه لينكر وجود أية صلة لمبارك بالعثمانية، وأنكر أن تكون رتبة القائم مقاميةالعثمانية قد انيطت بالشيخ مبارك. شجب المقيم ما سبق أن ذكره راتسلاو من أن مباركا يعمل قائم مقاما للعثمانيين و احتجّ بأن راتسلاو لم يفصح عن مصدره. كما أفاد المقيم أنه أرسل للقنصل راتسلاو في البصرة يستفسره ويطلب إليه أن يتحرّى الحقيقة كاملة.

أبرق راتسلاو في ردّه على المقيم ميد بأن مباركا سبق أن عينُ قائم مقاما منذ أوائل ديسمبر 1897 فقد وصلت إلى محسن باشا، نائب الوالي في البصرة، برقية في ذلك الوقت تفيد بأنه قد صدرت إرادة سلطانية تفيد بذلك. و أضاف راتسلاو أن إسم مبارك يرد في الصحيفة الرسمية لولاية البصرة تحت رتبة قائم مقام، و أنه يتسلم مائة وخمسين كارة تمرا راتبا سنويا من العثمانيين. وأَضاف راتسلاو أن رتبة مبارك قد رفّعت بعد ولاية حمدي باشا الأولى إلى رتبة الميرميدان باشا. و أكد راتسلاو هذه المعلومات للمقيم مرّة أخرى في أوائل يوليو 1899 حين أكّد أن مبارك معين من قبل العثمانيين قائم مقاما على الكويت، و أنه يتقاضى ألف و ثمانمائة و ستة قروش (1806) من الحكومة العثمانية راتبا شهريا بعد أن استبدلت الدولة الرواتب العينية بالرواتب النقدية[42].

يرد جملة من المؤرخين اتفاق السلطات الخليج الهندو بريطانية مع الشيخ مبارك الصباح إلى محاولة البريطانيين وقف المدّ الروسي، و يردها آخرون لوقف المدّ الألماني، و يذهب البعض إلى أنها كانت لمواجهة المدّ الفرنسي المتحد مع الروسي لكننا نرى في أن هذه الاتفاقية كانت موجهة أساسا ضدّ الدولة العثمانية [43] كي لا تثبت لنفسها في الكويت. و لا ينفي هذا كله حقيقة ثابتة و هي أن سياسة حكومة الهند كانت تقف عند منافذ الخليج العربي تسدّها بحزم و عزم أمام القوى الأخرى حتى لا تشاركها النفوذ في مياه الخليج. كانت الهند تركز على أسفل الخليج حين كانت القوى الأخرى لا تستطيع الوصول إليه إلا بحرا. أما و قد وصلت مشاريع الخطوط الحديدية إلى الأطراف العليا من الخليج العربي فلا أقل من أن تتصدى حكومة الهند لتقبض على تلك الأطراف و تسدها أيضا.و لعلنا نجد في تعليق كتبه جودلي في 6 يناير 1899 ترجمة صادقة لسياسة وزارة الهند التي استقتها من حكومتها في شبه القارة الهندية، كتب جودلي " إننا لا نريد حيازة الكويت لكننا لا نريدها أن تؤول إلى أية قوّة أخرى " [44]. و قد أشار جمال زكريا قاسم لهذا المعنى حين كتب " الواقع أن أهم المبادئ التي استمر كيرزن يدين بها طول حياته هى أن سلامة الهند تكمن في سيطرة بريطانيا علي الخليج العربي. وأن كيرزن لم يكن يوجه هذه السياسة ضدّ روسيا فحسب إنما ضدّ أية دولة تعمل على التأثير في قوّة النفوذ البريطاني في الخليج."[45]. و يمكن أن نضيف بأن هذه المبادئ لم تكن تحكم كيرزن وحده إنما حكمت كيرزن و من سبقه، و من جاء بعده، حتى تغيرت الإستراتيجية البريطانية بظهور الطيران في المنطقة و بالاستثنمارات البترولية و تغيّر ميزان القوى العالمي مع نهاية حكومة الهند بعد استقلال شبه القارة الهندية.

كان على كيرزن أن يعالج – حال وصوله إلى الهند – أمر الكويت و النفوذ المتوقع فيها, كما كان عليه أن يعالج أمر مسقط كذلك، فيما عرف بمسألة بندر جصّة أولا، ثم مسألة العلم الفرنسي بعد هذا، و ذلك قبل أن يدخل كيرزن في صراع مع حكومة لندن بشأن خط حديد برلين بغداد بصرة.

مسألة بندر جصّة:

تمكن أوتافي من أن يكسب موقعا عند سلطان مسقط بعد عام 1895م, كما قامت شركة المساجيري البحرية في هذا الوقت بالعمل في التجارة مع الخليج العربي. و وصلت السفينة ألفي Alphee إلى بوشهر في يناير 1896, و كان رأي المقيم البريطاني في الخليج العربي أن هذا الخط البحري استوجبته الظروف السياسية أكثر منه الأعتبارات التجارية. و أشار المقيم بأن شركة

المساجيري التي تعمل أساسا بين كراتشي و مرسيليا لا ترغب في فتح خط لها في الخليج العربي غير أن الحكومة الفرنسية أجزلت لها المنحة، و لهذا وافقت الشركة أن تقوم برحلة شهرية إلى الخليج العربي[46]. ويخطر المقيم أن خدمات هذه الشركة لم تستمر لفترة طويلة في العمل في الخليج حيث توقفت الخدمات الشهرية في مارس 1897 حين أنتشر الطاعون في المنطقة. و يضيف المقيم أن تنظيم هذه الشركة في الخليج العربي كان ضعيفا خاصة و ان الحجم الكُلي للتجارة التى لا تسيطر عليها بريطانيا في الخليج العربي كان ضئيلا، أما وكلاء هذه الشركة في الخليج فكانوا غير قادرين أو ربما غير راغبين في كسب التجار إلى صف الفرنسيين. غير أن سلطان مسقط، كما وصفه الوكيل فيجان: " كان عنيدا و يكره مخططاتنا من كل قلبه، و لا يثق فيها "، و على هذا علّق أحد موظفى الإدارة الخارجية بحكومة الهند " ماذا يمنع بعد هذا أية شركة فرنسية من شراء المزرعة ""؟!"[47].

استمرت القنصلية الفرنسية تستثمر غباء فيجان، الوكيل البريطاني في مسقط، و زادت بذلك في بغض السلطان للبريطانيين. زارت مسقط في هذه الفترة بعض السفن الفرنسية الحربية و أعلن السلطان في مسقط أن بلده تجمعها مع فرنسا أوثق الصلات. و في6 رجب 1316/ 20 نوفمبر 1898 أوردت الصحيفة الفرنسية Journal des debates في عددها الصادر في ذلك اليوم بأن فرنسا قد حازت على مخزن للفحم في بندر جصّة. و حين سألت لندن باريس أنكرت الأخيرة معرفتها بهذا بالأمر.و أبرقت لندن الهند التي أبرقت وكيلها فيجان في مسقط كي يحقق في الأمر مع السلطان و يحذّره بأن مثل هذا الفعل يجافي ارتباطاته ويخرق تعهداته. و لم تر لندن ترك المسألة لتعاجها حكومة الهند و رأت أن تتولى بنفسها تسوية المسألة مع باريس بالوسائل الدبلوماسية. و اتهمت لندن فيجان " بعدم معرفته للخبر إلا عن طريقها، و لهذا فهو لن يصلح لمعالجته ". و مع تولي كيرزن نيابة الملك في الهند تغير اتجاه لندن فأبرقت إلى حكومة الهند تفوضها اتخاذ الخطوات المؤثرة لمعالجة هذا الأمرمع مراعاه إعلان عام 1862م.

شكر كيرزن لسالسبري تفويضه البتّ في هذه المسالة و أفاد أنه سيكلف ميد، المقيم في الخليج، للنظر في هذا الموضوع و معالجته بما يتفق. و في هذه الأثناء و قبل أن يصل المقيم ميد إلى مسقط، أمر الوكيل فيجان السفينة سفنكس التي كانت في تلك النواحي أن تبحر إلى بندر جصّة، و أن تنشر العلم البريطاني هناك في حالة ظهور أي سفينة حربية لفرنسا أو وصول أي قنصل من قناصلها في المنطقة لكنه حذّر سفنكس من اللجوء إلى القوّة. و أجاب السلطان في 18 يناير على

سؤال فيجان بخصوص محطة الفحم الفرنسية بعد طول تنصل بأن لفرنسا حقّ مماثل لبريطانيا في انشاء هذا المخزن. " و أن بريطانيا قد شادت مخزنها في عام 1877م فلماذا تُمنع فرنسا ؟ " و طلب السلطان إلى فيجان أن تعمل بريطانيا ببحث الموضوع مع فرنسا. و مرّة أخرى لم ترض لندن تصرف فيجان دون حصوله على تعليمات صريحة من الهند.

إنتقلت المسألة إلى أورقة مجلس الوزراء البريطاني لبحثها، و رأى مجلس الوزراء أن اعلان عام 1862م و تعهد عام 1891م لا يلتقيان. و قرّر المجلس أن تعالج الهند هذا الموضوع على أن لا تثير أي مواجهة مع الفرنسيين. كما نظر المجلس في رأي كيرزن في قطع منحة زنجبار عن السلطان السيد فيصل, و قرّر أن هذا الأمر قد ينطوي على مسائل خطيرة لأنه ربما يرمي بفيصل في أحضان الفرنسيين بشكل تام. و كان رأي كيرزن في رده على هذا الرفض بأن " العمل العنيف هو أمر لازم، و ذلك لدفع هذا الوضع غير المحتمل إلى التحسن السريع أو التردي المريع ". و لم يوافق هملتون، وزير الهند، على القيام بهذه المغامرة لكنه وافق على إنذار فيصل، الإجراء الذي اقترحه كيرزن. كما وافق هملتون ايضا على التلويح بالتهديد بسحب الإعانات المادية و المعنوية التي يرتكز عليها حكم فيصل. و أرسلت صيغة التهديد إلى المقيم ميد الذي وجد أنه رخوّ العبارة، فكتب إلى كيرزن يفيد بأنه سيرمي السلطان بتهديدات أشدّ قسوة مما ورد غي التعليمات.و في هذا الوقت أبرقت لندن إلى حكومة الهند تطلب إليها ان تنظر في اتفاق عام 1844م المعقود بين مسقط و باريس، و الذي يبيح حيازة الشركات و الأفراد لأراض في مسقط، و أن عليها أن لا تتجاوز منطوقه. و وجهت لندن حكومة الهند أن تتحرى في ما إذا كان اتفاق حيازة أرض في بندر جصّة قد عقد مع الحكومة الفرنسية أم مع مواطنيها أو رعاياها، فهناك فرق بين الأمرين.

جاء رد كيرزن ليفيد بأن تجارة فرنسا مع مسقط تكاد تكون شيئا غير مذكور، و أن السفن التجارية الفرنسية لم تعرف مسقط بعد أو تتقاطر عليها بصورة تجيز للفرنسيين تملك مخزن للفحم هنالك. و يرى كيرزن، انطلاقا من هذا، أن حيازة هذا المخزن لفرنسا تنطوي على مخطط كبير يعمل على أن يحلّ النفوذ الفرنسي مكان النفوذ البريطاني في تلك المنطقة[48]. أما المقيم ميد فتمسك بالرأي الذي أعلنه في نوفمبر 1898 بأن هذا الساحل يجب أن يكون تحت الحماية البريطانية بصفة مباشرة، أما إذا وقفت عقبات دون الاستيلاء عليه فلا أقلّ من ممارسة النفوذ فيه بشكل صارم. أما ترك هذا الساحل لأية قوّة أوروبية أخرى فذلك ما لا يمكن السماح به لأن بريطانيا في رأي ميد " لا تريد أن تتخلى عن موقفها الذي تحتله الآن في هذه المنطقة من الجزيرة العربية ". و رأى ميد كذلك

أن حيازة أي دولة أخرى لأرض في مسقط، فوق أنها تمثل خطورة استراتيجية للوضع البريطاني، فإنها ستودي بالسمعة البريطانية، ليس في الخليج العربي فحسب بل في الهند ذاتها. و رأى ميد أن عملية تأجير بندر جصّة لفرنسا أصبحت خبرا مشاعا في مسقط، و عليه فإن إعلان إلغاء التأجير يجب أن يتخذ شكلا علنيا كذلك[49]. و لم توافق لندن ميد في طلبه الداعي إلى إلغاء عقد الايجار و طلبت إليه التزام تعليماتها و التحرك في هذا الإطار. و أشارت لندن على كيرزن بأنه " يدرك بلا شك ضرورة أن يكون مُمثلا في مسقط، و في الخليج العربي ككل تمثيلا جيدا في الوقت الراهن ".

قام ميد بتهديد السلطان فيصل و طلب إليه إلغاء عقد الايجار الذي عقده مع فرنسا. و قدّم ميد لفيصل عدّة طلبات أخرى منها طرد كاتبه عبد العزيز من خدمته لتعامله مع اوتافي القنصل الفرنسي, و اعلان إلغاء الإيجار في دربار. و رفض السلطان الاستجابة بادئ الأمر لكنه سرعان ما استكان حين صوبت اكلبس Eclipse مدافعها تجاه قلاع مسقط فاضطر أن يصعد إلى السفينة عند انتهاء فترة الانذار المقدم له و يلغي في 5 شوال 1316/16 فبراير 1899 هذا العقد. و أطلقت اكلبس إحدى و عشرين طلقة وداعا للسلطان و هو يترجل عن ظهرها [50] لتعلن قذائفها عن تفوق النفوذ البريطاني. و حصلت سلطات الهند البريطانية على صيغة العقد الذي أبرمه فيصل للحكومة الفرنسية و الذي جاء فيه: " ليكن معلوما لدى الجميع بأننا منحنا للحكومة الفرنسية قطعة أرض على الساحل على خور من "خيران" مسقط يقع على مسافة من أماكن السكنى في البلدة حتى لا يلحق الضرر بالسكان. و ستقيم الحكومة الفرنسية على هذه الأرض مخزنا للفحم.و في هذا الإجراء دليل على مراعاتنا و احترامنا للحكومة الفرنسية و رمزا لعلاقات الصداقة و المحبة [51]" تحرر بتاريخ 7 مارس 1898.

أثار حكومة لندن تصرف مقيم الخليج العربي الذي تأثر بآراء كيرزن، أو ربما الذي تأثر كيرزن بآرائه، فقد كان كل من الرجلين ينادي بأن يكون النفوذ البريطاني في مسقط غير منازع. يقول كيرزن أنه غير قادر على فهم هذا الاهتمام الفرنسي المفاجئ بالخليج العربي." لقد بتنا نسمع عن المؤامرات الفرنسية في الكويت، و في مسقط، و تلك سياسة صيغت خصيصا لمساندة السياسة الروسية في الخليج العربي، و للنيل من النفوذ البريطاني فيه[52].

قابل كابون السفير الفرنسي في لندن، في 15 فبراير سالسبري و أبلغه بأن حكومته قامت بتأجير مخزن فحم من مسقط، و أن لحكومته كل الحقّ في ذلك، و احتج السفير بأنه لا يفهم دواعي الاعتراض البريطاني. و أجابه سالسبري بأن " الأمر الآن في يد حكومة الهند و هو لا يعرف

بالضبط ما تمّ بشأنه، و أنه سيستفسر الأمر و يخطره بما تمّ في هذا الخصوص "[53]. و أضاف سالسبري بأنه يرى أن فرنسا ربما تجاوزت بعملها هذا نصوص إعلان عام 1862م.

و حين تم إلغاء الإيجار في 16 فبراير التقى سالسبري بعدئذ كابون ليدافع عما فعله ميد، مقيم الخليج العربي. وصف سالسبري ما قام به المقيم بأنه " صحيح من حيث المبدأ، لكنه من حيث التنفيذ أمر يؤسف له ". و أعتبر كابون أن في ما ذكره سالسبري اعتذارا كافيا عما حدث ونقل ذلك إلى حكومته. و لم يوافق كيرزن نائب الملم في الهند سالسبري وزير الخارجية، كما لم يوافق كيرزن أيضا وزارة الهند في أن ما قام به ميد " هو أمر يؤسف له من حيث التنفيذ "، و قال أن هذه القضية " في نظر وزارة الخارجية هي أمر يعالج بالنظر في الاتفاقيات، أما بالنسبة لحكومة الهند فهي مسألة حياة أو موت ". و ذكر كيرزن أنه لم يفهم الرأى الذي كتب به جودلي من أن مخزن فحم فرنسي في تلك المنطقة يمكن أن يكون رهينة يستردها البريطانيون إذا قامت حرب بين الجانبين، لأن الرهينة ربما تصبح في ذلك الوقت شيئا أضخم من أن تلتقمه أفواه البريطانيين [54].و رأي كيرزن بأن السياسة الفرانكوروسية في الخليج العربي تسعى بصورة دائبة و منسقة لابتلاع المصالح البريطانية. و أضاف كيرزن أنه ليس لروسيا أي رعايا في تلك المنطقة، و لا أية سفينة في تلك المياه، و أن مصالح فرنسا في تلك المناطق نكرة، و أن أي مخزن فحم تطلبه فرنسا في أية مفاوضات فإنها لا تريده لذاته لكنها تريده مسوغا لفرض السيطرة على مسقط [55]، أما سالسبري الذي تقوم سياسته على مهادنة فرنسا فقد ردّ على كيرزن مذكرا إياه" بأننا في لندن نريد أن نصيد أسماكا أخرى في بحار أخرى ". و أن مجلس الوزراء الفرنسي " لم يصدق بعد على التسوية في وادي النيل. و إذا حاول الفرنسيون أن يزجّوا بنا في مشاكل، كما تعتقد، فإن هناك فرصا أخرى تتيح لهم القيام بذلك يمكن لهم أن ينتهزوها أكثر من إقامتهم مجرد محطة فحم في الخليج. غير اننا في الخليج (العربي) نتعامل من خلال مجموعة إداريين هندوبريطانيين متهورة. ترى هل يمكن لها أن تقيس مدى ما يمكن أن يسببه تهورهم لنا من تعقيدات ؟ إن الامبراطورية البريطانية تتطلب ادارة كفئة بعيدة عن النظر للذات. لقد كان ميد ينفخ في ريشه في الخليج تياها مزهّوا و كأنى به ينتف ريشنا ". و انتقد سالسبري رأي كيرزن من أن روسيا تستخدم فرنسا لتلتقط لها بعضا من " أبو فروة " من وراء الأبواب البريطانية " لاننا إذا وعينا سكوت روسيا في مسألة فاشودة، لوعينا جيدا أن التحالف الفرنسي الروسي لا معنى له إلا أنه ضدّ ألمانيا ". و أشار سالسبري أن آمال روسيا كبيرة، و أهدافها متعددة، و لن تسعى فرنسا إلى تحقيق الآمال الروسية أو خدمة تلك الأهداف، ففرنسا تدرك أنها لن تربح شيئا حين تكون أداة لتنفيذ تلك الأهداف. " و على هذا يجب أن لا تثير بريطانيا

عداء فرنسا بسوء التصرفات التي يقوم بها بعض صغار الموظفين البريطانيين. و أعتقد أننا إذا لم نتمكن من أن نقيم مع فرنسا مصالحة نابعة من القلب، فلا أقلّ من أن يسود الشعور بالرضى بين الدولتين " [56]. و لم يسعد كيرزن بهذا التحليل لأن " السياسة الروسية تربت بيد و تصفع بالآخرى " كما قال، و لا بُدّ أنها دفعت بفرنسا للقيام بهذه " المؤامرة" في مسقط[57]. و أشار كيرزن أنه إذا كان لابد لفرنسا من أن يكون لها محطة فحم بمسقط فيمكن أن تشارك بريطانيا في جزء من المنطقة المخصصة لها لهذا الغرض في مسقط. [58]

انتهى الأمر في21ربيع الثاني 1318/ 18 اغسطس 1900 حين أختارت فرنسا لها محطة فحم في المكلا في عمان و تعهدت لندن بأن تقدم للسفن الفرنسية احتياجاتها من الوقود في أي مستودع فحم بريطاني تغشاه السفن الفرنسية في المنطقة. كما وافق الطرفان على أن تتقاسم فرنسا مع بريطانيا محطة الفحم التي شيدها البريطانيون في مسقط في عام 1877م. و لم ينه هذا الاتفاق المشكلات الانجلو فرنسية في مسقط، فقد كانت مشكلة ما عُرف بالعلم الفرنسي لا تزال ماثلة و كذلك مسألة حظر تجارة السلاح في الخليج العربي.

أدّت معالجة المقيم ميد لهذه المسالة بحكومة لندن أن تشير على كيرزن بأن يجري تنقلات بين رجاله في الخليج العربي. و كان هذا هو رأي هملتون، وزير الهند، الذي طال ما كان يتخذ موقفا وسطا في الخلاف بين سالسبري و كيرزن. فهو يوافق سالسبري، مثلا، في خطورة العمل الذي قام به المقيم ميد حين قام بإلغاء هذا العقد المبرم بين مسقط و باريس، " أما و قد تمّ فأرجو أن نكون قد أرعبنا السلطان، و أن يكون الدرس الذي تلقاه مانعا له من التآمر مع الفرنسيين ضدّنا مستقبلا ". و يعود هملتون ليذكر أنه من الصعوبة أن نجد رجالا أكثر كفاءة من الموجودين للعمل بالخليج (العربي) في الوقت الراهن " و لكننا إذا تعذر علينا أن نجد ـ بحسب ما نرغب ـ من هو أكفأ من ميد، فيجب أن نتأكد أن ميد يتبع التعليمات الصادرة له حرفا حرفا، ولا يحيد عنها قيد أنملة. أما في مسقط فيبدو لي أنه يجب أن يكون لنا ممثل أقوى من فيجان، فالسلطان لم يعد طوع بنانه[59].

كتب النائب في الهند في 19 سبتمبر أنه سيرسل بيرسي كوكس إلى مسقط ليخلف فيجان هناك، وانه زوّده بالنصائح اللازمة[60]. و قد أفلح كوكس في استعادة السلطان إلى دائرة النفوذ الهندوبريطاني، و شهد له المقيم ميد بهذه الحقيقة. كتب ميد بأنه حين زار مسقط في نوفمبر 1899 جاءه السلطان في صحبة كوكس، و أن فيصل كان يتحدث بلغة أهل جوجيرات (لغة أغلب التجار الهنود) مع كوكس. كما شهد ميد بأن فيصل كان كثيرا ما يأتي إلى الوكالة مصحوبا بأطفاله ليتناول

الشاي مع كوكس[61]. و كان هذا الوضع يتمشى تماما مع تسيير السياسة الإدارية للهند البريطانية، بل و مع التعليمات التي تلقاها كوكس من جودلي بأن مهمته تتركز في أن يجعل السلطان يثق فيه، و يتعامل معه كصديق، و أن " لا تعتبر السلطان تلميذا ينظر إلى أستاذه غير الكفء بريبة و توجس "[62]. و تلك هي الصورة التي ظل فيصل ينظر إلى فيجان من خلالها. أما تعليمات كيرزن لبيرسي كوكس فلم تلغ تعليمات جودلي المتسقة مع سياسة الهند في حسن معاملة الشيوخ و الأمراء ما أمكن، لكنها كانت أكثر ايجابية حين أمره بأن يُوعز للسلطان بأن "كل واجبات الكياسة و الحكمة تقتضى منه حزم مصالحة مع مصالح حكومة الهند". و استطاع كوكس أن يسير بهدي هذه النصيحة و تلك، و تحقق له ما أراد من تطويع السلطان.

مسألة العلم الفرنسي:

- كان لفرنسا أكثر من مسألة في مسقط عجزت حكومة الهند عن حلّها فتركتها مرغمة لحكومة لندن لتعالجها. و كانت لندن، رغم اختلافها مع كلكتا في إجراء السياسة الدولية، لا تتحرك إلا بعد استشارتها. و كان رأي سملا دائما أكثر تشدّدا من هوايتهول فقد كان سالسبري يدرك كما جاء في بعض رسائلة إلى كلكتا " إنه لا يستطيع أن يسوق الأسطول البريطاني فوق الرمل، أو يحمله على تسلق الجبال." و لهذا حاول سالسبري جاهدا أن يتخذ أسلوبا دبلوماسيا هادئا حتى لا يتجه التحالف الفرانكوروسي للتكتل ضدّ بريطانيا.أما كيرزن و حكومة الهند من خلفه فلم يكونوا يؤمنون " بخطبة الجبل، و يرون في المبادئ المسيحية التي تأمر بادارة الخد الأيسر لتلقي الصفعة الثانية أمرا يمكن أن يقود الامبراطورية البريطانية إلى الهلاك السريع "[63]. و زاد من تشدد حكومة الهند – كما نرى – في هذه الفترة أن كيرزن كان على رأسها. شعر كيرزن أنه أكثر قومه معرفة بالهند عمليا و أكاديميا، و لهذا يجب علىالمسؤولين الآخرين أن ينصاعوا لأمره و يتّبعوا رأيه.و زاد من اعتداد كيرزن بحكمته أن جودلي، الوكيل الدائم لوزارة الهند، لم يسبق له أن زار الهند و لم يحاول زيارتها، و اقتصرت معلوماته عنها على التقارير و الأضابير، أما هملتون، وزير الهند، فما كان يعرف إلا القليل عن الهند لكنه كان يخشى القبول بأسلوب كيرزن في التعامل مع الشئون الخارجية و تشدّده في العمل على حسمها. و قد ذكر هملتون لجودلي أنه يخشى "أن يتلف شعور كيرزن بتضخيم الذات ما عرف عنه من مقدرة و كفاءة".[64]

بدأت مسألة العلم الفرنسي منذعام 1276هـ/ 1860م و لم يكن لكيرزن وقتها من العمر إلا سنة و بضعة شهور، و لكنها اشتدّت مع تشدد كيرزن حين أصبح حاكما عاما على الهند. هاجم كيرزن منذ فبراير 1899 في خطاب له للندن مسألة "الدوات "العربية التي تحمل الرقيق و السلاح تحت العلم الفرنسي دون أن تستطيع قطع الاسطول البريطاني اعتراضها. و رأى نائب الملك في الهند، في هذا سياسة فرنسية محسوبة للنيل من بريطانيا." فنحن لا نشكك في حقوق فرنسا التي نالتها بالامتيازات في مسقط، لكننا نعترض ضدّ إعمال هذه الحقوق بصورة عدائية ضدّنا في منطقة ليس للمصالح الفرنسية فيها أية أهمية، أما مصالحنا فيها فهي الطاغية ". و طالب كيرزن حكومة لندن باتخاذ خط قوي تقاوم به فرنسا حين تظهر في المنطقة في أي شكل، و تحت أي دثار.

نشأت مسألة العلم الفرنسي عن وجود نظام الامتيازات في المنطقة. فطبقا لهذا النظام يُسمح للدول الأوروبية بان تمنح حمايتها لبعض مواطنى الدول الأفريقية و الأسيوية. و كان هذا الامتياز يمنح في الأصل للاشخاص الذين يعملون في القنصليات الخاصة بهذه الدول لكنه كثيرا ما كان[65] يمتدّ ليشمل مواطنين لآخرين لتلك الدول. و تتلخص مسألة العلم الفرنسي في أن بعض دوات (نوع من المركبات البحرية) أهل صور العمانية حصلت من السلطات الفرنسية في أبوخ و مدغشقر و جزر القمر على أعلام فرنسية تحتمي بهما حتى لا تستوقفها السفن الحربية البريطانية بحُجة التفتيش عن الرقيق أولا، أو الرقيق و السلاح بعدئذ. و لم يفد احتجاج بريطانيا على فرنسا في عام 1863م لحثّها على وقف هذا العمل بل زاد مع الزمن عدد الأعلام الفرنسية الممنوحة لأهل صور خاصة في عام 1865م ,فقد وجدت فرنسا في استعمال أهل المنطقة لعلمها كسبا للنفوذ في أوساط السكان المحليين. و قد أثار كيرزن هذا الأمر مع لندن بصورة شاملة بعدئذ.

بدأ كوكس، ربما بتحريض من كيرزن، يُبصِّر سلطان مسقط بخطورة مسألة العلم الفرنسي. فازدياد استعمال هذا العلم يعني انفلات قبضة السلطان على صور إلى غير رجعة. و دفع كوكس بفيصل كي يقبل أن تقوم لندن نيابة عنه بالتفاوض مع باريس في هذا الشأن،فيما طلب إلى كيرزن تبنّي هذا الأمر لدى حكومة لندن " خاصة و أن السلطان لم يوافق على إنابة لندن عنه للتداول في هذ الأمر إلا بعد جهد جهيد ". و طلب كوكس أن ترمي بريطانيا بثقلها وراء فيصل في هذا الموضوع تحقيقا للمصالح البريطانية.

كتب كيرزن إلى الوزير هملتون في هذا الأمر في 24 مايو1900, و اختتم تقريره بأن تمنّى أن لا تقوم وزارة الخارجية، كعادتها دائما، بخذلان الهند و تركها في " منزلق أملس "[66].

في مسقط قام السلطان مع كوكس على السفينة سفنكس قاصدا صور التي وصلها في 19 يونيو 1900، و ذلك بعد محاولة لأوتافي، القنصل الفرنسي، الذي يعتبره كيرزن ممثلا لروسيا كذلك، أن يسبغ الحماية الفرنسية على صور فيما يبدو. خطب السلطان فيصل في أتباعه خطبة جاء منها " لقد لاحظنا أن بعض مواطنينا أخذوا جهلا أعلاما و أشياء من حكومة أجنبية و صاروا يزعمون دعوى الحماية بموجبها. لقد حدث هذا الأمر في الماضي، لكنه لن يكون أبدا في المستقبل. فمثل هذا العمل يتنافى و التزامات المواطنة. و بهذا أخطركم بأننا لن نعترف بهذه الأعلام ومثل هذه الأشياء في مناطقنا، و سوف نعاقب كل من يقبلها دون أمر كتابي منا بتصديقنا عليه وفقا و ما يتماشى و طبيعة الاتفاقات و التي تربطنا بالقوى الاجنبية. "[67]، واستجاب لذلك بعض مواطني صور و تعهدوا برد الأعلام الفرنسية. جاء في خطبة لأحدهم: [68]" نحن نعتبر أنفسنا رعايا صاحب السمو، و لهذا نعلن أن من أخذ أعلاما فرنسية فإنه سيردها إلى تلك الحكومة مع بداية العام الجديد، و لا مانع لدينا من ردها فورا إذا وافق القنصل الفرنسي على ذلك. و نحن إذ نقوم بهذا العمل نقوم به من تلقاء أنفسنا دون أن يرغمنا على ذلك أحد، و لا يدفعنا للقيام به إلا الاحترام الواجب علينا بذله للسلطان. هذا ما لزم و السلام ". و جاء رد السلطان: " حيث أنكم أسأتم فهم رغباتي في هذا الشأن في الماضي فقد تداركتم حاليا ما نجم عن ذلك و لن تعودوا إلى ارتكاب عمل مثل هذا مستقبلا. و ليكن معلوما بوضوح لديكم بأننا منذ هذا التاريخ لن نعترف، و لن نسمح، لأي من أتباعنا مهما كان شأنه، أن يأخذ ما يسمى بأوراق الحماية و الأعلام من الحكومة الفرنسية، أو من أية حكومة أخرى مهما كانت إلا بعد الحصول على اذن مكتوب منا يكون متسقا مع الاتفاقيات التي أبرمت بيني و بين القوى الأخرى. و لا يخفى هذا عليكم و السلام ". بدأت المشكلة في هذا الخصوص بين فرنسا و لندن. و علّق كيرزن بأنه "مبتهج لأن السلطان استطاع أن يلوي ذراع وزارة الخارجية البريطانية و يجبرها على النظر في هذه المسألة".

لم يجد نداء السلطان آذانا صاغية إلا من قلة من قومه في صور. وحين عاد السلطان إلى مسقط في صحبة كوكس خاطب أوتافي في هذا الشان، و لم ينجل الأمر عن شيء. و في لندن قابل السفير كابون الوزير سالسبري في 25 يونيو و أفاده بأن سلطان مسقط ذهب إلى صور على سفينة بريطانية و طلب إلى أهل البلدة تسليمه الأعلام الفرنسية. و بالرغم من أن السفير لم يتهم بريطانيا صراحة بتحريض السلطان على ذلك إلا أنه أصرّ على أن الأعلام المصادرة يجب أن تُعاد لأصحابها. و في اليوم التالي عاد السفير كابون ليؤكد لسالسبري عزم فرنسا على اعادة الأوراق

التي أخذت من مواطني صور، لكنه أضاف بأن فرنسا لن تصدر بعد ذلك أوراق حماية في المستقبل " و أن جميع دعاوي الحماية الحالية سيُعاد النظر فيها " [69]

عبّر الوزير سالسبري في هذه المناسبة عن " امتعاضه من تهور موظفى الهند " حين عملوا على معالجة مسالة العلم الفرنسي في صور. و لم يقبل سالسبري إنكار كوكس من أنه لم يخطط لهذا العمل، و أنه قد تصادف أن قام على السفينة سفنكس برحلة إلى صور و طلب إليه السلطان أن يبحر معه فوافق على ذلك. و في صور أخبره السلطان، كما يقول كوكس، بنيته في جمع الوثائق و الأعلام الفرنسية، فلم يثبِّطه. وندرك يقينا ان كوكس كاذب. و لعل صيغة الاعلان و الخطبة و الاشارة إلى الارتباطات و التعهدات مع الدول الأخرى إشارات واضحة تبرز دور كوكس في هذا العمل بشكل بيّن. كما أن هذه التعهدات و الارتباطات التي تتنافى مع حمل الاعلام الفرنسية للمراكب الصورية لا تعدو إلا أن تكون – في تقديرنا - إلا وفاء من السلطان بما ينصّ عليه تعهد عام 1891م، أما الدول الأخرى التي أشار إليها السلطان في خطبته فلا تعدو إلا أن تكون بريطانيا. و كتبت لندن إلى كيرزن تلوم كوكس على " سلوكه الذي سيثير الفرنسيين في وقت لبريطانيا فيه من المشكلات ما يكفيها". و أشارت لندن إلى أن هناك مشكلة في جنوب أفريقيا." و أن الوضع في السودان، كما أخطرنا كرومر، هو وضع مهتز جدا.إنك إذا كنت هنا معنا، فإنك لن تعطي فرنسا و ألمانيا و روسيا الذريعة للتكالف ضدّ بريطانيا مهما كان السبب، حتى لو كان السبب هو مسقط و الكويت و بندر عباس[70]. غير أن كيرزن استمات في الدفاع عن كوكس و موقفه و أتهم من لا يؤمن من الوزراء البريطانيين بسياسته الخاصة بمسقط، ليس فقط بعدم التوفيق في تقديراته، إنما بالخور و الجبن كذلك. و دعا كيرزن إلى مجابهة " ذلك الثعبان الليفانتي الصغير، أوتافي ".

وصلت في ربيع الثاني 1318/أغسطس 1900 السفينة الحربية الفرنسية دروم Drome بشحنة فحم لتودعها في المكان المخصص لفرنسا في محطة الفحم البريطانية.و التقى الكابتن أ.مارتل Martil، قائد دروم، بفيصل و طلب إليه إرجاع الأوراق التي أخذها من مواطني صور لكنه لم يفلح في اقناع السلطان. أبحرت السفينة الفرنسية إلى صور و عادت أدراجها إلى مسقط تُهدد، و ظلت على هذا المنوال شهرا كاملا دون أن تنفذ من تهديداتها شيئا.

لم يشهد عام 1901 م الكثير من النشاط الفرنسي في الخليج العربي بالرغم من استمرار فرنسا في استثمار إعلان عام 1862 م لخدمة أهدافها في مسقط. كما زار الخليج العربي في سبتمبر من هذا العام الدكتور الفرنسي جرسبين Grespien [71] الذي وصل إلى بوشهر من بومباي في 11

سبتمبر. كما وصل جوزيف براسو Brasseaux في 3 ديسمبر 1901 إلى بوشهر وكيلا عن بعض الشركات الفرنسية في باريس. و في الحقيقة فإن الرأي العام في فرنسا بدأ يدرك أهمية الخليج العربي في استراتيجيته الاستعمارية منذ زيارة الكاتب جين فيان June Viand إلى مسقط في أبريل 1900. و قد زار هذا الكاتب (الذي يوصف بأنه كاتب فرنسي شهير) بصحبة سكرتيره، جوفير Guffier الروسي الأصل، سلطان مسقط، ثم رحل من مسقط إلى بوشهر و غادر منها إلى طهران.

زارت البارجة الفرنسية كاتينات Catinat مسقط في يناير 1902 و تبادل قائدها في صحبة القنصل الفرنسي الزيارة مع السلطان. و غادرت كاتينات إلى بندر عباس، ثم إلى هرمز، حيث التقط قائدها صورا عديدة للجزيرة قبل أن يغادرها إلى لنجة. و في لنجة التقط القائد الكثير من الصور قبل أن يغادر إلى بوشهر. و قامت كاتينات من بوشهر إلى الكويت, و أبحرت إلى بوشهر مرّة أخرى، ثم رجعت إلى مسقط و غادرتها إلى صور ومنها إلى مسقط مرّة أخرى، و غادرت كاتينات، بعد هذه الجولة، مسقط إلى بومباي في 28 مارس 1902. و قد أنهى القبطان كايسيل Kessel، قائد كاتينات، إلى أهل صور أنهم يستطيعون الإحتفاظ بالأعلام الفرنسية، و أن هذا الأمر قد تمّ الاتفاق بشأنه بين فرنسا و بين سلطان مسقط.

مارست الحكومة الفرنسية في الوقت الذي كانت فيه كاتينات في الخليج العربي بعض الضغط الدبلوماسي على حكومة لندن.ففي 9ذي الحجة 1319/19 مارس 1902 أرسل لانسدون، وزير الخارجية، إلى منسون Monson سفيره لدى باريس يخطره بأنه قد تمّت مقابلة بينه و بين السفير الفرنسي تحدث فيها الأخير عن الخط المتشدد الذي تتبعه حكومة الهند في الخليج العربي تجاه القوى الأخرى. وذكر السفير أن سلطات حكومة الهند في الخليج تشتط في معاملتها للقوى الأخرى، و نسب إليهم الرغبة في معاملة الخليج كأنه بحيرة مغلقة للنفوذ البريطاني أو كأنه بحيرة بريطانية. و أبدى السفير الفرنسي رأيه بأنه من المستحيل أن تستمر تلك السلطات على الاصرار على تلك السياسة. فخط الاناضول (السكة الحديد)سرعان ما سيصل إلى الخليج العربي الذي سيصبح شريانا للتجارة العالمية. و ذكر السفير أن هذه حقيقة على البريطانيين أن يفتحوا أعينهم عليها. و جاء في رسالة لانسدون لمنسون بأنه رد على السفير الفرنسي بأنه أخطأ حين نسب للحكومة البريطانية أو لحكومة الهند الرغبة في منع تجارة القوى الأخرى من وصول الخليج " و أن استجابتنا لخط حديد الاناضول هي أبعد من أن تكون عدائية ".و تضيف رسالة لانسدون بأنه أخطر السفير الفرنسي بأنه سبق أن أخطر السفير الألماني احتمال مساندة بريطانيا لخط حديد الأناضول

بشرط أن يكون للبريطانيين نصيب مساو لنصيب كل من القوى الأخرى في تمويل الخط و تنفيذه و إدارته. و صرح السفير كابون للانسدون بأنه يعرف بأن القوى الأخرى لا تعترض على مقاسمة الإمتياز مع البريطانيين، لكن الدوائر المالية في لندن غير متحمسة للاسهام و المشاركة. و رأى لانسدون بأن هذا ربما كان صحيحا إلا أنه أضاف " أن هذه السياسة هي التي تحكم اتجاهاتنا بالنسبة للتجارة الخارجية في الخليج (العربي) و لكننا نعترض إلى أقصى حد، و سنقاوم بكل تأكيد، أي محاولة لأية قوّة دولية تريد أن تقيم لها في الخليج قاعدة أستراتيجية أو أن تبني ميناء محصنا على تلك المياه ". و كان هذا الرأي هو عين ما أعلنه لانسدون صراحة في عام 1903 م.

إنتشر نوع من الوباء في مسقط في 1903 و انتهزت السلطات الهندوبريطانية في الخليج فرصة ذريعة وضع المركز الطبي(الحجر الصحي) في مسقط تحت إدارة طبيب الوكالة البريطانية و منح للوكيل البريطاني سلطة تنظيم وصول و مغادرة السفن لميناء مسقط. كما خُوًل بالطبع سلطة تفتيش هذه السفن[72]. و في 8 ابريل 1903 وصل خمسة عمانيين على سفينة البريد الهندية و أحتجزوا في (الكورنتينة) و لكنهم هربوا بليل. و طلب السلطان من كوكس (ربما بإيعاز من كوكس ذاته) القبض على هؤلاء المواطنين. و أرسل كوكس القارب بيرسيوس Persues لمطاردة الرجال، و أفلح في القبض عليهم. و أثار هذا مشكلة بين باريس و لندن لأن بعض هؤلاء العمانيين كان يحمل صك الحماية الفرنسية و ألقى القبض عليه بواسطة قارب بريطاني تابع للأدميرالية. و كان رأي الهند أن تساند لندن السلطان فيصل بكل الوسائل، و أن يُتخذ هذا الحادث ذريعة لتسوية مسألة العلم الفرنسي " إلى الأبد ". أما لندن فأرسلت إلى الهند كما أرسلت إلى كوكس تأمره بتجنب كل ما من شأنه إثارة مشكلة دبلوماسية " مع فرنسا خاصة و أن الملك يزمع زيارة باريس في مايو ". و أتصل ساندرسون (الخارجية البريطانية) بالقائم بالاعمال الفرنسي، و طلب إلبه أن تصدر حكومتا لندن و باريس أوامرهما لوكيلهما في مسقط بعدم التدخل في هذه المشكلة وتركها لتُسوى بالمفاوضات في أوربا.

أرسل الفرنسيون، خلال هذه الفترة، البارجة إنفرنيه Infernet إلى مسقط في 11 مايو، و طلب قائدها إلى محمد بن تركي، الذي كان ينوب عن فيصل الذي غادر مسقط في محاولة منه لتجنب المجابهة، إطلاق سراح الرعايا الفرنسيين، و هدد باستعمال القوّة. و احتج محمد بعدم استطاعته لتنفيذ ذلك لغياب السلطان. لم تغادر انفيرنيه الميناء وظلت ترابط عند مسقط. و لم يجد السلطان بُدّا من الظهور لكنه اعتذر للقائد عن فك المسجونين. و ساند كوكس السلطان في رفضه. و

شكا كابون، السفير الفرنسي في لندن، من أن كوكس يتصرف في مسقط و كأنه السلطان. و طلب كابون في 18 مايو في لهجة غاضبة العمل على فك الرعايا الفرنسيين الثلاثة (لم يهتم بالرجلين الآخرين اللذّين كانا يعملان مع بعض هؤلاء الرعايا. و طلب لانسدون إمهاله حتى يجتمع و مجلس الوزراء لبحث هذه المسألة. و بعد اجتماع المجلس اقترح لانسدون على كابون بأن بريطانيا ستنصح السلطان بفك الرجال الثلاثة، لكنها تطلب أن تُحال قضية العلم الفرنسي إلى المحكمة الدولية كي تنظر فيها، على أن تقوم باريس باعطاء لندن ثبتا بأسماء من تحميهم في تلك المنطقة. و رأى كابون أن باريس ربما توافق على هذا الحل لكن ينبغي اولا فك أسر الرجال المحميين فرنسيا و تسليمهم إلى القنصل الفرنسي. و استمرت المفاوضات بين الوزير و السفير حتى 25 مايو حين وافق الوزير لانسدون على أن يقوم فيصل باطلاق سراح الرجال لكن دون أن يسلمهم إلى القنصل الفرنسي. و صدر الأمر إلى الهند و أحيل إلى كوكس، الوكيل في مسقط، الذي أعترض على " فك أسر هؤلاء الرعايا الفرنسيين إلا إذا غادرت انفيرنيه الميناء حتى لا يُقال أن ضغطها قد أثّر على الحكومة البريطانية "خاصة و أن فيصل قاوم الضغط و سيذهل حين يعرف بما تمّ الاتفاق عليه ". و رفض السفير كابون قبول هذا الرأي و أصرّ على عدم مفارقة انفرنيه الميناء إلا بعد إطلاق سراح الرعايا الفرنسيين. و استجاب لانسدون للطلب. و اعتذر هملتون، وزير الهند إلى كيرزن، نائب الملك حاكم عام الهند، بأن السرعة كانت لازمة لمعالجة هذا الأمر و عليه أن " لا يهتم بفيصل كثيرا، فهو قد يذهل الآن، لكنه سرعان ما ستبين أن الأمر في صالحه "[73]. و أفلحت فرنسا في إطلاق سراح رعاياها العمانيين الثلاثة و أحيلت مسألة العلم الفرنسي بعد ذلك إلى التحكيم. وصدر الحكم في هذه المسألة [74] في6 جماد الثاني 1323/ 8 اغسطس 1905 و كان أبرز ما جاء في حيثياته:

أنه كان من حقّ فرنسا قبل 2 يناير 1892، أن تخول للسفن التابعة لرعايا صاحب السمو سلطان مسقط نشر العلم الفرنسي.و لا يحد من استعمال هذا العلم إلا التشريعات الفرنسية الخاصة، و الأوامر الإدارية (و التاريخ المحدد هنا هو تاريخ التصديق على ميثاق بروكسل).و قد اعتبرت المحكمة بأن فرنسا مرتبطة في تعاملها مع بريطانيا فيما يخص اباحة استعمال العلم الفرنسي بالشروط الواردة في المادة (32) من ذلك الميثاق.

يظل لمالكي "الداوات "الذين خولت فرنسا لهم رفع العلم الفرنسي هذا الحقّ طالما قامت الحكومة الفرنسية بتجديده لهم.

لا يجوز للحكومة الفرنسية بعد 2 يناير 1892، أن تخول لمواطني صاحب السمو السلطان رفع العلم الفرنسي إلا في حالة أن يثبت مالكو هذه السفن (الداوات) أو المستفيدين منها أنهم كانوا رعايا فرنسيين قبل عام 1863م, و عاملتهم فرنسا بهذه الصفة. (و التاريخ المحدد هنا هو تاريخ اتفاق عقد بين الباب العالي و الحكومة الفرنسية بخصوص مراكش. وقد تحددت في هذه الاتفاقية صفة " الرعوية " بطريقة مقننة و حددة).

أما عن طبيعة الامتيازات و الحصانات التي يمكن أن يدّعيها مواطنو السلطان المستفيدون من هذه الداوات، سواء إن كانوا مُلاكا لهذه السفن أو بحارة يعملون عليها.،أو من عوائل هاتين الطائفتين، و كانت لهم تصاريح فرنسية، فقد قرّرت المحكمة بشأنها ما يلي:

إن داوات مسقط المذكورة آنفا لها الحقّ في رفع العلم الفرنسي و الإفادة منه بصورة لا تنتهك حدود اتفاق 17 نوفمبر 1844 بين مسقط و فرنسا.

إن حقّ حيازة العلم الفرنسي هو حقّ غير قابل للتحويل أو التنازل عنه لأي شخص آخر أو لأية داو آخرى حتى لو كانت الداو للمالك ذاته.

إن مواطني سلطان مسقط المستفيدين من العلم الفرنسي، سواء إن كانوا ملاكا للداوات، أو بحارة عليها، أو من المنتمين إلى عائلات هاتين الفئتين ليس لهم حقوق على البر تحميهم من الوقوع تحت سيادة سلطان مسقط، و بصورة أخصّ من الوقوع تحت طائلة قوانين سلطان مسقط.

و على هذا يمكننا تلخيص نتائج الاتفاق علي النحو التالي:

إن لفرنسا أن تجدّد تصاريح حمل الأعلام لمالكي الداوات الذين كانت لهم أعلام فرنسية يستعملونها على داواتهم فعلا قبل 2 يناير 1892. أما فيما عدا هذا، فليس لفرنسا الحقّ في أن تصدر تصاريح حمل أعلام فرنسية إلا للذين يثبت فعلا أنهم رعايا فرنسيون منذ عام 1863 م. و قد حدّ هذا الإجراء بالطبع من عدد الداوات التي يحقّ لها رفع العلم الفرنسي.و حدّ من عدد هذه الداوات كذلك، أن التحكيم نصّ على عدم جواز التنازل عن هذه التصاريح الفرنسية أو تحويلها لأي داو أخرى أو أي مالك لداو أخرى. و يعني هذا أنه إذا غرقت إحدى هذه الداوات التي ترفع العلم الفرنسي أو ضاعت أو عطبت أو بليت، فإن مالك الداو لن يستطيع أن يستصدر تصاريح فرنسية جديدة إلا إذا

أثبت أنه كان من رعايا فرنسا قبل عام 1863م. و إذا عرفنا أن رعايا فرنسا في عمان قبل عام 1863 م كانوا نادرين، لأدركنا أن هذا التحكيم كان مسؤولا عن اختفاء العلم الفرنسي من الداوات العمانية بعد فترة وجيزة من صدوره.

حقيقة فقد اعطيت الداوات التي تحمل العلم الفرنسي الحصانة من التفتيش حتى في مياه مسقط الإقليمية مما يعني أن هذه السفن كان يمكن لها أن تحمل ما تشاء دون أن تستطيع سلطات الخليج الهندوبريطانية اعتراضها. غير أن ملاكي هذه السفن و بحارتها و عوائل الفئتين المذكورتين لا يتمتعون بأي حصانة حال أن ترسو الدوات في البر العماني حيث يقعون في دائرة السيادة العمانية و قوانينها. وقام هذا الحكم بناء على أن الاعتراف بان هؤلاء العمانيين خارجين عن السيادة العمانية يعني تعارضا صريحا مع الاعلان الفرنسي البريطاني في 10 مارس 1862. [75]

لم ينه هذا التحكيم التشبث الفرنسي بمسقط. و برغم الوفاق الذي كان ساسة الدولتين البريطانية و الفرنسية يحرصون على تحقيقه بينهما ,فقد عمدت السياسة الفرنسية الإحتفاظ بكارت مسقط تلوح به في وجه بريطانيا حين تدعوها الحاجة إلى ذلك. قضى هذا الكارت على السياسة الهندية الساعية إلى ابتلاع مسقط أو على الأقل تولي السياسة الخارجية لسلطانها أسوة بما كانت تفعل في الساحل العماني و البحرين و الكويت، لكنه - من ناحية أخرى -لم يبطل مفعول هذه السياسة، و لم يقلل من نفوذ هذه الحكومة في بلاط سلاطين مسقط.

وجدت حكومة الهند نفسها مع مطلع هذا القرن وجها لوجه مع القوى الأوروبية الأخرى في الخليج العربي من فرنسية و روسية و ألمانية. و لم تكن حكومة الهند البريطانية تملك صلاحية التعامل مع هذه القوى الدولية، لكنها كانت تملك و بصورة شاملة، صلاحية التعامل مع الخليج العربي و أهله. فالخليج هو حدود أمن وسلام الهند البريطانية. و لهذا ظلت حكومة الهند قوّة محركة للسياسة في الخليج العربي، فهي تحرك في كثير من الأحيان حكومة لندن، كما تمكلك أن تحرك شيوخ الخليج العربي. و لا ريب إذا في تشدد السياسة الهندو بريطانية في هذه الفترة بالذات، فهي سياسة مساومة – إذا أمكن القول – تتشدد حتى مع لندن كي تحركها وسط الإتجاهات العاصفة في السياسة الدولية في ذلك الزمن.

خط حديد برلين بغداد:

انطلاقا من فهم الساسة البريطانيين من أنهم سادة بحار العالم و ما يجري فوقها من سفن حربية و تجارية، و من معرفتهم بأن أسطولهم لا يستطيع ملاقاة القوى الأوروبية الأخرى و مصارعتها على اليابسة، و من إدراك القوى الأوروبية بأن جيش بريطانيا التي كانت تُسمى بالعظمى في ذلك الوقت لا يعني شيئا إذا قيس بالحشود العسكرية لمعظم الدول الأوروبية حتى أن بسمارك كان يرى في الشرطة الألمانية الكفاية على أسر الجيش البريطاني كله، و من معرفة الدول الأوروبية حقيقة أن لبريطانيا من الحيازة الأرضية في مستعمراتها ما لا تستطيع بمواردها المحدودة الدفاع عنه، انطلاقا من هذا كله، أدركت بريطانيا و حكومتها في الهند أن التصدي للقوى الأخرى في الخليج العربي و غيره من المناطق لا يكون إلا في البحر أو على أطرافه. و لهذا صممت بريطانيا على أن لا تسمح لأية قوّة أوروبية لتقيم لها ميناء يطلّ على الخليج العربي ليربطه بظهيره، كما صممت كذلك على أن لا تصل أطراف أي خط حديدي إلى الخليج العربي إلا إذا كان لها في ذلك الخط يدا طولى أو تكفلت هي بانجاز نهايات هذا الخط و السيطرة عليه.

كانت حكومة الهند تخشى النفوذ الأوربي المحمول على الخطوط الحديدية, و تعمل على مقاومته. ولم تكن حكومة الهند البريطانية تخشى من تغلغل هذه القوى الأوربية في مخارج الخليج العربي فحسب و لكنها كانت تخشى كذلك أثر هذه الخطوط الحديدية في ربط الساحل بالظهير فيصبح عندها توجه الساحل للظهير أكثر مما هو عليه الحال. و سنرى أن الهند قاومت بصفة حذرة في هذه الفترة كل مؤثرات الظهير العربي علي الساحل العربي من الخليج العربي. و لهذا كانت حكومة الهند أشد ضراوة في الدفاع عن الخليج العربي من حكومة لندن. و بهذا تشكلت خريطة الجزء العربي في الخليج العربي، فإذا هي ساحلية ممتدة صيغت خصيصا لحماية البحر، حزام الأمن الهندي، من كل مؤثرات داخلية. و لا نجد في تشكيل خريطة هذا الجزء من الوطن العربي أية مؤثرات اثنولوجية تذكر أو عقبات طبوغرافية كبيرة، انما شكّلته السياسة الدفاعية للهند، و صاغته السياسة الإدارية لحكومة الهند، و أيّدته السياسة البترولية بعد ذلك. قضت السياسة الهندية خلق شريط هامشي طويل ممتد على امتداد البحر الخليج على أن يكون هشّا متفككا لانقطاعه عن الظهير، و لاعتماده على البحر (الذي كان بريطانيا) في الدفاع عنه. و قرّرت حكومة الهند وقف الخطوط الحديدية التي بدأت خرائطها تنبئ بقرب وصولها إلى ساحل الخليج، و استعانت في هذا بشيوخ العرب و أمرائهم، و تعاملت مع السايكولوجية للشخصية العربية تعاملا بارعا. أدرك الشيخ مبارك أن بريطانيا و حكومة الهند لا تسعيان إلى حيازة أرض بل انهما تسعيان لإبعاد القوى الأخرى عن هذه الأرض. و على هذا تلاقت السياسة العربية و الهندوبريطانية فأقامت الاتفاق الذي

اشترت به من مبارك و آخرين من الشيوخ المتلهفين للحصول على الثراء واستدامة السلطة. أما التمزق و الفرقة التي عمت الساحل العربي فلم تكن في الحقيقة إلا نتيجة سلبية تولدت عن التزاوج غير الشرعي للسياسة الهندية مع الروح البدوية. و حافظت بريطانيا على الوحدات الصغيرة التي كانت موجودة على الساحل بدعوى الحفاظ على استقلالالها.

كتب الكثير من المؤرخين عن امتداد ما عرف بخط برلين بغداد بصرة [76]. و يهمنا من هذا أنه في عام 1899 م استطاعت خطوط الاناضول أن تحصل من الحكومة العثمانية على امتياز بمد الخط إلى بغداد و الخليج العربي. و طارت الاشاعات – حتى قبل حصول الشركة على هذا الامتياز – إلى سالسبري. و كانت هذه الاشاعات من أبرز الأسباب التي دعت سالسبري ليمكن حكومة الهند من ابرام اتفاقها مع مبارك، ذلك إذا لم نقل أنه أهمها على الاطلاق. فالخط الروسي (كابنست) بالرغم من كل التوجس الذي أثاره في نفس كيرزن لم يتبلور عن شيء ملحوظ، أما خط بغداد المتحد مع رغبة الباب العالي في ربط أجزاء امبراطوريته فسرعان ما يبدأ سيره حثيثا في اتجاه الخليج العربي. عرف سالسبري أن لندن لا تملك أن توقف الخط أن يبلغ مداه، أو أن تفرض شروطا لا تقرّها ألمانيا و القوى الأخرى التي تزمع الإسهام في الخط. و لم يكن سالسبري يخشى " خطورة المفاجأة من تركيا التي يمكن ردها بسولة إذا قفزت على الكويت "[77]. أما مفاجأة ألمانيا حين تقفز للكويت في ثياب تركيا فذلك أمر جلل.

أبرق أوكنور سفير بريطانيا في استانبول، إلى وزارة الخارجية في جماد الأول 1317/ سبتمبر 1899 بأن بعثة من خبراء شركة [78] خطوط الاناضول الحديدية غادرت لمسح المنطقة من بغداد إلى الخليج العربي. و جاء في البرقية أن البعثة تضمّ بالاضافة إلى مسؤولي المسح الطبوغرافي مجموعة من الخبراء في شؤون المال و الاقتصاد لبحث مستقبل الاستثمارات في المنطقة. و في4 رمضان 1317/ 6 يناير 1900 أبرق راتسلاو من البصرة بوصول البعثة، و أفاد أنهم سيفارقون البصرة إلى الكويت حالا لاختيار مكان يصلح نهاية الخط في تلك المنطقة. و أفاد راتسلاو أن البعثة لا تنوي أن تفاوض شيخ الكويت في هذا الشأن، و سيقصرون مفاوضاتهم على الباب العالي. و أبرق نائب الملك في الهند إلى وزير الهند في لندن يذكر " بأن ما يحدث حول الكويت حاليا لن يكون متسقا مع ما تدّعيه حكومة الهند بشأن الكويت. و ربما يتطور هذا الأمر إلى أزمة بين بريطانيا و ألمانيا." و تساءل النائب " أليس من المستحسن أن نخطر ألمانيا بطبيعة علاقاتنا مع شيخ الكويت، حتى تدرك ألمانيا أن الخط لن يبلغ الكويت إلا بموافقة بريطانيا و ذلك بعد

الوصول إلى تفاهم مشترك على أسس محدودة" ؟و حذّر النائب بأن " أي اتفاق يتم بين الشركة و تركيا حول الكويت فوق رؤوسنا، سينسف الاتفاق, الذي عقدناه مؤخرا بأمر من الحكومة البريطانية، و سيضعف موقفنا في الخليج جدا." و لم تكن لندن تنوي اتخاذ خطوة حاسمة في هذا الشأن. وافق الوزير هملتون النائب كيرزن على ما يراه من أن الموقف البريطاني في الخليج العربي هو موقف رائد، و أن هذه الريادة ستسقط مع امتداد هذا الخط إلى الخليج العربي." لكن ما هو الحقّ الذي تملكه بريطانيا لوقف القوى الأخرى حتى لا تصل إلى الخليج خاصة و أنه ليس لبريطانيا أيّ أصدقاء بعد أن استعدت سياستها الأخطبوطية كل القوى الدولية عليها."[79].

كان من رأي لي وارنر بأنه لابد من إخطار الدولة العثمانية بطبيعة العلاقة الهندوبريطانية مع الكويت قبل أن تُخطر بها ألمانيا، إذا كان لابد من اخطارها. و كان هذا الرأي منسجما مع رأي وزارة الخارجية البريطانية التي أوصت الهند بالتريث ريثما تُستبان النتائج. و يمكن حينها تحذير الدولة العثمانية أولا كخطوة قبل إخطارها بالاتفاق، أو لربما عالجت الأحداث نفسها بالوصول إلى تفاهم أنجلو ألماني.

ابرق المقيم في الخليج العربي في 9 يناير 1900 بوصول البعثة إلى الكويت و أفاد بأن بعض أعضائها ربما يتصلون بمبارك ذلك رغم أن اسمرشStemirch، رئيس البعثة، لا يرى هذا الرأي مع أنه يرى أن نهاية الخط عند أية بقعة غير الكويت لن يكون أمرا مثمرا [80]. و رأى المقيم أيضا أنه لربما تنشأ تعقيدات لأن مباركا ربما يمنع المرافق التركي من دخول الكويت، أو – من ناحية أخرى - ربما يوافق على اعطائهم قطعة الأرض المطلوبة. و أبرقت الهند لمقيمها تشير بعدم محاولة منع البعثة من دخول الكويت " إذ ليس هناك أسباب مقنعة تبرر ذلك " و طلبت الحكومة من مقيمها أن يتصل بمبارك يمنعه من عقد أي اتفاق مع هذه البعثة " أيا كان نوعه، و ألا يقبل بشيء من ذلك إلا بعد أن يرد الأمر لك، و و يقع على الشيخ، في نهاية الأمر، أن يلتزم بما تقرره حكومة الهند. و إذا شعرت أن ثقة الشيخ فينا يمكن أن تُدّعم بتواجد بارجة حربية عند الكويت فأعمل على إرسالها له " و أبرق المقيم في اليوم التالي إلى الهند بأنه سيرسل السفينة ملبومني Melpomeni و عليها جاسكن لتوصيل رسالة الهند إلى الشيخ مبارك و شرحها له. و في 15 يناير أبرق المقيم ميد برجوع السفينة إلى بوشهر، و بأن شيخ الكويت قد تعهد بأن يلتزم بالتعليمات الصادرة له [81]. و في 16 يناير أبرق المقيم مرّة أخرى بأن البعثة الألمانية ربما تختار كاظمة كنهاية للخط المقترح. و عرّف المقيم خليج كاظمة بأنه يقع على الناحية الغربية من ميناء الكويت، و بأن الساحل عنده عميق

محمي من هبوب الرياح، و انه أجوّد مرفأ في الخليج كله، وهو مناسب تماما كي يتحول إلى نقطة ارتكاز عسكري أو أسطولي. و أضاف المقيم بأن ألمانيا، إذا تمكنت من الإرتكاز في كاظمة، فسيكون من الصعب اقتلاعها من هناك." و لهذا أرى أن نؤكد سلطة الشيخ على هذه المنطقة، وأن على الشيخ أن يقاوم جعل كاظمة نقطة نهاية لهذا الخط دون الحصول على إذن بذلك من حكومة الهند، كما يجب عليه أيضا أن يمنع البعثة من أن تقوم بعمليات المسح التي يمكن أن تستخدم مستقبلا كدليل على سيادة تركيا على الكويت [82].

تكرّرت زيارة جاسكن بأمر ميد إلى الكويت حيث زارها مرّة أخرى في 20 يناير، و ثالثة في 28 يناير[83]. كتب جاسكن تقريرا في 5 فبراير جاء فيه: " أن مباركا أبلغه بأن البعثة الالمانية حرّرت له خطابين من الجهرة تخطره بوصولها و تطلب إليه الاجتماع بها[84]. و في يوم 19 و في الساعة الواحدة و النصف مساء وصلت البعثة حيث نزلت في ضيافة الشيخ. و أفاد الشيخ أن البعثة مكونة من استمرش و المساح فون كاب Kapp و قنصل ألمانيا و مهندس و مترجم و ثمانية مرافقين، كما صحبهم عبد الكريم بن حسن بن مشاري من مواطنى البصرة. و لم يكن في صحبة البعثة مندوب عثماني، كما لم يكن مع البعثة خطاب من الباب العالي أو من بغداد أو البصرة إلا خطاب من القائد العام في بغداد[85]. و يضيف التقرير أن البعثة التقت بالشيخ ظهرا، كما جلس الشيخ إليهم مساء في معيّة عدد من وجهاء الكويت. و أخطرت البعثة الألمانية الشيخ بأنهم سيقيمون خطا حديديا ينتهي عند الكويت، و أن الكويت ستشهد عصرا من الرخاء الاقتصادي حيث ستزدهر فيها التجارة و تعمّ الفائدة. و في الصباح التالي التقت البعثة بشيخ الكويت بمفرده و أطلعوه بأنهم حازوا من السلطان امتيازا لبناء الخط الحديدي، و أن السلطان ضمن لهم أمر تنفيذ بناء الخط، و أنهم اختاروا كاظمة نقطة نهاية للخط. و طلبت البعثة إلى الشيخ أن يبيعهم المنطقة، أو يؤجر لهم بعض الأراضي المجاورة لها. و أخطرت البعثة شيخ الكويت بأن زيارتهم الحالية لا تهدف إلا إلى نقل تحيات السفير الألماني للشيخ، و التفاهم معه بصدد هذه الأرض، و أنهم ينشدون تعاونه، و يطلبون إليه أن يستغل صداقته بالشيوخ الآخرين على ساحل الفرات الذين سيجري الخط عبر أرضهم أو بقربها لتسهيل أمر امتداد الخط في تلك النواحى. و أخطرت البعثة مباركا كذلك بأنها ستدفع ثمنا باهظا عن الأرض التي سيشترونها، و إيجارا ثمينا للأرض المؤجرة، كما أنهم سيدفعون للشيوخ المتضررين من امتداد الخط الحديدي الذي سيقضي على مناطق الرعي مبالغ اخرى. و انهت البعثة للشيخ أن الكويت ستصبح من المراكز التجارية المرموقة، بل أنها ربما أصبحت بومباي أخرى، و أوعزوا له أن دخل الشيخ الخاص سيزداد، و سترتفع قيمة الأرض في الكويت إلى عشرين ضعفا،

و ستكون فرص العمل متوفرة للجميع. و أنهت البعثة لمبارك كذلك بأن الملاحة ستزدهر في الكويت حيث ستأتي الناقلات الضخمة لمقابلة القطارات في المنطقة. و منّت البعثة مباركا بأنه في حالة موافقته على إجابة رغباتهم فإنهم سيضمنون له و لورثته من بعده دعم ألمانيا برّا و بحرا، و انهم سيرسلون بارجة حربية ألمانية لحماية المكان. و أجابهم مبارك بأنه لم يستلم منهم خطابا موقعا من السلطان يبلغه بهدف البعثة. و أضاف الشيخ مبارك أن السلطان هو خليفة المسلمين، و تلك حقيقة، إلا أنه ليس من رعايا الدولة العثمانية، كما قال، و انه لن يوافق، كما ان العرب الآخرين لن يوافقوا أيضا على أن يجد الأجانب لهم موقع قدم في الأرض العربية. كما أفاد مبارك البعثة أن شيوخ العرب الآخرين لن يوافقوا على التنازل عن أماكن الكلأ ليسير عليه خط سكة حديد أجنبي. و أبلغ الشيخ مبارك البعثة أنه لا يستطيع أن يضمن سلامة الخط في ظهير الكويت و حفظ دماء المسافرين عليه، فالعرب في المنطقة أحرار مستقلون، و لا نفوذ له عليهم، فنفوذه قاصر علي الكويت فقط. و اختتم مبارك حديثه لجاسكن بأن البعثة ودّعته إلى لقاء حيث سيرجعون إلى استانبول لتنظيم بعض أمورهم و يعودون له بالصفقة النهائية. و ذكر مبارك بأن البعثة قدّمت له بعض الهدايا لكنه رفضها بحُجّة أنه لا يقبل الهدايا من ضيوفه [86].

لم تحرك هذه الأنباء لندن في الاتجاه المتشدد الذي تريده الهند، حتى هملتون، وزير الهند، ثبت على رأيه السابق من أنه يرى أنه لن تُضار المصالح البريطانية حين يصبح لألمانيا نهاية لخط حديدي في الخليج [87] العربي. أما الخارجية البريطانية فقد أوصت بالتريث و تجنب المواجهة إلا للضرورة. أما كيرزن فقد كتب إلى هملتون [88] يشكو من أنه لن يستطيع أن يفهم حتى حين يضع في اعتباره المشكلات البريطانية المستفحلة في جنوب افريقيا " بأننا سنقوم بتمزيق هذه الوثيقة (إتفاق الكويت) بعد أقل من إثنى عشر شهرا من إبرامها. و أن نسمح لألمانيا بأن تمشي الخيلاء دون اعتراض منا في الميناء الأوحد الأكثر مواءمة في الخليج كله. إن مواني الخليج قاطبة، فيما عدا ميناء الكويت، لا تعدو أن تكون إلا مجرد مراسي " و اختتم كيرزن بابداء أمله في أن " لا تكون الكويت مسقطا أخرى في تعاملنا مع وزارة الخارجية ".

أرسل سالسبري في18 ذي القعدة 1317 /20 مارس 1900 إلى السفير أوكنور يوجهه للفت نظر الحكومة العثمانية و السفير الألماني في استانبول بأن لبريطانيا ارتباطات خاصة بالكويت. و طلب سالسبرى إلى السفير أن لا يخوض في مناقشة طبيعة هذه الارتباطات. و في رسالة بتاريخ 11ابريل 1900 أنهى أوكنور بأنه زار وزير الخارجية العثماني في اليوم السابق و

أبلغه رفض بريطانيا القاطع لأن يكون في الكويت نقطة جمارك عثمانية أو ناظرا للميناء. و عرف السفير البريطاني أن الحكومة العثمانية أسقطت هذا الأمر. و تطرق السفير إلى البعثة الألمانية التي ذهبت إلى الكويت " التي يُقال " بأنها ستكون المحطة النهائية للخط عند أعالي الخليج. و أنهى السفير البريطاني إلى الوزير العثماني بأن الحكومة البريطانية لا تريد إخلالا بالوضع الراهن Status quo في الخليج العربي، و أنها لا ترغب أبدا أن تقيد من سلطة السلطان العثماني في تلك المناطق، لكن بما أن للحكومة البريطانية مصالح جمّة في الخليج العربي، فإنها لن تستطيع إلا أن تبدي اهتمامها بما يمكن أن يحدث في حالة منح أية قوّة أجنبية حقوقا في أرض تابعة لشيخ الكويت " الذي لهم معه اتفاقات مُعيّنة ". و أظهر الوزير العثماني زهدا في مناقشة هذا الأمر[89].

زار السفير الألماني في استانبول السفير البريطاني في مساء اليوم ذاته و جرى الحديث بينهما عن امتداد الخط الحديدي المزمع. و أبلغ السفير البريطاني زميله الألماني بأنه " سمع " بأن أعضاء بعثة الخط زاروا الكويت من البصرة " و أخطرت سعادته بأن لنا ارتباطات خاصة مع شيخ الكويت تمنعه من التنازل عن أية منطقة من أرضه لأية دولة أجنبية أخرى إلا بموافقة بريطانيا. و مع أننا لا نريد أن يستجد في المنطقة ما يخرجها عن" الوضع الراهن "إلا أنني جد واثق من أنه لن تقوم أي عقبات دون تمثيل الرأسماليين البريطانيين في هذا الخط "[90].

بدأت البواخر الألمانية تظهر في الخليج العربي منذ عام 1899 م، و كانت أركوناArkona من طلائع هذه السفن في تلك المنطقة. و في أوائل عام 1900 م تقدم جورج ماكينزي، أحد المالكين لشركة الهند البريطانية البخارية للإبحار، بتقرير جاء منه أن الشركة الألمانية لشرق افريقيا للبخاريات ستمدّ رحلاتها إلى الخليج العربي. و طلب ماكينزي تصريحا بان تمتد رحلات الشركة التابعة له إلى الكويت لتغطي المنطقة قبل وصول الالمان. و طلب ماكينزي من حكومة الهند أن تضمن له موافقة شيخ الكويت على هذا الأمر. و أحيل الطلب إلى لندن التي أقرّته و طلبت إلى السلطات البريطانية في البصرة الاتصال بمبارك لأخذ موافقته. وافق شيخ الكويت أولا و لكنه عاد و تراجع [91] خوفا من أن تمتد خدمات الحجر الصحي إلى مينائه. و طلب الشيخ أعفاءه من وجود حجر صحي إن كان لا بد للشركة من أن تعمل في الكويت. و على ذلك فقد تعثرت تغطية الكويت بخدمات سفن الشركة البريطانية، فدون وجود حجر صحي في الكويت لن يسمح للسفن القادمة منها الدخول إلى البصرة[92].

قرّر العثمانيون استمالة الشيخ مبارك الصباح فزادوا في رتبته و راتبه، و منحوه ميداليتين من الفضة والذهب ،كما منحوه وسام الامتياز أيضا و غير ذلك من الامتيازات التي وصفها كيرزن " بأنها مضحكة جدا عثمانية جدا "[93]. و بدأ الشيخ مبارك يستجيب للعثمانيين و يعتذر للبريطانيين بأن هذه الاستجابة تمت بضغط شعبي لاعتراض أهل المنطقة على موالأته للبريطانيين.

عندما بدأت المعارك بين ابن سعود و ابن رشيد وكان مبارك من أبرز فرسانها. أرسل كيرزن إلى المقيم كمبال يطلب إليه أن ينهى مبارك عن الاشتراك في المشكلات التي عمّت المنطقة الداخلية الجزيرة العربية حتى لا يعطي للعثمانيين ذريعة للتدخل في الكويت. أبحر المقيم كمبال إلى الكويت لكنه لم يجد مباركا هناك فقد كان يؤازر السعوديين في غارة على ابن رشيد. و في أواخر رجب 1318/منتصف نوفمبر 1900 م بات تدخل العثمانيين في الكويت وشيكا بعد أن تكرّر تدخل مبارك في نجد. و شعر الوزير هملتون بحرج الموقف و أشار على حكومة الهند بأن تقسر مبارك للإستماع إلى نصائحها و ذلك بموجب ما تسبغه عليه اتفاقية عام 1899م من حسن النوايا البريطانية، كما اقترح هملتون أن ترسل سلطات الخليج الهندو بريطانية تحذيرا لابن رشيد ينهاه عن غزو الكويت، ويخطره أن بريطانيا لن تسمح له بذلك. و اقترح هملتون في حالة أن يقوم ابن رشيد بغارة على الكويت يصيب فيها نصرا أن تأوي سلطات الخليج مباركا في إحدى بوارجها الحربية و تستبقيه في حمايتها ليعود حين يرتد النجديون عن الكويت. و أبلغ هملتون الهند بأن سالسبري يوافق على هذه الخطة شريطة أن لا تتخذ أية اجراءات في هذا الصدد دون اعلامه بها مسبقا. و أبرقت الهند إلى المقيم كمبال كي يبحر إلى الكويت و يبقى هناك ينصح و يشير. و اعترض المقيم كمبال على تعليمات الهند و علّل ذلك بأنه يخشى أن يفسر شيخ الكويت وجود المقيم معه بأنه يعني دعما بريطانيا له فيقوى بذلك و يزيد في التدخل في مشكلات وسط شبه الجزيرة العربية. و الواقع أن الشيخ مبارك الصباح لم يشتبك مع ابن رشيد هذه ال مرّة و تراجع إلى الكويت. و جاء في تقارير السلطات البريطانية في بوشهر و البصرة بأن العداء بين مبارك و ابن رشيد لن ينتهي أبدا. و عبّر راتسلاو عن اعتقاده بأن طموح مبارك هو السبب المحرك لكل هذه المشكلات[94].

لا يهمنا بالطبع تتبع سير المعارك في نجد، لكن يهمنا أن نشيرهنا بأن حكومة الهند و لندن من ورائها لم تكن تريد لمبارك أن يندفع في مغامرات في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية قد تكون نتيجتها ضدّه فيطالبهم بمساندته، أوقد تصب في صالحه فيمتد بحدوده إلى الداخل الذي لا ترغب الحكومة في التعامل معه. كان كل هدف السياسة الهندية في هذه الفترة لا يتجاوز حدود

المنطقة الساحلية التي اكتسبوا حقّ الدفاع عنها بموجب اتفاق عام 1899 م و ذلك بغية منع وصول أية قوّة من القوى الدولية إلى الخليج العربي من خلال الكويت. وعليه يجب - على أي حال- ان يحظر مبارك من التعامل مع شؤون نجد، فقد تكون نتيجة المعارك في صالحه فيمتد برقعته إلى الظهير البعيد عن مرمى مدافع الأسطول، و يمكن لمبارك في هذه الحالة أن يتصل بأية قوّة أخرى بما في ذلك العثمانيين، و لن تستطيع مدافع الاسطول ردّ مبارك عن إقامة الصلة مع العثمانيين، كما لن تستطيع حكومة الهند أن تجني في هذه الحالة من العمل الساحلي شيئا. و لهذا استقرّت سياسة حكومة الهند على إلجام مبارك عند الكويت، و تهديد ابن رشيد من خلال وكيله في البصرة من الهجوم على الكويت[95].

اشتعلت المعارك في نجد مرّة أخرى في مارس 1901، و اشيع أن مباركا قد قتل. و ابحرت السفينة سفنكس إلى الكويت للتحرّي ووجدت ان مبارك حيّا يُرزق بل إنه كان يدّعي أن ابن رشيد قد قُتل في المعركة. و في 15 ابريل أبحر المقيم كمبال إلى الكويت وسط شائعات بأن الباب العالي بات على وشك الخلاص من مبارك نهائيا، و أن حشدا عسكريا عثمانيا يتجمع في البصرة لتحقيق هذا الهدف. و أبرق كمبال في 26 ابريل بأن الموظفين العثمانيين المحليين طلبوا إلى مبارك أن يحدد موقفه من السيادة العثمانية. و أشار المقيم أن على بريطانيا أن تتدخل لمحاصرة أي تدخل عثماني ضدّ مبارك. أبرقت لندن الى السفير أوكنور ليلفت نظر الباب العالي لخطورة الوضع في الكويت و احتمال مساندة البريطانيين لشيخها تنفيذا لارتباطهم به بموجب اتفاق عام 1899 م. و لم توافق الحكومةالعثمانية على هذا التدخل البريطاني في هذا الشأن و أبلغوا أكنور بأن الكويت تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية [96] و لا يجوز للبريطانيين التدخل في شؤونها. و تحركت السفينة البريطانية بيرسوس لمواجهة الانزال العثماني في الكويت فتراجعت أمامها السفينة العثمانية المتوجهة إلى ذلك الميناء و التي لم تكن تحمل جنودا. دعا كيرزن، في هذه الأثناء، لندن لفرض الحماية على الكويت علنا، و لم يقر مجلس الوزراء هذا الأمر حيث رأوا أن لهم في جنوب أفريقيا من المشكلات ما يكفيهم، و أنهم لا يريدون استعداء أية قوّة دولية ما يزيد من مشكلاتهم. كما أرسل أوكنور، السفير البريطاني في استانبول، تقريرا إلى لندن يشير بأن اعلان الحماية البريطانية على الكويت سيستعدي الباب العالي دون شك، و ربما دفع بألمانيا لتسهم بدورها في الخلاف المتوقع حدوثه. استبعدت لندن فكرة الحماية على الكويت تماما. أما كيرزن فقد سخر من استبعاد هذه الفكرة حين ذكر أن حكومة " الوطن " قد فرضت الحماية على الكويت سلفا، و نراهم الان يطبقون أسس

هذه الحماية فعلا. " و ماذا تبقى من فرض الحماية حين يرسل الأتراك قواتهم، و ترد هذه القوات على أعقابها من قبلنا " [97]

سألت الحكومة العثمانية حكومة لندن في 29 اغسطس هل يعني ما قامت به السلطات البريطانية في الخليج العربي أن الحكومة البريطانية فرضت حمايتها على الكويت ؟. كما صرح السفير الألماني لدى استانبول في اليوم ذاته بأن إعلان الحماية البريطانية على الكويت يتعارض مع اتفاقية برلين. و أضاف السفير الألماني: " بما أن الكويت هي نهاية خط حديد الاناضول، فإن الحكومة الألمانية تعتبر فرض الحماية البريطانية على الكويت أمرا لا يتسق مع علاقات الصداقة بين البلدين." و أبلغ أوكنور زميله الألماني بأنه ليس لدى بريطانيا أدنى تفكير في فرض الحماية البريطانية على الكويت " إلا إذا قامت الحكومة التركية بلي ذراعنا في هذا الاتجاه و ذلك بتدخلها ضدّ شيخ الكويت ". و عاد السفير الألماني ليحتجّ على السفير البريطاني بأن حكومته عارضت نزول جنود عثمانيين إلى الكويت، و أن هذا يعني أنها تنكر سلطة الباب العالي على ذلك الموقع. كما أشار السفير الألماني أيضا أن وجود مذكرة بريطانية قُدِّمت إلى الامبراطور تقول بأن بريطانيا لا ترغب في التدخل في تلك المناطق وطالب السفير بأن تتثيد الحكومة البريطانية بما صرّحت به. و أضاف السفير الألماني مؤكدا أن حكومته تعتبر الكويت جزءا من أملاك السلطان، لا يخامرها في هذا أدنى شك.

احتجّت الحكومة العثمانية مرّة أخرى على فرض الحماية البريطانية على الكويت و نعتت اتفاق عام 1899م بأنه غير قانوني، و لا يمكن الاعتداد به. و أبرقت لندن إلى [98] استانبول في 11 سبتمبر 1901 تذكر بأنها ترغب في أن تحافظ على "الوضع الراهن" فقط، و أنها لن ترسل قوات إلى الكويت لاحتلال أو فرض الحماية عليه. و أضافت البرقية " أؤكد لكم ما نقله إليكم سفيرنا من أننا لن نحتل المكان، هذا في حالة أن لا ترسل تركيا قواتها إلى هناك ". و في برقية سرية في 27 سبتمبر 1901 من الوزير لانسدون إلى السفير أوكنور جاء منها أن أسلوب تعامله مع الحكومة العثمانية " بشأن الكويت يتطلب قدرا من الحرص و التدبر لأن اتفاقنا مع الكويت غير محدد و لا دقيق، و لم نحصل عليه بواسطة السلطان و لا بموافقته ". و كان من رأي أكنور " أننا لن نستطيع التراجع عن موقفنا. و إذا حاول الباب العالي إثارة هذا الأمر مرّة أخرى، فعلينا أن نتحول إلى وضع أكثر تحديدا و دقّة من الوضع الحالي الناجم عن التفاهم غير المحدد الذي يربطنا بالشيخ "[99].

أما الألمان فقد أثار مترنيخ، سفيرهم في لندن، منذ 25 جماد الأول 1319/9 سبتمبر 1901، مسألة وضع الكويت ضمن مسائل عُدّة أراد أن يعالجها مع الحكومة البريطانية. و اعتمد مترنيخ في حديثه عن الكويت على مذكرة كان الملك البريطاني قد سلمها للإمبراطور خلال زيارته لألمانيا[100], و كانت المذكرة، كما يقول لانسدون، قد كتبت للملك بهدف تبصيره ببعض المسائل الدولية التي قد تثار خلال زيارته إلى برلين، و أن الملك دفع بتلك المذكرة إلى الأمبراطور دون نقاش ربما لأنه لم يكن يدرك أنها أعدت لاستخدامه الشخصي. جاء في تلك المذكرة أن الحكومة البريطانية لا ترغب في المساس بسلطة الباب العالي في الكويت وذلك بشرط أن يبقى الوضع في الكويت كما هو As it exsists. و تقول المذكرة أيضا أن سلطة الباب العالي على الكويت غير محددة، و أن شيخ الكويت هو فرد من مجموعة شيوخ وطنيين يحكمون في تلك المنطقة بقدر كبير من الإستقلال الذاتي، و أن هذا الوضع هو الذي دفع بالحكومة البريطانية كي تقيم علاقات مع شيخ الكويت تحفظ بها أمن وسلام الخليج، و تصون بأسبابها التجارة البريطانية. و كان رأي الحكومة البريطانية التي أنهته إلى مترنيخ أن الحكومة البريطانية مستعدة للحفاظ على الوضع الراهن " إلا أنها تجد نفسها في وضع لا تستطيع أن توافق فيه على المحاولات الأخيرة لتركيا في فرض سلطتها عسكريا على شيخ الكويت ". و أعتبر الكونت مترنيخ أن الأمر سُوي تماما بتأكيد الحكومة البريطانية بأنها لن تفرض حمايتها على شيخ الكويت احتفاظا بالوضع الراهن [101]، و فات على السفير الألماني أن الحكومة البريطانية نفسها لم تكن تعرف ماذا يعني " الوضع الراهن "، فالتعريف الدقيق له، كما تقول الوثائق البريطانية، أمر يجب تجنبه.

أفاد راتسلاو [102] في نهاية عام 1901م أن الحكومة العثمانية أوفدت النقيب من البصرة إلى الكويت ليُخيِّر الشيخ مبارك بين أمرين هما: إما أن يأتي إلى استانبول ليصبح عضوا في مجلس الدولة، أو أن يترك الكويت إلى أي منطقة أخرى و يُجرى عليه معاش يكفيه. و أبحر النقيب على السفينة " زحاف " إلى البصرة و سلّم مبارك خطابا[103] ,و طالبه بالرد عليه في غضون ثلاثة أيام.وصدرت أوامر الأدميرالية إلى السفينة بومني Pomene أن ترسل قذائفها على الكويت إذا حدث أن خضع مبارك لأوامر العثمانيين. أما لندن فقد أصدرت تعليماتها بأن لا يبرح مبارك الكويت إلى استانبول او غيرها، كما احتجّت لندن لدي الحكومة العثمانية و أخطرتها أن هذا الأمر سينتهي إلى غير صالحها. و في الكويت أبلغ الشيخ مبارك النقيب، مبعوث العثمانيين، بأنه إذا صدع لأمر استانبول، فإن البحرية البريطانية ستضرب الكويت. و أكّد قائدا السفينتين بومبي و سفنكس هذا الأمر للنقيب الذي لم يجد بُدّا من التراجع والرجوع من حيث أتى.[104]

قام العثمانيون في أواخر عام 1902م بالتمركز في أم قصر، كما تمركزوا في نقطة رأس جيت Geit في جزيرة بوبيان، و تلكما منطقتان إستراتيجيتان تسيطران على مدخل خور عبد الله. و اعتبر شيخ الكويت أن التمركز العسكري للعثمانيين في هاتين المنطقتين يمثل خرقا للوضع الراهن فاستعدى السلطات البريطانية للقيام بواجبها لحماية أرضه. و عبّرت حكومة الهند عن رأيها بأن هذا الاحتلال قد تم بتحريض من ألمانيا و أن منطقة أم قصر " يمكن أن تُحوّل إلى مرسى حصين جدا "[105].

عبر لانسدون عن رأيه في الأحداث الأخيرة فقال ": إن مبارك رجل همجي لا يُوثق به، و لا يعلم أين تبدأ ممتلكاته و لا أين تنتهي. كما أن ارتباطنا معه هو مثل حدود أرضه، غير محدد. تعهدنا للشيخ بحسن النوايا Good offices التي لا نعرف لها معنى ". و قد أوضح الوزير هملتون للنائب كيرزن بأن جوهر الصراع حول الكويت يكمن " في أنها ستصبح نهاية خط حديدي، و عليه فإن الاهتمام بها إلى هذا الحدّ أمر غير مجد، فربما وجد الخط مخرجا آخرا إلى الخليج (العربي). و أن بريطانيا لن تستطيع وقف هذا الخط باحتكار كل المناطق التي يحتمل أن تصبح نهاية للخط عند الخليج (العربي). و علينا أن لا نتبع خطّا مستحيلا لنقاوم به أمرا بات حتما " [106].

طلب الشيخ مبارك الصباح إلى حكومة الهند في رجب 1320/اكتوبر 1902 أن تمدّه بمدفعين كي يضعهما في الجهرة يرد بهما الإعتداءات التي ربما تأتيه برّا من تلك الناحية. أرسلت حكومة الهند الطلب إلى لندن مقترحة رفضه، و أن يُقال لمبارك بأن الحكومة البريطانية تعهدت بحماية الكويت فلا حوجة له للمدافع، وأنّ على مبارك أن يفهم بأن الحماية البريطانية المقدّمة له مرهونة بما التزم به في عام 1899م و باتباع نصيحتهم. ووافق اللورد لانسدون على هذا الرأي بشرط أن تُحدد منطقة الكويت بصفة واضحة بأنها المنطقة التي " تجاوز أو تحاد الخليج الذي يحمل هذا الأسم ".[107]و استمر الحال على هذا المنوال بين تشدد السياسة الهندية و تعقل سياسة لندن و إن أجتمعت السياستان على عدم التدخل في مسائل الظهير و محاولة إبعاد الشيخ مبارك بشتى الأساليب من الدخول فيها .

شهد سبتمبر من عام 1902 م آخر محاولات يوسف الإبراهيم للهجوم على الكويت. و قد تمّت هذه العملية – كما تعتقد سلطات الهند – بالتعاون مع السلطات العثمانية في البصرة، على أقل تقدير. و حين اندحرت جماعات يوسف الإبراهيم أمام جماعات مبارك برّاعملوا على الدخول إلى الكويت بحرا. نظم يوسف داوين (قاربين) لنقل بعض جماعاته لساحل الكويت.و تصدى أرمسترنج

Armstrong، قائد لابونج، للداوين و طاردهما حتى دخلوا إلى المياه الفارسية حيث تم لآرمسترنج أسر الداوين بعد معركة لم تُذكر أعداد القتلي العرب و لا جرحاهم فيها بينما هلك في تلك المعركة أحد البحارة البريطانيين و جُرح آخرون. و ذكر السفير أوكنور في رسالة له إلى وزارة الخارجية البريطانية أن هذه العملية تثبت بوضوح التصميم البريطاني للدفاع عن مبارك. أما كيرزن فقد أرسل للندن ناعيا البحّار " لا يمكننا أن نجلس ساهمين غير مبالين و البحارة البريطانيون يفقدون أرواحهم. في تلك الأيام القديمة كنا نقوم بصبّ حمم قذائفنا المدفعية إذا لم نجد شيئا أكثر تشددا من هذا لنفعله "، و انتصرت لندن نائبها على الهند، و للبحار القتيل، بأن احتجت لدى الدولة العثمانية و أنذرتها بأنها ستتخذ في مثل هذه الحوداث مستقبلا ما يضمن لها صيانة مصالحها. و اعتذر العثمانيون بأن هذا الهجوم تمّ دون علمهم، و أنهم وجّهوا سلطات البصرة بأن تعمل على ترحيل أبناء شيخ الكويت القتيل إلى منطقة أخرى. و أوصى الوزير هملتون بعد ذلك بأن تقوم سلطات الهند البريطانية في الخليج العربي بإجرء مفاوضات بين الشيخ مبارك و أبناء أخيه القتيل. أما كيرزن فقد " أبدى للندن عميق أسفه لعدم تذرعها بهذه الحادثة لفرض الحماية الفعلية على الكويت "[108].

بدأت المفاوضات بين شقيّ أسرة الصباح التي تحمّل راتسلاو العبء الأكبر فيها. و انتهت تلك المفاوضات في سبتمبر 1903. و في منتصف عام 1904م دفع مبارك لأبناء أخوته مبلغ مائة ألف (100.000)روبية أخذها على سبيل القرض من خزينة الهند، أعطيت له دون الرجوع إلى حكومة لندن مما يؤكد حرص الهند على إنهاء هذه المشكلة لتجنب الغارات من الظهير. غير أن الظهير الذي هدأته السياسة الهندية حين أسكتت أبناء الشيخين القتيلين لم يلبث أن اضطرب مرّة أخرى بمحاولات ابن سعود لتأسيس دولته. هذا على المستوى المحلي، أما على المستوى الدولي فقد تزايد النفوذ السياسي لروسيا في منطقة الخليج العربي و لم تكن الكويت بعيدة عن دائرة الاهتمام الروسي.

الفصل الثاني

السلام البريطاني و المسألة المزمنة

(1899-1904م)

- روسيا و الخليج العربي في فترة ولاية اللورد كيرزن في الهند البريطانية
- إعلان لانسدون
- رحلة اللورد كيرزن إلى الخليج العربي

السلام البريطاني و المسألة المزمنة
(1899-1904م)

شكل التطلع الروسي للمياه الدافئة مسألة مزمنة لها و للقوى الدولية التي تجاورها. كانت بريطانيا بصفة خاصة تكافح هذا التطلع و تخشاه و تعمل على أن تُبقى روسيا مغلقة داخل حدودها حتى لا تتجاوز برّا لاستشراف البحر في أية منطقة من مناطق المستعمرات أو النفوذ البريطاني... محاولات مدّ روسي ومحاولات وضع حواجز بريطانية على أرض فارس المتاخمة لروسيا لصد ذلك المد, و اجتهاد بريطاني صادق في الوقوف في وجه روسيا لئلا تبلغ مياه الخليج العربي التي كانت تطمع في الوصول إليها. و لعل رسالة كيرزن لحكومة الهند التي نثبتها هنا تترجم وجهة النظر البريطانية و تشرحها.

روسيا و الخليج العربي في فترة ولاية كيرزن في الهند:

في تحليل أرسله كيرزن في 21 سبتمبر 1899 لوزارة الهند في شأن السياسة البريطانية في فارس [109] كان من رأيه أن فارس دولة لا يربط بين سكانها رابط واحد من عنصر أو ملّة أو ولاء إلا بالكاد. و يرجع كيرزن السبب الرئيس لتكامل فارس ووحدة أراضيها إلى أنها تقع بين روسيا و بريطانيا. دعا كيرزن حكومة لندن إلى صياغة سياسة بريطانية واضحة تجاه فارس إذا لم تعد سياسة " سد الثقوب "، التي تتبعها في هذا الوقت، صالحة على المدى الطويل حتى و إن أعطت في مرحلة ما نتائج ما في مسائل بعينها. قدّر كيرزن أن المصالح البريطانية في فارس ترتكز على أربع قوائم:

تجارية: حيث يصل حجم التجارة البريطانية في فارس إلى ثلاثة مليون ونصف المليون (3500000) جنيه. تفد هذه التجارة إلى فارس من الهند البريطانية عن طريق الشرق، كما يفد قسم منها عن طريق الجنوب (الخليج العربي) و يفد قسم آخر منها عن طريق الشمال.

سياسية: و هي اهتمامات هندية في طبيعتها، لكن في السنوات الأخيرة " و بالتحديد منذ زيارة الشاه السابق إلى أوروبا، دخلت فارس في دائرة الإهتمام الأوروبي " و أقامت النمسا و فرنسا و إيطاليا و هولندة و بلجيكا لها بعثات دبلوماسية في فارس.و يرى كيرزن أن بعثات هذه الدول ليس لها تأثير كبير في الحياة السياسية في فارس لكنه لا ينفي أن هذا التأثير، على ضآلته، واضح و محدد المعالم. و يرى كيرزن أن الاهتمام السياسي لحكومة الهند بفارس قد انقلب إلى اهتمام هندوبريطاني، حيث باتت كلكتا تقاسم لندن الهم في هذه الدولة بشكل مباشر ,و يؤيدهذا القول أن الخزانة الهندية باتت تتحمل نفقات بعثة طهران مناصفة مع الخزانة العامة في لندن

- استراتيجية: ويرى كيرزن، نائب الملك في الهند، أن هذا الجانب يمثل اهتماما هنديا بالدرجة الأولى. فالمصالح الاستراتيجية للهند في فارس ظلت قائمة قبل أن تستقرّ الحدود الهندية على ما هي عليه الآن، و قبل أن تصبح روسيا قوّة كبرى في وسط آسيا. و يذكر كيرزن أن فرنسا حين تطلعت إلى الهند في مطلع القرن التاسع عشر حاولت تسديد لكمتها للنفوذ البريطاني في الهند عن طريق فارس. وقد أطلّت هذه المحاولة لضرب الهند عبر فارس برأسها مرات عديدة بعدئذ. و يرى كيرزن أنه بعد أن أقيمت أفغانستان، و ضمن البريطانيون حدودها، ما عادت فارس تمثل مشكلة حدود كبرى بالنسبة للهند البريطانية، و لكن فما دامت فارس تجاور بلوشسستان التي هي تحت الحماية البريطانية و التي يدير أمورها بصفة شبه كاملة موظفون من حكومة الهند، و ما دام الخليج العربي الذي يغسل أقدام فارس هو بحر مجاور للمحيط الهندي، فإن فارس تمثل للهند أهمية استراتيجية لا يمكن انكارها. و قد لا تكون هذه الأهمية الاستراتيجية ذات شأن كبير إذا لم نضع في اعتبارنا ذلك الايقاع المنتظم المتزايد الخطوات للقوى الولية الأخرى في المنطقة و الذي لا يتسق دائما و المصالح الهندوبريطانية. صارهذا الخليج الذي ترقد فارس على ضفّته بؤرة اهتمام عالمي مؤخرا، و لهذا أصبحت ضرورة الاهتمام بشؤونه إمبريالية، كما هي هندية.

- برقية: حيث أن خطوط البرق التي تجري بين الشمال الغربي لفارس و بين طهران هي بصفة عامة في يد شركة بريطانية مقرّها لندن، كما أن الخطوط التي تربط بين طهران و الخليج

العربي تقوم بها مؤسسة هندية رئاستها في وزارة الهند في لندن. و بناء عليه فإن الاهتمام بسلامة البرق الذي هو اهتمام بريطاني، هو اهتمام هندي أيضا [110].

لم يكن كيرزن- كما جاء في مذكرته - يخشي ظهور روسيا عبر طريق آسيا العثمانية حيث الرجل المريض اهتمام عالمي، ومن ثمّة إمبريالي بريطاني لا تملك الهند من أمره شيئا. أما إطلالة روسيا على الخليج العربي من خلال فارس فذلك ما كان كيرزن يخشاه و يعتقد فيه، كما وضح من مذكرته. و بتتبع النشاط الروسي في الخليج العربي قبل زيارة كيرزن إلى الخليج يتضح لنا بجلاء أن الأمر لم يكن يستدعي كل هذا الإهتمام. فقد تابعت سلطات الخليج البريطانية كافة تحركات الروس أفرادا [111]، و جماعات و سفنا بدقّة متناهية. يعترف تقرير كيرزن أن الخليج العربي هو من الناحية القانونية de jure بحر مفتوح لأعلام جميع الأمم، أما الناحية الفعلية de facto فإن عبء ما أسماه كيرزن بمكافحة القرصنة وحظر تجارة الرقيق قد وقع على البريطانيين دون مساندة من أية قوّة دولية أخرى. و استمتع جميع أهل الخليج، نتيجة لمعاهدات عقدوها مع بريطانيا و آخرها معاهدة الكويت، بما أسماه كيرزن بالسلام البريطاني Pax Britanica[112].

يستطرد تقرير كيرزن ليذكر أن التجارة الرائجة في المنطقة هي التجارة الهندوبريطانية التي يجريها التجار البانيان من السند في لنجه و بندر عباس و البحرين و مسقط و غيرها من موانيء الخليج التي استوطنوها و التي تولى بعضهم التزام جماركها. أما السلع البريطانية و الهندية فهي تصل الخليج العربي في مركبات بحرية تابعة لشركات السفن الهندوبريطانية مثل شركات الهند البريطانية للملاحة، و بومباي فارس، و الانكليزية العربية، و كلها سفن تبحر من كراتشي و تغشى موانيء الخليج العربي في طريقها إلى البصرة. و أفاد تقرير كيرزن بأن سفن القوى الأجنبية الأخرى التي وفدت الخليج العربي منيت بخسائر أقعدتها عن العمل فيه ". أننا قد مكّنا لأنفسنا في مناطق نخشى فيها المنافسة، خاصة لو كانت هذه المنافسة من تردنا من دولة مثل روسيا تتطلع عبر تاريخها الطويل إلى الوصول للمياه الدافئة ".

في عام 1899م، قبل أن يكتب كيرزن هذا التقرير، زار دابيجا، القنصل الروسي في أصفهان، بوشهر و ظل مقيما فيها لفترة ما. وحاول دابيجا أن يؤسس وكالات قنصلية في بندرعباس و مسقط و المحمرة، و أشيع أنه سيقوم بمسح هرمز ليري امكانية صلاحيتها كمخزن للفحم لروسيا في الخليج العربي[113]. كما أفاد بعض المواطنين الفرس المقيم البريطاني في الخليج العربي أن ثلاثة

من الروس قدموا إلى بندرعباس، و أن إشاعات انطلقت مع مجيئهم بأن روسيا ترغب في أن تؤجر ذلك الموقع. وقد أثبتت التحريات اللاحقة أن هؤلاء الرجال الثلاثة لم يكونوا روسا إنما كانوا ألمانا.

تابع دابيجا رحلته من بوشهر إلى المحمرة و الأحواز، و واجه شيخ المحمرة بالاتهام بأنه و الشيخ مبارك في الكويت قد باعا نفسيهما للنفوذ البريطاني. كما أخطر دابيجا شيخ المحمرة في شأن سعي روسيا لحيازة ميناء في الخليج العربي، و أن البريطانيين يسدون الدروب دون وصولها إلى المياه [114].

انتشرت إشاعة محاولة روسيا إنشاء ميناء في بندرعباس فبلغت إلى لندن. خاطب سالسبري الحكومة الفارسية في 15 ابريل 1899 مُحذًرا من " أن بريطانيا لا تريد أن ترى أي من مواني الخليج تحت سيادة دولة أجنبية خاصة و أنها قد تبادلت المذكرات خلال نصف القرن الأخير، أكثر من مرّة، مع الحكومة الروسية بشأن احترام تكامل السيادة الفارسية ". وتلقى السفير البريطاني في بطرسبرج في 18 ابريل 1899 من الحكومة الروسية من أنها ليس لها أي مخططات لبلوغ الخليج العربي و أنها لا تنوي بأي حال أن تضيف إلى أعبائها و مسؤولياتها الحالية مسؤولية حيازة ميناء بعيد أوإقامة محطات يتطلب الدفاع عنها في أوقات الحرب جهدا اسطوليا. و استمرت الإشاعات حول بندر عباس تترى دون ظهور أثر مادي لها. و كان من أبرزها ما أثاره سلطان مسقط في ابريل 1900 حين سأل الوكيل البريطاني لديه عن رأيه فيما تزمع روسيا القيام به في ساحل مكران، و هل يبغي الروس أن يُمكّنوا لأنفسهم في جوادر. و نفى الوكيل معرفته بأي أمر في هذا الشأن، كما نفت حكومة الهند علمها بما يتصل بذلك.

قدّمت الحكومة الروسية للحكومة الفارسية في يناير 1901 قرضا قيمته 22.5 مليون روبل يُسدد بضمان الجمارك على مدى خمسة وسبعين عاما. كما أشيع في 4 سبتمبر من نفس العام بأن روسيا ستقدم لفارس قرضا قيمته 17 مليون روبل أخرى كي تستخدمه في تسليح و تحصين مناطق جنوب فارس، خاصة في ميناء بندرعباس. كما قام في نفس هذا العام جماعة من المهندسين الروس بصحبة بعض الموظفين الفرس لزيارة مناطق في جنوب فارس، و كانت الرحلة بهدف استطلاع إمكانية تشييد خطوط حديدية في المنطقة و لكي يدرس المهندسون الروس على الطبيعة إمكانية إقامة نقطة نهاية لهذه الخطوط على الخليج العربي. و في هذه السنة أيضا زارت السفينة الروسية جلياك الخليج العربي و أشيع بأنها جاءت لتعمل على إقامة محطة فحم في بندر عباس.و أنكرت الحكومة الروسية الأمر حين اتصلت بها حكومة لندن مستفسرة. و أشيع أيضا أن جلياك كانت تحمل

هدية إلى شيخ الكويت. و جاءت التقارير كذلك بأن بيلنبرج Pellenberg ، شخص يحمل الجنسية الروسية، قد وصل إلى عربستان، كما وصل سوروميانتكوف Soromiatnikoff، وهو روسي آخر، إلى بعض المناطق في الخليج العربي. و جاءت التقارير بأن سوروميانتكوف جاء إلى الخليج العربي لاستكشاف إمكانية التعامل التجاري مع موانيء الخليج. و تذكر المصادر أن تقرير هذا الرجل اشتمل على عدّة توصيات منها إقامة خط بواخر روسي منتظم إلى الخليج العربي تدعمه الحكومة الروسية و ذلك بهدف توصيل السلع الروسية إلى الجنوب الفارسي. كما أوصى سوروميانتكوف بتأسيس بنك روسي في أحد موانيء الخليج العربي، و أن تقام في الميناء قنصلية توكل حراستها إلى بعض القوازق، و أن تكون لروسيا سفينة حربية واحدة على الأقل مرابطة في الخليج العربي. كما أوصى الرجل بإقامة مخزن فحم في بوشهر، و أخر في البصرة. و تأكدت هذه المتواترات حين عُرف أن لجنة شكلّها وزير المالية الروسي قد قامت بدراسة هذه المقترحات و أقرّت إقامة قنصلية روسية في بوشهر، و إقامة خدمات بحرية بسفن بخارية تربط بين أوديسا و بندر عباس لبدء الاتصالات التجارية بين الشركات الروسية و بندرعباس و جنوب فارس عموما. و أبرقت رويتر أن الخط الروسي البحري سيبدأ عمله بين أوديسا و الخليج العربي في 14 فبراير[115].

أبرق كيرزن في 16 مارس 1900 إلى وزير الهند يذكر أن الوزارة لم ترد على ما أثاره في مذكرته بتاريخ 21 سبتمبر 1899 التي تدعو إلى اتباع سياسة محددة بشأن تعاظم النفوذ الروسي في فارس و التي جاء فيها أن حكومة الهند قلقة تجاه تعاظم هذا النفوذ الذي يجب وضع حد له كي لا يصل إلى الخليج العربي برّا. و أكد كيرزن أنه لا يمكن لحكومة الهند أن تقبل بأن يتبلور النفوذ الروسي في شكل مرفأ على الخليج، أو في شكل تسهيلات أسطولية يمكن أن يحصلوا عليها.[116].

وفي الحقيقة فقد كان كيرزن أكثر وضوحا من سالسبري في سياسته المتشددة تجاه فارس، و يظهر ذلك جليّا في مذكرته التي وضعها في 21 سبتمبر حين أشار معقبا على رسالة ديورند بتاريخ الأول من شوال 1316/12 فبراير 1899 بأنه لم يجد في أضابير حكومة الهند أية قواعد تحكم السياسة التي يجب أتخاذها تجاه فارس و العمل على مقاومة المدّ الروسي. حدّد كيرزن في هذه المذكرة طبيعة المصالح الهندوبريطانية في فارس، وأشار في مذكرته هذه إلى خطاب سالسبري إلى الحكومة الفارسية بتاريخ 15 ابريل الذي استفسر فيه عن صحة إشاعة تنازل فارس لروسيا عن ميناء في الخليج العربي و الذي قررّ الوزير فيه للحكومة الفارسية بأن الحكومة البريطانية لا ترحب بوجود سيادة أوروبية على أي ميناء من موانيء الخليج العربي. و رأى كيرزن في هذا الخطاب

بداية لسياسة ايجابية. و تذهب مذكرة كيرزن إلى أن السياسة الحالية (في 1899 م) ربما قامت على الحفاظ على تكامل الأرض الفارسية بمذكرات تبودلت في خلال نصف هذا القرن (أولهما في 1833 و آخرها في 1888 م) بين الحكومتين البريطانية و الروسية، كما رأى أن هذه السياسة قد لا تثبت كثيرا أمام المد الروسي المتزايد، و دعا كيرزن إلى النظر في البدائل التي صوّرها فيما يلي: [117]

- إعادة احياء البيان المشترك من القوتين البريطانية و الروسية بخصوص الشأن الفارسي [118] و ذلك بأن يقوم البلدان بالتاكيدعلى القيام بإصلاحات معينة في مجالات الادارة و المال و تطوير الاستثمارات." وتستطرد المذكرة لتقول: " غير أن روسيا لن تساير هذه السياسة الإصلاحية التي تقود إلى تكامل فارس إذ تعمل سياستها على تفكيك الأرض الفارسية. و يمكن ملاحظة هذا في أن روسيا جدّدت في عام 1899 م اتفاق عام 1889م الفارسي الروسي الذي تعهّدت فارس بموجبه أن لا تمنح امتياز بناء خطوط حديدية في فارس إلا لروسيا ".

- تبني مشترك من كلا الدولتين البريطانية و الروسية للشأن الفارسي و العمل على تطوير خططهما و ذلك بتقسيم فارس إلى منطقتي نفوذ على غرار ما حدث بين هاتين الدولتين في الصين فيما يتصل ببناء الخطوط الحديدية فيها. و إذا اقتصر تحديد النفوذ بين الدولتين في الصين على بناء الخطوط الحديدية في مناطق معلومة لكل منهما، فإن تحديد النفوذ في فارس يمكن أن يشمل مجالات التعدين و الطرق و الصناعة و الاستثمارات الاقتصادية الأخرى، كما يمكن ان يشمل إلى حد ما، ممارسة النفوذ السياسي الذي يتبع " في البلاد الشرقية " الخطوط الحديدية و الاستثمارات التجارية !. و أكد كيرزن ضرورة قيام منطقتي نفوذ في فارس لبريطانيا و روسيا، و ذكر أن الفكرة ليست جديدة حيث يمكن أن نجد أثرها في خطاب سالسبري المذكور آنفا الذي أشار إلى أن بريطانيا لا تعترض على الاستثمارات الروسية في شمال فارس. كما نجد هذه الفكرة ذاتها في خطاب ديوراند حين رسم الحد الذي بلغه النفوذ الروسي في المنطقة من خانقين على الحدود التركية متجها صوب كرمانشاه و حمدان و اصفهان و يزد و كرمان ثم إلى سيستان حتى يتصل بالحدود الشرقية لأفغانستان. و رأى كيرزن أن هذا الخط تسانده في كثير من أجزائه جيمورفولوجيه الأرض حيث تفصل الصحارى في وسط فارس بينه و بين جنوب فارس، و ذكر أن هذه التضاريس الأرضية قد تسانده في بعض أجزائه الأخرى. و اقترح كيرزن تعديل تلك الحدود بما يتفق. وعاد كيرزن ليلاحظ أن تقسيم مناطق النفوذ في فارس ينطوي على خطر جسيم. فحين تقرّ بريطانيا لروسيا بالنفوذ في

شمال فارس فإن الحصة الروسية ستشتمل على طهران، و ستمارس روسيا بذلك نفوذا على الحكومة الفارسية، و سيصبح الشاه حجر شطرنج في لعبتها لاكتساب النفوذ و لبلوغ الخليج العربي. ويستطرد كيرزن فيقول: " كما أن روسيا بهذا التقسيم ستصبح قوّة كبرى في منطقة وسط فارس و لن تستطيع حكومة الهند أن تراهن على أنها تستطيع حصر روسيا في الشمال و أن تحجب الخليج العربي عن روسيا، فقد تصله عن طريق بغداد"[119].

حرّضت مذكرة كيرزن على أن تقوم بريطانيا في الجنوب الفارسي بزيادة تأكيد نفوذها في تلك المنطقة، و أن تقوم بالرد بالمثل على أية خطوة تخطوها روسيا في الشمال فتقابلها بخطوة مناوئة في الجنوب لحماية المصالح الهندو بريطانية. و انتهى كيرزن إلى ما يريد أن يؤكد عليه من أن "من حقّ حكومة الهند على حكومة لندن التعامل مع الشؤون الفارسية" و احتجّ بان مجمل النفقات التي تتكفل بها حكومة الهند في فارس لصيانة المصالح الهندو بريطانية هو واحد و ستون الف و اثنين وخمسين (61052) جنيها استرلينيا في حين أن لندن لا تدفع إلا خمسة عشر الف و اربعمائة و ستين (15460) جنيها استرلينيا. و إذا أضيفت إلى هذا المبالغ النفقات الأخرى التي تنفق في العربية التركية، نجد أن الهند تدفع واحد وسبعين الفا و ست و اربعين (71.046) استرلينيا في حين أن ما تدفعه بريطانيا لا يتعدى في جملته خمسة الآف و خمسمائة و سبع وتسعين (15.597) استرلينيا ".

حين نعيد النظر في مذكرة 16 مارس 1900 التي أرسلها كيرزن إلى لندن مطالبا بالرد على رسالته في 21 سبتمبر نجده يركز على القرض الروسي لفارس الذي رأى فيه كيرزن سيطرة على معظم أرض فارس بما في ذلك الأرض التي تدخل في دائرة السيطرة و النفوذ البريطاني.و شدّد كيرزن في رسالته على التقارير التي تقول بقرب قيام روسيا ببناء خطوط حديدية في مناطق متفرقة من فارس تربطها بالخليج العربي. كما أشار كيرزن إلى ظهور بارجة حربية روسية في مياه الخليج العربي. " يقال أن قائدها تفاوض مع السلطات المحلية بخصوص حيازة محطة فحم في ميناء بندر عباس "، و تستطرد المذكرة بأن حكومة الهند ترى أن الوضع في فارس غدا حرجا و يتطلب عملا حاسما و إعلانا صريحا للحكومة الفارسية تحدد فيها حدود و طبيعة المصالح الهندو بريطانية في الجنوب الفارسي. و تستطرد مذكرة حكومة الهند فتعلن: "أننا مستعدون للتضحية للحفاظ على ما نعتبره مصلحة هندية في فارس، و لذلك نطلب رأيا من حكومة لندن يبين مدى مساعدتهم لنا "[120].

أجاب وزير الهند بتاريخ 6 يوليو 1900على مذكرة اللورد كيرزن مشيرا فيه إلى ما جاء في تلك المذكرة، و على برقيته المشار إليها سابقا. و لم ينكر الوزير في خطابه أن " الميزان المتأرجح في فارس قد مالت كفته في غير صالحنا ". و أشار الوزير أن تهديد روسيا للنفوذ البريطاني لا يعتمد على ما تقوم به روسيا في هذا المجال فقط لكنه يستند أيضا بصورة أكبر على الجهود التي يمكن أن تقوم بها حكومة لندن لمقابلة هذه السياسة و العمل على الحد منها، " و عموما يخيل لنا أنا لن نستطيع أن ندافع عن سياسة فحواها إلغاء المنافسة الأجنبية في الخليج، لأننا لا نستطيع أن نمنع القوى " المتمدنة " من أن يكون لها موانيء في فارس بحجة أن وجودها هناك سيكون وبالا على احتكار اكتسبناه منذ زمن. هذا إذا كانت روسيا ستبلغ البحر برّا عن طريق فارس، أما إذا جاء وصول روسيا إلى الخليج عن طريق البحر فإن بريطانيا لم يحدث لها أن قاومت، و لن يتسنى لها أن تقاوم، وصول سفن أية قوّة من مثل هذه إلى الخليج العربي بحرا ". و أشارت حكومة لندن إلى أن العمل على الوقزف ضد ربط المناطق الداخلية من الأرض الفارسية بموانئها في الخليج العربي، والعمل على منع استخدام هذه الموانيء الفارسية لصالح رعايا أو بضائع الدول اجنبية فذلك لا نوجد له سوابق في الماضي. " إن ما استطعنا أن نمنعه في الفترة الماضية، و الذي يجب علينا أن نستمر في منعه هو أنه لا يجب أن تتحول مثل هذه الخطوط الحديدية التي تقود إلى مناطق النفوذ البريطاني، و التي ليس لأية قوّة أخرى فيها مصالح تماثل مصالحنا، إلى أداة سياسية تُستغل لتحقيق طموحات عسكرية، أو أن تتحول مخارج تلك البحار إلى قواعد عسكرية أو محاط تزويد بالفحم ". و يؤكد وزير الهند لنائب الملك في الهند مرّة أخرى بأنه لا يستطيع أن يعترض على بناء خطوط حديدية في الجنوب الفارسي أو في أية منطقة أخرى من فارس."إن كل ما نستطيع فعله يقوم، التأكيد، على أنه إذا رغبت فارس في بناء خطوط حديدية في تلك المناطق فيجب أن لا تقوم بذلك إلا بموافقتنا – و إذا أمكن- بتعاوننا.و إن ما يشار إليه عادة بسياسة تطوير هذا القطر فيجب أن لا تتخذ تلك السياسة حُجّة لمعارضة المصالح البريطانية. إن الحكومة البريطانية مجتمعة تشاركنا هذا الرأي، و أن سالسبري كتب بهذا المعني في 14 ابريل الماضي إلى الحكومة الفارسية. وذكّر سالسبري في رسالته الشاه الحالي بما سبق أن وعدنا به سلفا من أنه لن يتمّ منح أية امتيازات لقوى أجنبية في جنوب فارس إلا بعد استشارة الحكومة البريطانية ". و تستطرد الرسالة فتفيد بعلم الحكومة بقيام جماعات من المساحين الروس الذين يحملون جوازات سفر فارسية في الفترة الأخيرة يصحبهم مواطنون فرس بزيارة جنوب فارس حيث مسحوا بعض المناطق و درسوا احتمالات وصول هذه الخطوط إلى الخليج العربي." و بما أن هذا العمل قد

جاء بعد وصول رسالة سالسبري إلى الشاه، فإن هذا يجعلنا نرقب المستقبل بمنظار أسود ". و أخطر الوزير حكومة الهند بأن لندن أرسلت للشاه مرّة أخرى تُذكُره بوعد أبيه، و بإصرارها على أنها لا تريد أن يكون لأية قوّة أجنبية سيطرة على جمارك جنوب فارس، و أن لا يكون لأية دولة أوروبية أية ادارة أو سيادة على أي ميناء أو موانيء على الخليج العربي. و يشير الوزير أنه لا خلاف بين سياسة حكومتي لندن والهند في هذا الصدد, لكنه يعزو صعوبة تنفيذ هذه السياسة إلى أن الوفاء بها يقوم "على دولة شرقية فاسدة الرأي "[121].

أزعج حكومة الهند ما أشيع بعدئذ من أن المدعو سيرومينا تينكوف Syromietnkoff زار الكويت ليقدم للشيخ مبارك نوط شرف روسي بحُجّة أنه أعان جلياك حين زارت الخليج العربي، و تفيد الأنباء أن مباركا رفض قبول النوط.

كتب السفير البريطاني في بطرسبيرج في ديسمبر 1900 أن بعثة روسية غادرت إلى طهران لدراسة أمر تنشيط التجارة الروسية في فارس. و أرسل وكيل البرق في خربار بعد هذا مشيرا إلى أن روسيين هما نيقولا ستكشفتس Stekcheevitch و مايكل هايرمز Heeems و معهما خادمان روسي و فارسي، قد وصلا إلى خاربار في يوم 24 مارس 1901 و بقيا بها لأربعة أيام. و قام هؤلاء المبعوثان بتصوير المنطقة و إعداد رسومات أولية لبعض المواقع فيها. و استقبلت مسقط ليونتيفLeontieff و ارمتيري Ermtere في 18 ذي القعدة 1318/ 9 مارس 1901. و قد قام هذان الروسيان بزيارة القنصل الفرنسي ثم بزيارة السلطان و طلبا إليه أن يمنحهما إذنا خطيًا بالسماح لهما بالعمل في تجارة السلاح في مسقط. و رفض السلطان إصدار الإذن الخطيً " لأن حرية الإتجار في السلاح مكفولة للجميع "، كما قال السلطان. كما أرسل كوكس، الوكيل البريطاني في مسقط، بتقرير إلى الهند يفيد بأنه وصلت إلى مسقط في بريد 4 ابريل رسالة إلى عنوان القنصل الروسي في مسقط التي لم يعين فيها قنصل روسي بعد, كما أفاد تقرير وكيل مسقط في 15 يونيو 1901 بظهور خبر في الصحافة الفرنسية و العربية يفيد بأن روسيا تزمع تعيين قنصل لها في مسقط[122].

وصل المواطن الروسي دابيجا إلى بوشهر في13 ذي القعدة 1318/ 4 مارس 1901 و عرف المقيم منه أنه كان ينتظر وصول باخرة تجارية روسية، و تأكد هذا حين وصلت الباخرة كوربيلوف Korniloffفي 21 مارس ظهرت إحدى بواكير السفن الروسية التي عملت في تجارة الخليج العربي. تحركت هذه الباخرة من أوديسيا وابحرت إلى الخليج العربي مباشرة، و رست في

موانيء مسقط و الجاسك و بندرعباس و لنجة قبل أن تبلغ بوشهر. كما استطاع ربان هذه السفينة أن يقابل في معيّة القنصل الفرنسي، سلطان مسقط. و أفرغت هذه الباخرة الكثير من السلع لعل أهمها الكيروسين و السكر و المنسوجات القطنية و الحريرية في بوشهر، و مثلها في بندرعباس أيضا. و قد تولى تاجران مقيمان على السفينة تصريف هذه السلع لحساب شركة موسكو. كما غادر ثلاثة من الروس الذين كانوا على ظهر السفينة إلى شيراز.

بدأت السفن الروسية اعتبارا من هذه السنة تصل الخليج بصورة متقطعة، و بلغ بعضها البحرين. و تكرّرت زيارة الباخرة كورنيلوف للخليج العربي حيث وفدته مرّة أخرى في أوائل اكتوبر. كما وصلت في 31 اكتوبر الباخرة سجرد Sigrid محملة بالكيروسين من باطوم و أفرغت منه 18.000 صفيحة في بوشهر و 45415 صفيحة في البصرة. و شحنت سجرد من البصرة ثلاثمائة طنا من الحبوب، كما شحنت متئن و خمسين طنا أخرى من الحبوب من بوشهر. كما حملت هذه السفينة ستمائة و عشرين طنا من الأوكسيد الأحمر من بوموسى. و لم تكن سجرد مدعومة من قبل الحكومة الروسية كما هو الحال مع كورينلوف و إن تردد أن الحكومة الروسية دفعت عنها رسوم عبور قناة السويس.

خاطبت حكومة [123] الهند في 9 نوفمبر وزيرها في لندن مرّة أخرى بشأن النشاط الروسي في فارس ووجوب مجابهته بصورة جادة خاصة و أشارت إلى أن هناك مفاوضاتتجري بين روسيا و فارس لحصول الأخيرة على قرض جديد و عقد اتفاق تجاري جديد ترى سلطات الهند أنه يمكن أن يسوق الضرر إلى التجارة البريطانية. كما أشار هذا الخطاب إلى تزايد الخدمات الملاحية الروسية إلى الخليج إضافة إلى انتشار الوكالات القنصلية لروسيا في فارس. و يؤكد خطاب كيرزن، الحاكم العام للهند، نائب الملك، أن مسألة فارس و الخليج أصبحت أعقد مسألة في سياسة وسط آسيا يمكن أن تواجه الحكومة البريطانية. و تستطرد المذكرة لتذكر أن من البديهيات المتواترة في السياسة البريطانية التي لا تحتاج إلى إعمال فكر أو إعادة نظر، أن النفوذ البريطاني في جنوب فارس و في الخليج العربي يجب أن يبقى طاغيا. " و على هذا فأننا لا نرغب في أن تنافسنا القوى الأخرى هنالك. و مع أننا ندرك أننا لن نستطيع الوقوف أمام المعارضة باستخدام الأساليب الشرعية على نحو مقبول عقلا، إلا اننا ندرك في الوقت ذاته أن خلق مصالح سياسية معادية لنا في تلك الأرجاء هو أمر لن نسمح به إلا إذا ضحينا بصورة خطرة بالمصالح الهندية، و بالتالي بالمصالح البريطانية. و لا نعرف أي إداري هندي أو أي مسؤول سياسي بريطاني حاول أن يحيد على هذا

الرأي أو لم يعمل على التقيد و الالتزام به. لكن قد تبين لنا أخيرا أن هنالك شواهد تشير إلى رغبة بعض الدوائر في لندن للخروج عن هذه السياسة المرسومة. ترى هذه الدوائر أن الهيمنة السياسية التي أرست بريطانيا العظمى دعائمها في هذه المناطق بالتضحيات الجسام، و بذل الجهد و المال، هي سياسة يجوز للآخرين أن يتحدوها، و أن يتطلّعوا إلى مقاسمة بريطانيا النفوذ في تلك المناطق. وترى هذه الدوائر أنه لن يقع ضرر على المصالح البريطانية من مد الخطوط الحديدية (مثلا) إلى الخليج العربي، أو أن تحوز هذه القوّة أو تلك على ميناء أو محطة أسطولية على بر الخليج العربي. و إننا نرى أنه ليس لأي أحد، سوى حكومة الهند، الحقّ في ان يفتى في ما يتصل بهذا الموضوع أو أن يعمل على معالجته. فنحن نجد أن المصالح الهندية فقط هي المعنية في هذا الشأن ". و أكد كيرزن في رسالته التي عرّض فيها ببعض الدوائر في لندن، أنه يجب الأخذ في الاعتبار التام وجهة نظر حكومة الهند في أي أمر تقرره حكومة لندن في هذا الصدد. " و لهذا قررنا أن نرسل إلى سيادتكم هذا لإبلاغ ما جاء فيه إلى حكومة جلالته بالصورة التي ترونها مناسبة. لا اعتراض لدينا على أن تصل روسيا أو أية قوّة أخرى بتجارتها إلى الخليج العربي عن طريق الخطوط الحديدية أو عبر أية وسيلة أخرى، لكن نرى أن ما يمكن أن ينجم عن هذه الارتباطات الفارسية بروسيا يمكن أن يؤدي إلى سيطرة روسيا على الاتجاهات السياسية في فارس، و تزداد بالتالي حقوق روسيا في تلك الارجاء ونرى ان ذلك لا يعني إلا الخطر الذي بات محدقا بأمن الهند ". و رأى كيرزن امكانية قيام هذا الخط الحديدي الروسي بشرط أن تكون لبريطانيا اليد العليا على الجزء الذي ينتهي إلى ساحل الخليج العربي في المناطق التي يسيطر عليها النفوذ البريطاني. " إن ما ترغب فيه روسيا هو انشاء خط حديدي يقوم بصورة شاملة على رأس المال الروسي، يديره و يُسيِّره بصفة كاملة وكلاء لروسيا. ويرى كيرزن إن روسيا لم تقصد من إنشاء هذا الخط خدمة أهداف تجارية إنما لتحقيق أهداف سياسية و استراتيجية، و أن هذا الخط سينتهي إلى ميناء روسي و ليس ميناء فارسيا. و يمكن لنهاية هذا الخط الحديدي الروسي في الخليج العربي أن ينقلب من مجرد محطة تزويد بالفحم إلى قاعدة أسطولية مُحصّنة في المحيط الهندي."[124].

" ربما يُقال في معرض الرد أن إنشاء الموانيء [125] لن يقود إلى السيطرة البحرية، و أن ميناء روسيا في الخليج العربي لن يضيف إلى قوّة روسيا شيئا. فهي لا تملك الأسطول المؤهل بما يكفي للذود عن الميناء "، و يستطرد كيرزن بأن هذا ربما كان صحيحا إذا قنعت روسيا بأن تظل قوّة برية بصفة شاملة, لكن الثابت في نظر كيرزن أن روسيا لا تملك أسطولا لأنه ليس في حوزتها من الموانيء إلا القليل، و أن قوّة أسطولها سرعان ما تتعاظم حين تجد لها مخارج بحرية آمنة و

محصّنة. و دعا كيرزن إلى نظرة أشمل إلى المستقبل لتخطيط السياسة في المنطقة، و أن لا ينظر الساسة إلى مواطئ أقدامهم، فاستشراف المستقبل يظهر أن روسيا ستكون من أعظم القوى الأسطولية مستقبلا. " يُقال أيضا مقارنة بما يمكن أن تملكه روسيا من قوة أسطولية، أن ميناء روسيا في الخليج، و أن تجارة روسية فيه و في البحار الهندية ستكون تحت رحمة الاسطول البريطاني في المياه الشرقية. و الحقيقة أن الكفّة الحالية راجحة لصالحنا تماما، أما استمرارها على هذا المنوال فذلك أمر يكتنفه شكّ عظيم. هناك سوابق لهذا في بورت آرثر، و في باطوم، و في فلادفستك، حيث حصّنت روسيا تلك الموانيء لدرجة يصعب اختراقها. و على هذا المنوال يمكن أن تصير إليه أية قاعدة يمكن أن تحصل عليها روسيا في الخليج العربي "[126].

" يُقال أن الاتفاق مع روسيا بتقديم بعض التنازلات سيحدّ من امتدادها " و يرى كيرزن " أن تلك هي حُجّة فارغة، و يمكن أن نجد في الصين مثلا، المثال الذي يدحض هذه الحُجّة. أخذت روسيا بورت آرثر، و كان ذلك مقدمة لتمتص بعدها منشوريا. و كأحد المتخصصين في دراسة التطلعات و الأساليب الروسية – و قد سلخ هذا خمسة عشر عاما من عمري – فإني أؤكد بكل الثقة شيئا لا يستطيع أي سياسي روسي أن ينكره و هو أن مجمل طموح روسيا يكمن في سيطرتها على آسيا، و هذا ما يُحدِّث به سلوكها و تاريخها و تقاليدها. إن ابتلاع هذه القطع الصغيرة هنا وهناك لن يشبع نهم روسيا. إن حيازة روسيا لطهران و مشهد لن يجعلها تزهد في سيستان، و بالمثل فإن حيازتها لسيستان لن يحول أنظارها عن الخليج (العربي).و إذا حازت الخليج (العربي) فإنها ستثير المشكلات في بلوشستان، و إذا تمكنت من هيرات في تركستان الأفغانية فإن كابول لن تكون في مأمن منها. و إذا حصلت على الباميرز Pamirs فإن هذا لن ينقذ كاشاقير Kashager، و إذا تمكنت من كاشاقير فإن هذا لن يحجب التبت عن أنظارها. إن كل لقمة تمضغها روسيا تشعل نهمها فتقول هل من مزيد، و تثير فيها شهوة مُلّحة للسيطرة على آسيا بكاملها ". و يرى كيرزن " أنه إذا كان لروسيا حقّ في تحقيق هذه الطموحات فإن لبريطانيا حقًا (لا بل هي مرغمة) للدفاع عما اكتسبته، ويجب عليها أن تقاوم هذا التوغل الأصغر الذي هو جزء البارز من خطة أكبر. و مثلي مثل كثير من المتخصصين في دراسة المشكلات الآسيوية فإن نبذ الخلاف أو السعي من جانب بريطانيا للتعاون مع روسيا في هذه المرحلة هو أمر غير ممكن. ففي هذه الصفقة لن ترضى روسيا إلا بالتضحيات من جانبنا، سيكون كل العطاء من نصيبنا، و كل الربح من نصيب روسيا. إن الطريق الأسلم هو أن تقوم بريطانيا بصياغة سياساتها و إعلانها، و حتى لو قاد هذا إلى حرب فإن النتيجة ستكون إنقاذ فارس "، و يتساءل كيرزن ماذا يمكن أن يحدث لو صار لروسيا ميناء على

الخليج العربي. و يرد على هذا التساؤل بأن أول نتيجة هي نهاية فارس كقوّة ملكية مستقلة و ذوبانها في روسيا مثلما ذابت بخارى و غيرها سلفا في نطاق روسيا." أن شمال فارس هو حاليا في كف روسيا يمكن أن تطبق عليه حين تشاء و تضمّه إليها، و أن بناء خط حديدي روسي إلى الجنوب من طهران سيمد الذراع الروسي في هذا الاتجاه، و يصل بها إلى المحيط. أما مد أجزاء هذا الخط الحديدي إلى الشرق و الغرب فربما يتأخر لفترة وجيزة، لكنه سيحدث إن عاجلا أو آجلا. أما الشاه فيمكن أن يظل على عرشه مثله مثل أمير بخارى، و شأنه شأن الأمراء الآسيويين التابعين للبريطانيين في الهند. إن بناء خط حديدي للخليج العربي سيغني روسيا عن التقدم إلى حدود الأفغان أو بلوغ هيرات عن طريق الأرض الفارسية. يمكن لروسيا باستثمار وضعها في الخليج و في فارس أن تهدد كل الحدود الغربية لأفغانستان، كما يمكن لها أن تثير الاضطرابات للبريطانيين في بلوشتان و مكران "، إن تآمر روسيا مع الأهالي في هذه المناطق، في رأي كيرزن، سيجعل الهند البريطانية مضطرّة لإقامة الحاميات في المنطقة للدفاع عن حدود الهند. و أن وجود روسيا في هذه المنطقة المرتبطة اثنولوجيا مع مناطق الأفغان و البلوش سيثير المشكلات، و يذهب بالهيبة الهندوبريطانية في المنطقة.

يرى كيرزن أن من النتائج المتوقعة لإقامة ميناء روسي في الخليج العربي و ظهور أسطول روسي في المياه الهندية (غالبا بالتعاون مع الفرنسيين) أن الهند لن تستطيع أن تحمي تجارتها ولا سواحلها، خاصة إذا قنعت بريطانيا بأن قوّة الأسطول التي تقوم في ذلك الوقت على (قاعدة) محطة الهند الشرقية كافية لتحقيق هذا الغرض. و يرى كيرزن كذلك أنه يتحتم في هذه الحالة على الهند أن تعمل على تحصين الموانيء الشرقية للهند بصورة أكبر، و أن تضاعف من مسوولياتها العسكرية و الأسطولية. و يزيد كيرزن بأن روسيا قد تترك خدمات البرق كما هي لا تعارض وجودها، لكن. " كيف يمكن لنا في حالات الطوارئ أن نترك خدمات البرق في يد قوّة معادية " [127].

يذكر كيرزن في مذكرته أن هناك من يرى عدم السماح لروسيا بحيازة ميناء في الجنوب الشرقي للخليج العربي قريبا من السواحل الهندية، لكنه لا يخشى من أن تحوز ميناء تجاريا في أعالي الخليج العربي. و يرى كيرزن أن حيازة روسيا لميناء على الخليج العربي يجري في ظهيره خط حديدي هو أمر خطير سواء إن كان ذلك في أسفل الخليج أو في أعاليه." إن بُعدا مكانيا لبضعة مئات من الأميال يمكن للبواخر أن تقطعها في يوم أو اثنين، إذا تطور إلى قاعدة عسكرية، يمكن أن يصيب التجارة البريطانية بالخطر، و يذهب بهيبة بريطانيا في تلك النواحي، في المحمرة و القارون

اللتين هما من مناطق النفوذ البريطانية. و ستنتهي في المنطقة سيطرة الشيخ العربي الذي ظل و أسلافه من قبله، أصدقاء للبريطانيين. و ستسيطر روسيا على الخط الملاحي في شط العرب، و ستكون بغداد ساعتئذ على مقربة من السيطرة الروسية، و سينطفئ البريق المتوهج للنفوذ البريطاني في العربية التركية ". و يختم كيرزن بقوله: " إن هذه الصورة ليست من نسيخ الخيال لكنها استنتاج واقعي تولّد عن الظروف التي قد تنشأ."

وصلت في 10 مارس 1901 البارجة الروسية فرياج إلى مسقط، و في 12 منه زار بهري Bohre، قائد فرياج، و هيئة بحارته مصحوبين بالقنصل الفرنسي سلطان مسقط و بادلهم السلطان الزيارة. واصلت فرياج سياحتها في الخليج العربي حيث وصلت إلى بوشهر في 15 ديسمبر. و قضى بهري و ثلاثة من ضباطه يوم 16 ديسمبر في ضيافة القنصل الروسي المساعد في ذلك الميناء، كما لم تغادر فرياج بوشهر إلا يوم 21 ديسمبر حيث عمل بهري على زيارة الحكام المحليين و القناصل الأجانب في المنطقة. و تحركت فرياج بعد هذا فزارت الكويت في أعالي الخليج العربي، و نزلت إلى بندرعباس و لنجة ثم غادرت الخليج ميممة الشرق الأقصى.[128]

عيّنت روسيا في 1901م المدعو بوكيتانوف Pokitanoff قنصلا[129] لها في بوشهر. و تدلّ التقارير اللاحقة أن بوكيتانوف رفض الاقامة في بوشهر فنقل منها إلى تبريز، و أعتُمد دي جيرز M.de Giers بدلا عنه في بوشهر. كما وصل أوفسينكو Ofseenko إلى بوشهر في 3 جماد الثاني 1319/17 سبتمبر 1901، و هو بحكم وظيفته مساعد القنصل الروسي العام في ذلك الميناء. و عرف المقيم البريطاني أن أوفسينكو سيقوم بتصريف أعباء القنصل العام لحين وصوله المرتقب. و قد قام أوفسينكو بزيارة لنجه و بندرعباس على السفينة فرياج. و تشير التقارير أن أوفسينكو تحرّى عن مصادر المياه في المنطقة، و زار مكاتب الحجر الصحي في لنجه. و التقى اوفسنكو في لنجة بالحاج أحمد صالح درباش، و هو من موظفى جمارك بوشهر سابقا، كما زاره ايضا الحاج عبد الرحمن، الممثل القنصلي لفرنسا في المدينة. و طلب كل من الرجلين إلى أوفسينكو أن يُعيّنه مندوبا للقنصلية الروسية في لنجة، و منّى اوفسنكو الرجلين بالمنصب ,.كما اتصل هذا القنصل الروسي العام المساعد بأحد التجار الأوربيين في المنطقة و فاتحه في شأن العمل في التجارة الروسية. و غادر أوفسينكو لنجة إلى بندرعباس، و انتهز فرصة وجوده هنالك فزار قشم، كما زار مكتب الجمارك، و تحرّى في طبيعة الصادرات و الواردات. و عاد أوفسينكو بعد هذا أدراجه إلى بوشهر في سفينة البريد[130].

زار ميلر Miller، القنصل الروسي في سيستان، في5 رجب 1319/ 18 أكتوبر 1901 كرمان و التقي كبار تجار المنطقة، و تحرّى في النشاط البريطاني في كرمان. و جاءت التقارير بأن ميلر يسعى إلى اقامة قنصلية هنالك، و أنه ربما يشغل هذا المنصب بنفسه[131].

كتب لانسدون في 6 يناير 1902 إلى هاردنج كي يقوم بما يجعل الحكومة الفارسية تفهم بأن تجارب المئة سنة الماضية تثبت أنه ليس للحكومة البريطانية أية تطلعات للمساس باستقلال فارس، بل على العكس من هذا فقد سعت السياسة البريطانية للعمل على تقوية دولة فارس ليكون في مقدورها الوقوف في وجه أية قوّة عسكرية تريد أن تنال من الممتلكات البريطانية في شبه القارة الهندية. و تذهب مذكرة لانسدون إلى القول بأن الحكومة البريطانية لن تستطيع أن تتمسك بهذه السياسة إذا سعت دولة أخرى لتذويب وجود الدولة الفارسية. و عليه يجب على فارس تلافي مثل هذا الوضع هذا حتى لا تنهار أسس السياسة البريطانية الموضوعة. و تستطرد المذكرة لتذكر أن بريطانيا تعترف بوجود مصالح طاغية لروسيا في شمال فارس نشأت بحكم الجوار، و أن هذا النفوذ في الشمال لن يؤثر كثيرا على المصالح البريطانية في المنطقة و هي لا تخشى نتائجة إلا فيما يتصل بموقع طهران في هذا النطاق الشمالي. و ربما يقود هذا الوضع إلى ان تعمل روسيا من خلال الحكومة في طهران، على التأثير على المصالح البريطانية في جنوب فارس. و يذهب لانسدون إلى القول أنه ليس من المعقول أن تُضحّي الحكومة البريطانية بجهد السنين المتواصل عبر فترة طويلة من الزمن ثم ترى قوّة أخرى تكتسب نفوذا في جنوب فارس. " و إن الحكومة البريطانية لا تسعى إلى تعويق تجارة فارس لتمنع الخطوط الحديدية من الوصول إلى الخليج، لكنها لا تقرّ أن تكون هذه الخطوط الحديدية مقدمة للنفوذ الروسي في الخليج أو ذريعة لتكسب روسيا من خلالها مناطق استراتيجية، أو أن تجعل من جنوب فارس منطقة نفوذ لها كما هو الحال في الشمال ". و يرى لانسدون[132] أن علي الحكومة الفارسية أن تفهم بوضوح أن إنكلترى لن تسمح لروسيا بحيازة أي ميناء عسكري أو محطة أسطولية في الخليج العربي لأن هذا الفعل يمثل تحديّا خطيرا لبريطانيا، و خطرا ماثلا على امبراطوريتها في الهند. وإذا حدث لفارس أن منحت في أي وقت من الأوقات أية امتيازات لروسيا في هذه المنطقة، فإن من حقّ الحكومة البريطانية أن تتخذ من الخطوات ما تراه ضروريا لحماية المصالح البريطانية."و أن اتخاذ هذه الخطوات لن يمثل صعوبة لبريطانيا بالنظر إلى قوّة أسطولها في هذه المياه ". و تختتم المذكرة بأن بريطانيا لن تعترف بأي معاملة تفضلية أو أي امتيازات أو احتكارات تجارية [133]، أو أية حقوق شاملة تمنح لروسيا في جنوب فارس، بما في ذلك سيستان.

يبدو أن كيرزن بعد أن يئس من ان يجّر حكومة لندن إلى الاتجاه المتشدد الذي يطالب تلك الحكومة أن تواجه به المخططات الروسية في الخليج عمد إلى تحريض بعض النواب في البرلمان لتحريك حكومة لندن في الاتجاه المتشدد الذي يدعو إليه. تساءل اللورد كرميرون عن الموقف البريطاني في الخليج العربي، و أجاب الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية بأن الموقف البريطاني في الخليج العربي هو موقف ذو طابع خاص، و أن الحكومة البريطانية تعمل على حماية التفوق البريطاني في تلك المياه، و أنها تتبع في ذلك كل الأساليب العملية الممكنة. وإبتهج كيرزن لصدور هذا الاعلان، و رأى فيه انتصارا له على هملتون، وزير الهند " على هملتون أن يعترف به "، و أقترح كيرزن بأن يكون هذا الاعلان منهجا للعمل لهذا المجلس الوزاري و المجالس الوزارية اللاحقة . "[134].

على الرغم من هذا الإعلان لم يهدأ المدّ الروسي في الخليج العربي. و عادت كورنيلوف إلى مسقط في15 ذي القعدة 1319/ 23 فبراير 1902 و فارقتها في اليوم ذاته، و لم تؤد التحية لعلم السلطان حيث أخطرت بأن مدافع السلطان لن ترد التحية.و أفرغت كورنيلوف في بندرعباس كيروسينا و سكرا و بطاطسا ثم اتجهت إلى بوشهر التي بلغتها في 3 مارس، و أفرغت فيها كيروسينا و دقيقا و بعض المصنوعات الزجاجية. كما جلبت كورنيلوف معها إلى بوشهر سارية العلم للقنصلية الروسية. و غادرت السفينة الروسية بوشهر إلى البصرة و كرّت عائدة من حيث أتت. أعقبت السفينة تراوفير Trouver كورنيلوف في رحلة تالية إلى الخليج العربي. زارت هذه المركب مسقط و بندرعباس حيث أفرغت دقيقا و مكرونة في كل من الميناءين. وصلت تراوفير إلى بوشهر في 8 يوليو 1902 و أفرغت فيها دقيقا و بعض أواني الصيني ثم غادرت إلى البصرة و كرّت بعد ذلك عائدة عبر بوشهر و بندرعباس و مسقط، لتخرج من الخليج العربي موسوقة تمرا و تبغا و صمغا[135].

تعقبت السلطات الهندوبريطانية في الخليج تحركات المواطنين الروس والسفن الروسية كافة في منطقة الخليج العربي. و يمكن أن نذكر من هؤلاء المواطنين باكولوفنيس كاسيش Kassich الذي تنقل في أغسطس 1901 بين بوشهر و شيراز و طهران ثم عرج إلى المحمرة و زار بغداد. و يبدو أن كاسيش كان وكيلا لإحدى شركات صناعة الزجاج الروسية. كذلك نجد أخبارا عن المدعو سربيانيكوف Serebianikoff الذي زار في عام 1902م البحرين و أدّعى أنه أتى المنطقة سائحا، و ألتقط هذا الرجل عُدّة صور لمواقع متفرقة من البحرين و ذكر بأنه سيرسل هذه الصورإلى

الصحافة الروسية لتنشر إلى جانب انطباعاته عن المنطقة. كما تفيد وثائق الهند أن سيمون فاسيليتش Vassilitich, و هو أحد التجار الروس في بوشهر، زهد في إجراء تجارته غير المجزية في ذلك الميناء و رحل إلى أوديسا. و يمكن أن نذكر أيضا نيقولاي بيتروزوف Peterosoff و أراكيل سركسيانSarkisyan اللذان وصلا بوشهر في عام1902م وكيلين عن بعض الشركات الروسية، و كذلك وصول الطبيب الروسي شامانسكي Shamansky في مارس 1902. كما وصل إلى بوشهر أيضا بوجيالنسكي Bogyailensky في الشهر ذاته و نزل في ضيافة القنصل الروسي، و كان بوجيالنسكي مهتما بعلوم النبات. زار هذا الرجل في أبريل المحمرة و الكويت ثم عاد إلى بوشهر، و غادرها في مايو إلى البحرين. و جمع الرجل من تلك المناطق صنوفا من النباتات، و ألتقط العديد من الصور لتلك المانطق. و رجع بوجيالنسكي بعد هذا إلى بوشهر و غادرها إلى مسقط في يوليو حيث قابل سلطانها. و تدلّ التحريات على أن بوجيالنسكي ربما زار جوادر قبل أن يصل إلى كراتشي في 15 يوليو[136].

كتبت صحيفة نوفافيريميا Nove Vremya في 4 شوال 1320/4 يناير 1903 ردا على بعض مقالات نشرت في التايمز اللندنية تتصل بالخليج العربي.وأدانت هذه الصحيفة الروح الشوفينية للصحافة الانكليزية، و ذكرت أن للروس كل الحقّ في مشاركة البريطانيين في إدارة مياه الخليج العربي.

تواصلت في عام 1903م تحركات المواطنين الروس و السفن الروسية حيث زار قنصل روسيا في بوشهر لنجه و تحرّى من الوكيل القنصلي لفرنسا هناك عن باسيدور، و هل درج البريطانيون على رفع العلم البريطاني عليها بصفة دائمة. كما قام القنصل الروسي في البصرة المدعو أدماوAdamaw برحلة على السفينة اسكولد Askold طاف بها موانيء الخليج العربي.

تمّ اتفاق في مارس 1903 بين الحكومة الروسية و شركة الملاحة البخارية الروسية و الشركة التجارية للخدمات لإقامة رحلات بخارية منتظمة في الخليج العربي على أن تتكفل الحكومة الروسية بدعم مالي قدره مئتي الف(200.000) روبل لمدة عشر سنوات على أن تنظم الشركة إلى الخليج العربي أربع رحلات سنوية. و قد تحدّد أن تقوم المركبان كورنيلوف و تروفير بهذه المهمة. و قامت وزارة المالية الروسية باتخاذ خطوات جادة لتشجيع التجارة البحرية بين روسيا و فارس عبر طريق الخليج العربي، و ظلت هذه الشركة تعمل في مياه الخليج حتى عام [137]1914.

إعلان لانسدون في 15 مايو 1903: -

سأل الشيخ (اللورد) لامنجتون Lamington، عضو مجلس الشيوخ البريطاني، وزير الخارجية البريطانية لانسدون عن مدى تقدم المفاوضات بين الحكومة و أصحاب امتياز خطوط سكة حديد بغداد، و عن سياسة حكومة صاحب الجلالة الخاصة برعاية المصالح البريطانية في الخليج العربي. و طالب الشيخ البريطاني الوزير بأن يكشف النقاب عن الأوراق الخاصة بالمفاوضات و يضعها أمام الرأي العام." أما فيما يتصل بالسؤال الثاني فإن الشيخ يعتقد أنه في مدى المائة سنة الأخيرة ظلت بريطانيا فردا أحدا لا شريك له في تصريف سياسات الخليج العربي، و ظل البريطانيون و رعاياهم الهنود هم التجار المتحكمين هناك [138]. و أن موقفنا في الخليج العربي اكتسبناه ببذل المال الذي يصل إلى الملايين بسخاء, و لم نبخل في سبيل ذلك بالأرواح. إن الادارة في الهند ترى أن أمن الخليج العربي هو مسألة أساسية في ما يتصل بالدفاع عن الإمبراطورية الهندية. و لسوء الحظ إننا عندما كنا الوحيدين في الخليج العربي من ذوي النفوذ فيه سمحنا للسيادة التركية أن تعشعش على سواحله، كما ساندنا ادعاءات فارس ضدّ دوله الأخرى، و بصورة خاصة ضدّ دولة مسقط.. إن وزير الخارجية أعلن منذ سنة مضت أنه من المستحيل علينا أن نتغاضى عما نعتبره حقوقنا، أو أن نتزحزح عما نعتبره موقفنا، ليس في الخليج فقط و لكن في المقاطعات الفارسية المجاورة للإمبراطورية الهندية أيضا." و يستطرد الشيخ لامنجتون في إثارة مسائل كثيرة خاصة بسياسة التجارة و القروض و الطرق و ما إليها، ثم يخلص إلى القول: " يُقال أنه يجب أن يكون لروسيا ميناء على البحار الجنوبية، مع العلم أنه ليس لروسيا تجارة تذكر في جنوب فارس. إن الغرض الرئيس من هذا السعي الروسي هو محاولة إقامة قاعدة اسطولية يكون هدفها مُركّزا على عرقلة التجارة البريطانية ". و اختتم الشيخ مورننجتون بأن الحكومة البريطانية لو سمحت لأية قوّة أجنبية أن تفد الخليج العربي فإن هذه القوّة ستشكل خطرا كبيرا على الهند ".. يجب أن لا ينسى الروس أننا نتعامل مع مسألة خاصة و هي مسألة الموقع الاستراتيجي المهم بين بريطانيا و الهند و أستراليا ". و إدّعى الشيخ البريطاني بأن النفوذ الإنكليزي قد ضعف في خلال الخمسة عشر شهرا الماضية، و تُحدث حقائق الموقف أنه سيضعف أكثر في المستقبل ". و أن كل من يقرأ كتاب اللورد كيرزن عن فارس و موضوعاته المتسلسلة التي ظل يكتبها في صحيفة التايمز يمكن أن يلمس تحرُّج وضع مصالحنا. إن من الخطورة بمكان أن نعمد إلى ان نهرب من مسؤولياتنا و نتجاهلها، فربما يؤدي بنا هذا إلى وضع لن يخلصنا منه سوى الدخول في الحرب، و الحرب وحدها دون غيرها. و عليه فإننا نطلب اعلانا لسياسة صريحة ثابتة في ما يتصل بهذه المسألة. ".

ساند الشيخ أدنبره [139] الشيخ مورنجتون حين أضاف " بأن تأسيس قاعدة عسكرية في الخليج لا يمثل تهديدا لتجارتنا مع الهند و الصين فحسب، و لكن مع استراليا و نيوزيلنده كذلك ". و أضاف أدنبره أنه لن يتهم إذا تمكنت روسيا من استانبول بقدر اهتمامه من أن تتمكن من حيازة ميناء جيد في الخليج العربي. و أضاف أدنبره بأن حرب القرم قد هزّت موازيين القوى في أوروبا، و لم يعد يهم انكلترى و فرنسا من الذي يحكم البسفور و الهلسبنت. و إذا حاول الألمان بناء خط حديدي في الأناضول و سوريا فيمكن أن ننظر إلى هذا الأمر بروح الصداقة لكنهم " إذا حاولوا مدّ هذا الخط إلى الخليج العربي بهدف أن يتعرض موقفنا هناك للخطر فإن هذا سيكون أمرا آخر ".

جاء ردّ الوزير الماركيز لانسدون [140] أن اللورد مورننجتون، مثله مثل الكثيرين، يعتقد أن هنالك مفاوضات بين الحكومة البريطانية و أصحاب شركة خط بغداد." إن جماع ما حدث هو أن هنالك بعض الاتصالات السرّية – يمكن لكم أن تسموها مفاوضات – قد قامت بين الحكومة و بعض البيوتات المالية في هذا القطر ". و يقول لانسدون أن تلك الإتصالات كانت بهدف دراسة بعض المسائل المتعلقة بمساندة هذا الخط أو مقاومته." و قد توقفت هذه الإتصالات حاليا. و من الإنصاف لهذه الدوائر أن نذكر لها أن هدفها لم يكن ما هو مدى التشجيع الذي يمكن أن يلقوه منا بالنسبة للمشروع، و لكن ما هو الشيء الذي يجب عليهم أن يفعلوه أو يتجنبوه كي يخدموا مصالح هذا القطر ."

استعرض الوزير لانسدون تاريخ مشاريع الخطوط التي تربط البحر المتوسط بالخليج العربي مشيرا إلى المشروع الذي تقدمت به بعض الجهات في هذا الصدد منذ ستين عاما تقريبا (في 1872م) إلى اللورد بالمرستون، وشرح كيف خلصت لجان مجلس النواب (العموم) البريطاني بأن وجود هذه الخطوط يجب أن يُشجّع لتسهيل البريد و التجارة و نقل الجنود و ربط إنكلترى بالهند. و يضيف لانسدون أنه لا يدّعي أن فكرة قبول هذا الخط الحديدي في زمن ما تعني قبوله في الوقت الراهن. و على هذا فإن ما يُقال عن النظام الألماني الذي سيسود في الكويت هو خلط و سوء فهم لموقف الحكومة تجاه خط حديد بغداد. " إن موقف الحكومة هو، بمنتهى الصراحة و الوضوح، أن هنالك خطا حديديا ألمانيا يمتد من استانبول إلى قونية و تلك حقيقة ندركها. أما الحقيقة الأخرى فإن شركة الأناضول هذه قد تحولت إلى شركة أخرى منحت امتياز لمدّ الخط الحديدي الألماني من قونية إلى الخليج العربي، و إننا لم نصدر موافقتنا على هذا المشروع بعد. إن ما ننشده حاليا هو أن نحيل هذا الخط الألماني الصريح إلى خط ذي صبغة عالمية بضمانات تحفظ عليه صفة الدولية، و

تؤمن لتجارة جميع الأمم الإنتقال الحرّ من بحر إلى بحر على قدم المساواة. و هذا اقتراح مختلف تماما عما يُقال من أن موقفنا هو الرضى عن مدّ خط ألماني إلى الخليج (العربي). إن الحكومة البريطانية تسعى كي تكون على قدم المساواه مع كل القوى الأخرى في مسؤوليتها تجاه تشييد هذا الخط و تشغيله ".

" أما بالنسبة للسؤال الثاني الخاص بالسياسة البريطانية في الخليج العربي، فإني أوافق هذا الشيخ تماما أن موقف هذه الدولة في الخليج (العربي) متميز عن موقف أي دولة أخرى. و أصاب هذا الشيخ حين قال أن الخليج (العربي) قد فتح للعالم بالجهود البريطانية، و بالمال البريطاني. طهّرت سفننا مياه الخليج من " القرصنة "، و نحن الذين منعنا فيه تجارة الرقيق، و نحن الذين جلبنا الصفاء إلى تلك المياه العكرة ".. و لاحظ لانسدون ارتباط السؤال الثاني بالسؤال الأول، فاهتمام الشيخ بخط بغداد الذي سيصل إلى الخليج هو أمر حيوي للسياسة البريطانية في الخليج العربي. و رأى لانسدون[141] " أن بريطانيا تتعرض الآن للمنافسة التجارية في الخليج العربي و في مناطق من فارس." إننا نستشعر عمق التنافس الدولي هنالك، و هذا هو قدرنا لأننا قادة حضارة، و لأننا سنكون، كما كنا دائما السباقون لتبقى لنا الريادة. و قد طلب مني الشيخ المحترم أن أعلن سياسة ثابتة تجاه الخليج العربي، و أستطيع أن أحدد هذه السياسة في كلمات قليلة و هي:

أولا: إننا نوجه سياستنا في المكان الأول لترقية و تطوير التجارة البريطانية في تلك المياه.

ثانيا: لا اعتقد أن الشيخ المحترم يقصد أن يقول أن جهودنا في ترقية التجارة يمكن أن تُوجه لتعويق التجارة المشروعة للقوى الأخرى في الخليج (العربي).

ثالثا: أقولها بصراحة متناهية بأننا لن نسمح بإقامة أي ميناء مُحصّن أو قاعدة أسطولية على ساحل الخليج العربي لأي أسطول أجنبي، فمن شأن ذلك أن يمثل تهديدا خطيرا للمصالح البريطانية، و سنقاومه بكل الوسائل المتاحة لنا ". (تصفيق في المجلس).

يستطرد لانسدون[142] " أقول هذا و أدرك تماما أنه ليس هنالك دولة تفكر حاليا في انشاء قاعدة أسطولية في الخليج (العربي)، أو على الأقل إني لم أسمع بأمر كهذا. و لا أدري ما الذي أثار الهواجس في نفس هذا الشيخ إذ ليس هناك أية بادرة تتهددنا في هذا الصدد ". و يسطرد الوزير لانسدون ليرد على مورننجتون بشأن النقاط التي أثارها: " بخصوص مصالحنا التجارية في الخليج (العربي) " فيقاطعه مورننجتون " قلت المصالح التجارية التي تدعم موقفنا السياسي "، ووافقه

الوزير قائلا بأنه من المستحيل في نظري الفصل بين أهدافنا السياسية و أهدافنا التجارية. ووافقه مورننجتون. و يبدأ لانسدون في سرد الاستثمارات الاقتصادية و التجارية في القارون و غيره من الأرض الفارسية، و يخوض في مسائل لا يهمنا تتبعها في هذا المجال.

علّق السفير الروسي في لندن في الصباح التالي في مقابلة له مع لانسدون بأنه لا يجد ما يثير الإنتباه في كلمته التي ألقاها بالأمس في مجلس الشيوخ البريطاني. و أضاف السفير للانسدون بأنه لم يذكر روسيا إسما لكنه لا يستبعد أنه كان يقصدها بحديثه ذلك. و إذا صحّ هذا الإفتراض فإن السفير يريد أن يؤكد للوزير أن روسيا لا تريد أن تحوز على قاعدة أسطولية في الخليج العربي. و أجاب الوزير بأنه يدرك أنه لم يقل شيئا جديدا يستحق الانتباه، و إنه لم يفعل سوى أنه أكد سياسة الحكومة البريطانية التي سبق له أن أعلنها في مناسبات سابقة. و أضاف الوزير بأنه بالتأكيد لم يسمع عن أن لروسيا أو أية قوّة أخرى تفكير في إقامة قاعدة اسطولية في الخليج العربي، و أدعى الوزير ذكر هذا لأن هناك بعض الجهات في البلاد لا ترى رأيه.و تحدث الوزير مع السفير عن مقترح تقسيم فارس إلى مناطق نفوذ. و رفض السفير الروسي الفكرة لأن سياسة بلاده – كما ادّعي – تقوم على المنافسة الحرّة. و ناقش الوزير البريطاني السفير الروسي في شأن مشاريع الخطوط الحديدية التي ستجري من الشمال إلى الخليج العربي، و مدى ما يمكن أن تحمل من خطورة للهند و بلوشتان. و رد السفير بأنه يُقدِّر المشاعر البريطانية في هذا الصدد، كما استبعد قيام روسيا بانشاء هذه الخطوط.

لم تكن روسيا هي القوّة الدولية الوحيدة المعنية بهذا الاعلان الذي هو في حقيقته تقرير لسياسة عامة أعلنتها الحكومة البريطانية مرارا لسفراء روسيا و ألمانيا و فرنسا خلال عام 1902 م. و ربما يرجع السر في ذيوع هذا الاعلان دون سواه من التصريحات المشابهة، إلى أنه خرج من كواليس اجتماعات الوزراء و السفراء إلى أروقة مجلس الشيوخ البريطاني الذي قامت صحيفة التايمز بنقل مداولاته، فأثار هذا الإعلان انتباه الرأي العام و الخاص في بريطانيا التي بدت حكومة و شعبا متأثرة بآراء كيرزن. ساعد كيرزن على نشر آرائه السياسية في ما يتصل بالهند صلاته الطيبة التي كانت تجمعه ببعض الشيوخ و النواب و الصلة الوثيقة التي ربطته بالتايمز و محرريها منذ أن كان غرا مغمورا.

صدرت في لندن المطبوعات التي تروِّج لسياسة كيرزن، و كان ريزJ.D.Ress من أبرز الكُتّاب الذين رجّعوا أصداء ما يكتبه كيرزن. جاء عند ريز [143] إن في المنطقة الشمالية الغربية لشبه

القارة الهندية ثلاثة أبواب تسمح بالولوج إلى الهند، و هي البوابة التقليدية عند هيرات حيث كان يدلف الغزاة إلى الهند قديما، و ثانيهما عن طريق بلوشستان، و ثالثها عن طريق الخليج العربي. و لئن كان الطريق الأول هو أوفرها سمعة إلا أنه أقلّها خطورة. أما الباب الثالث (الخليج العربي) فهو أكثرها أهمية في استراتيجية الدفاع عن الهند. إن قيام أية قوّة معادية بحيازة ميناء على طريق الخليج العربي تسنده قوّة في البرّ و البحر يمكن له أن يطيح بكل خطط الدفاع البريطانية عن الحدود الهندية من أقصاها إلى أقصاها. و هاجم ريز الذين يكتبون في الصحف يروجون لاتفاق بين روسيا و بريطانيا بشأن الخليج العربي تُمنح بمقتضاه روسيا ميناء في الخليج العربي مقابل تأكيدات دبلوماسية جوفاء لا معنى لها. ووصف ريز هذا بأنه: " شيء مريع و مخيف حقّا، إذ لايمكن الوفاء بالتأكيدات الدبلوماسية الجوفاء إلا إذا كانت الدولة التي قطعتها على نفسها تريد أن تفي بها ". و يتفق ريز مع كيرزن، حاكم عام الهند ونائب الملك فيها، في دمغ كل من يجرؤ على فعل هذا من الوزراء البريطانيين بالخيانة[144]، و يرى ريز أن النفوذ الألماني سيثب من الكويت إلى الخليج العربي حالما يصل خط بغداد إلى ذلك البلد. و يردد ريز ما يراه كيرزن من أن هذا الخط سيختصر إلى حد بعيد المسافة للهند، " لكن لبرلين و ليس للندن ". [145]. و يؤكد الكاتب أن مستقبل الخليج العربي مرتبط بمستقبل الهند، و أن حيازة أية دولة لميناء في الخليج العربي يمثل خطورة من وجهة النظر البريطانية، تعادل إعلان الحرب على بريطانيا.

إطمأن كيرزن لأنه تمكن من أن يرغم لندن على تبني آرائه التي يعتقد أنها الناجعة لمعالجة الموقف في الخليج. و سخر كيرزن من إنكار السفير الروسي لأية تطلعات روسية في الخليج العربي." إذا لماذا يدسون أنوفهم إذا في هذه المنطقة و لسنوات طويلة مضت " ؟. و طلب كيرزن إلى لندن أن تسمح له بزيارة الخليج العربي بعد أن حجبت عنه موافقتها على تلك الرغبة حين أزمعها في عام 1901 م[146].

لم يؤثر إعلان لانسدون في وقف السعي الروسي الحثيث لبلوغ الخليج العربي أو من تدخل روسيا في ما يعتقد البريطانيون أنه من شؤونهم هنالك. ففي 6 مايو 1903 قبل نحواسبوعين من هذا الاعلان استفسر القنصل الروسي في بوشهر عن طبيعة الوضع البريطاني في باسيدو، و هو سؤال سبق أن أثاره الوكيل القنصلي لفرنسا في لنجة في فترة سابقة[147]. كما قامت وزارة المالية الروسية بدراسة الخطوات التي من شأنها أن تشجع التجارة البحرية لروسيا في الخليج العربي. و في 2 شعبان 1321/ 24 اكتوبر 1903 كتبت صحيفة نوفا فيرميا بأن شركة الملاحة التجارية الروسية

بدأت في تشغيل سفريات منتظمة و دائمة بين أوديسا و الخليج العربي [148] و سعت الحكومة الروسية إلى تشجيع مجهودات هذه الشركة المدعومة فسمحت لها بنقل بعض السلع البريطانية، كالشاي الهندي بصفة خاصة، من موانيء الخليج العربي إلى باطوم و البحر الأسود لتبدأ هذه السفن رحلاتها من هنالك مرّة أخرى دون دفع رسوم التجارة العابرة (الترانزيت) حتى تصل إلى باكو ثم تنتقل منها إلى شمال فارس.

رحلة كيرزن إلى الخليج العربي:

وافق مجلس الوزراء البريطاني، بعد مداولات طويلة، على قيام كيرزن برحلة إلى الخليج العربي في نوفمبر 1903. و كتبت لندن إلى كيرزن بموافقتها على الرحلة المزمعة بشرطين أولهما أن لا يزجّ بنفسه في العمل على ابرام أية اتفاقات جديدة فهذا الحق منوط بوزارة الخارجية، كما أن حكومة لندن لا تريد ادخال أي نوع من التغيير يمكن أن يفسد " الوضع الراهن" في الخليج العربي و لا تسعى لاستحداث أي تطوير لمنطوق معاهدات مسقط و الكويت. أما الشرط الثاني فإن عليه ألا يتدخل في الشؤون التي تخصّ هاردنج، الوزير البريطاني في طهران. و علّق كيرزن على هذا: " أنهم لابد و أن يقولوا شيئا [149] "They must say something ".

بدأ كيرزن الرحلة و حشد لها كل ما يمكن حشده من سفن الحرب و أحاط نفسه بالهيلمان حتى يرهب عرب الخليج العربي و حكامه حين يكشف لهم عن مدى سطوة حكومته إذا غضبت، و حمايتها الجادة لمن تشاء إذا رضيت.

وصل كيرزن في ركبه الضخم إلى مسقط التي ذكر أنه جاء إليها خصيصا رغبة منه في تسكين مخاوف السلطان [150]. و جاء في تقرير رحلة كيرزن أنه رأى في السلطان أميرا تابعا للراج أكثر من كونه أميرا مستقلا. ويذكر كيرزن أن السلطان استلم يده لفترة و أقسم له على الولاء و الإخلاص. و لم يكن في هذه اللحظة من وجود لمظاهر المساواة الفرنسية مع البريطانيين أو الوجود الفرنسي المعادل، إلا ما كان من وجود القنصل الفرنسي الذي ظل يثرثر " كالحلاق المهذب "، و كذلك جزء من مخزن الفحم " الذي حازوه لأننا كنا وقتها الضعفاء حين مكّناهم منه، إضافة إلى وجود تاجر سلاح فرنسي"[151].

اقيم في الشارقة لدى وصول ركب كيرزن إليها دربار في ظهر يوم 21 نوفمبر [152] جُمع له فيه شيوخ الساحل العماني " الذين نسي الكثير منهم عادات أسلافهم (في القرصنة كما يسميها) و ركوب البحر فأصيب بعضهم بدوار البحر ". و ألقىّ كيرزن خطبته التي وصفها بأنها زبدة تاريخ بريطانيا على مياه الخليج. و غدت خطبة كيرزن بعد ذلك أساسا قويا سارت عليها السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى الثلاثينات من القرن العشرين حيث جرى تأكيدها مرّة أخرى.و تتلخص خطبة كيرزن في: [153]:

- إبراز أن أمن الخليج هو إنجاز بريطاني.

- إبراز الوضع الخاص لبريطانيا الذي اكتسبته بموجب الاتفاقات و التعهدات المختلفة

- إبراز أن المقيم البريطاني في الخليج العربي هو الحاكم الفعلي في نطاق الخليج العربي.

- إبراز أن بريطانيا لا تريد التدخل في ظهير الخليج إلا إذا أرغمت على ذلك.

رحل كيرزن بعد ذلك إلى الكويت، ونظّم الشيخ مبارك الصباح له لقاء شعبيا حافلا حين اصطف الفرسان و راكبو الجمال و الراجلين لاستقبال كيرزن. و صبغ مبارك شعر رأسه و شاربه " باللون الأسود " احتفالا بالمناسبة. و ركب مبارك و كيرزن في المركبة الوحيدة ذات العجلات التي أتى بها مبارك خصيصا من بومباي. و شق مبارك و ضيفه طريقهما وسط صرخات الحرب التي يطلقها الرجال، و حشرجات و أصوات ازعاج تصدر من أفواه النساء يقال أنها تعبر عن الفرحة !". و في اللقاء عبّر الشيخ مبارك الصباح بأنه رفض كل عروض الروس و الفرنسيين و غيرهم و قطع كل اتصال له بالعثمانيين. و تشكك كيرزن فيما أدلى به الشيخ أولا، فالشيخ في رأي كيرزن قد يكون مخاتلا، لكنه استوثق بعد ذلك من أن " الشيخ صادق لأنه مدين لبريطانيا، و أنه لولا المساندة البريطانية لما احتفظ بمقعده في المشيخة " [154]. حذّر كيرزن مبارك من الدخول في مغامرات في داخل شبه الجزيرة العربية حيث لن تستطيع بريطانيا أن تمنحه الدعم، و أكّد الشيخ لكيرزن أنه يعي هذا تماما. و قدم كيرزن إلى مبارك" سيف شرف امتشقه مبارك كضابط حربي من ضباط الإمبراطورية البريطانية ". يصف كيرزن مباركا وصفا شيّقا حين يقول عنه: " إنه أكثر الشخصيات التي قابلتها في الخليج فحولة " Most Masculine، فهو يتمتع بذكاء حاد و بشخصية تواكب سمعته في الدهاء، و تفسر الأسلوب الذي وصل به إلى السلطة "[155].

لم يصادف كيرزن حظّا من التوفيق في الأرض الفارسية، و لم يطأ ثرى أرضها أو ينزل إلى بوشهر [156] معقل الراج الهندي، وكرّ عائدا إلى الهند. و قد حققت رحلته الكثير من أهدافها حيث أكّدت التفوق البريطاني في الخليج العربي، و الرغبة في الحفاظ عليه.

لم تتميز ما تبقى من فترة كيرزن في نيابة الهند بالكثير أو الجديد فيما يتصل بسياسة الخليج العربي، فقد انطوت الفترة المتبقية له على خلافات بينه و بين حكومة لندن [157] أدّت إلى استقالته في نهاية المطاف[158].

يمكننا القول بأن فترة نيابة الملك في عهد كيرزن اتسمت في مجال السياسة الدولية لبريطانيا في الخليج العربي بأنها فترة قلقة. و كان اجراء سياسة الهند في الخليج و غيره من مناطق أمن الهند يتطلب رجل في مقدرة كيرزن الاستعمارية وحماسته، و في كفاءته العلمية، و قوّة ثقته بنفسه. استطاع كيرزن أن يجر لندن للتقيد بما تراه كلكتا و تنفيذه،ربما ليس بالأسلوب الذي يريده كيرزن. و كم من خطّة نادى بها كيرزن و رفضتها لندن في الوهلة الأولى ثم تبنتها بعد ذلك و التزمت بها بعد و دافعت عنها. كانت لندن تأخذ في اعتبارها و هي تجري سياسة الخليج العربي الوضع الدولي، أما كيرزن فقد نذر نفسه للهند و حماية أمنها في الداخل و الخارج دونما اهتمام بما يجري في مناطق أخرى من العالم، و لهذا كان التناطح بين حكومتي الهند و لندن. و أزكى هذا الخلاف بين الحكومتين أن حكومة لندن كانت تتقيد إلى حد كبير بما تراه لجنة الدفاع عن الإمبراطورية التي أعاد بلفور تنظيمها في عام 1902م بالرغم من أن رأي تلك اللجنة كان استشاريا إلى حد كبير بيما كان كيرزن يرى في نفسه كفاءة لا يراها حتى في هذه اللجنة مجتمعة.

لم يخف كيرزن عن حكومة لندن اعتقاده من أنهم حين يحاولون الموازنة بين القوى العالمية المختلفة في رسم سياسة الخليج فإن قراراتهم بشأن الخليج تفقد توازنها. و ضرب لهم مثلا بما حدث بخصوص اتفاق الكويت. يقول كيرزن [159]: إن رأي الحكومة في لندن بشأن اتفاق الكويت الذي أبرقت به بتاريخ 24 ديسمبر 1898 عادت فسحبته في 6 يناير 1899. " و قلتم في سبب ذلك أن النائب اللورد الجن لم يقبل بالشروط المُقيَّدة التي جاءت في برقيتكم بتاريخ 24 ديسمبر، و لم يرد على الاستفسارات الوارد بها. كما قلتم كذلك أن الهند لم تتعهد بأن تقوم بالواجبات المادية التي تفرضها الحكومة وتتحمل عقابيلها من تأسيس إدارة تسيطر على شيخ الكويت و ما ينجم عنها من تبعات أخرى. و أعقَّب على قولكم هذا بأن اللورد الجن لم يرد في الحقيقة على ما جاء في برقيتكم بتاريخ 24 ديسمبر، ليس لأنه كان يرفض الحماية على الكويت، بل لأن حكومة الهند لم تدرس هذا

الأمر إلا حين رد المقيم (في الخليج العربي) في 30 ديسمبر على هذه البرقية التي أرسلت منها نسخة له. و علّق اللورد الجن، نائب الملك في الهند وقتها، في 2 يناير بأن هذا الأمر من الأمور ذات الأهمية الحيوية، و إنه يحتاج إلى تدبر و تفكير لن يقوم بها بمفرده. و طلب الجن رد الأمر للإدارة العسكرية لبحثه و البتّ فيه برأي تضعه أمام كيرزن (النائب الجديد). و في 16 يناير صار كيرزن نائبا للهند و أرسلت له آراء الإدارة العسكرية.و قبل أن يطلع النائب على تلك التقارير كانت هنالك برقيات من لندن في يومي 5 و 6 يناير تذكر بأن السير أوكنور يرى أن اعلان الحماية الواضحة على الكويت سيُنظر إليه على إنه أمر عدائي موجه ضدّ الدولة العثمانية، و أن وزير الخارجية اللورد سالسبري اعتمد رأي أوكنور، و أنه يجب عدم إعلان الحماية حاليا. " لا أرغب في أن نناقش معكم تعارض برقية 24 ديسمبر مع تعليماتكم الأخيرة، لكني لا أريد أن أنسبب إلى نفسي عجزا فحواه أني منذ توليت أعباء حكومة الهند لم يكن في استطاعتي أو في مقدرتي تحمل عبء مسؤولية حماية الكويت، أو أني يمكن ان أحتمل رؤية ذلك المكان تحت حماية قوى أوروبية أخرى. إني لم أجد حلا عمليا آخرا يمكن اتباعه حاليا إلا الإعلان عن تلك الحماية".

لقي رأي كيرزن بالاحتفاظ باتفاق الكويت سرّا حين أسبغ حمايته عليها بصورة مختلفة لم توص بها حكومة لندن استهجانا من تلك الحكومة، و أن سايرته حين اضطرت ان تحتفظ به سرّا، إلا أن كيرزن عاد في عام 1904م و أوصى بكشف الإتفاق لألمانيا وللدولة العثمانية، ولم يعد بعدها سرّا.

يقول دنداس [160] وهو يستعرض محاولات روسيا لبلوغ الخليج العربي من مواقع في مجاورة للكويت في أعالي الخليج، أو عبر بندر عباس في أسفل الخليج العربي، بأن كيرزن عرف كيف يوقف المد الروسي تجاه الخليج حين جعل سفن الخليج العسكرية في الخدمة البحرية الدائمة، و حين زاد في الخدمات القنصلية في المنطقة، و حين أصلح من شأن خدمات البريد و دعم السفن البخارية، و حين قدّم الإعانات و القروض من خزينة الهند لفارس، و حين عمل على تنشيط تجارة الهند مع فارس ايضا.

الفصل الثالث
انحسار النشاط الدولي في الخليج العربي
(1904 – 1914م)

- تراجع لنشاط الروسي في الخليج العربي
- تراجع النشاط الفرنسي في الخليج العربي
- توقف النشاط الألماني في الخليج العربي
- مشروع الاتفاق الأنجلو عثماني في عام 1913م

إنحسار النشاط الدولي في الخليج العربي
1904-1914م

تميزت هذه الفترة بتحقيق " السلام " البريطاني في الخليج العربي الذي شهد امتداد السيطرة البريطانية في أعالي الخليج و اندفاعها في أرض العراق.وهدأت حدّة التنافس الروسي البريطاني في الخليج و انكسر حاجز الخوف من روسيا في الإدارة الهندية حين انشغلت روسيا بخلافاتها مع اليابان التي انتهت بانكسار روسيا في عام 1904 م, ثم ما كان بعد هذا من دخول روسيا في وفاق مع بريطانيا في عام1907م ثبّتت ببعض نتائجه أرجحية بريطانيا في المنطقة. و في غمار الحرب العالمية الأولى انسحبت روسيا من بؤرة المؤامرات الإستعمارية، و ما عاد لها في خلال الفترة التي نحن بصددها وجود فعّال في منطقة الخليج العربي.

أما فرنسا فلم يعد لها مطامع في الخليج العربي، بل إنها ظلت عبر تاريخها الطويل في الخليج العربي ,لا تريد الخليج لذاته، إنما أرادته نقطة وثوب لبلوغ منطقة ما، أو حيازة منطقة ما يمكن لها أن تساوم بها بريطانيا لتحقيق مصلحة استعمارية ما في مكان آخر. و لم يكن بعد عقد الوفاق الانجلو- فرنسي الودي في عام 1904م لفرنسا منطقة تريد أن تثب عليها من وراء ظهر بريطانيا في الخليج العربي. و لم يمنع هذا بالطبع من بعض محاولات المساومة الفرنسية بالإعلان الأنجلو فرنسي الخاص بمسقط في عام 1862م و التي لم تصب فرنسا منها شيئا كما سنرى. أما فيما عدا هذا فلم يكن لفرنسا إلا بعض مواطنين يعملون في تجارة السلاح في الخليج العربي، و لم يكن تأثيرهم في سير السياسة الأنجلو فرنسية كبيرا في المدى البعيد.

كان امتداد ألمانيا الإقتصادي إلى الخليج العربي، و ربما السياسي الذي قد يسير في ركابه، هو الأمر الذي ظل في هذه الفترة يؤرق بريطانيا و الهند من ورائها. سدّت بريطانيا في نهاية القرن

الماضي بالكويت الخليج في وجه الألمان ومنعت امتداد خطهم الممتد من برلين إليها. و مكّنت السياسة الأنجلو هندية هذا السد بعقد الإيجار الذي عقدته مع شيخ الكويت في عام 1907م حتى يعجز الألمان عن وصول إلى مياه الخليج العربي إلا من خلال الأرض المؤجرة لبريطانيا في ساحل الخليج. ولم تبال لندن بالتضحية بمصالح شيخ الكويت حين لوّح لها العثمانيون بالاتفاق في شأن تقسيم مناطق النفوذ المنطقة. و قد تمّ فعلا الوصول إلى اتفاق أنجلو عثماني في عام1913م ثبّت لبريطانيا " الوضع الراهن " الذي تريده في الخليج العربي وهيأ لها ما كانت تخطط لبلوغه من الحراسة الشاملة للخليج العربي لمحاربة حركات "القرصنة" و حظر تجارة السلاح التي تجعل جهاد أهل المناطق المغلوبة في الخليج العربي و ما ورائه للمستعمرين ممكنا.

أحجمت بريطانيا عن التعامل مع عبد العزيز بن سعود الذي سعى جاهدا للتعامل معها وذلك حتى تتمكن من أن تحدث مع العثمانيين اتفاقا. و تمكنت من عقد اتفاق عام 1913م المذكور الذي لم يُقيّض له أن يدخل حيِّز التنفيذ حيث هبّت رياح الحرب و استبانت لندن أن العثمانيين سيأخذون فها جانب الألمان. و أسرعت السياسة الانجلو- هندية الخطى إلى ابن سعودالذي كانت ترفض - قبل ذلك اللقاء به، تريد أن تشغل العثمانيين به، و تشغله بهم. و قامت المفاوضات بين الجانبين البريطاني و السعودي في الخليج، و انتهت إلى اتفاق العقير في عام 1915 م. وحين انكسرت الدولة العثمانية لم تواصل بريطانيا مسيرتها مع ابن سعود، وعادت إلى حين سياستها المقرّرة سلفا من عدم التدخل في الظهير الصحراوي إلا في حالات الطوارئ .

سيّرت الهند حملة في بداية الحرب العالمية الأولى إلى الخليج العربي احتلّت بها البصرة ثم واصلت الحملة مسيرتها إلى بغداد. و كان بيرسي كوكس هو الضابط السياسي للحملة. و انتقلت بعدئذ خدمات كوكس من حكومة الهند إلى وزارة المستعمرات، ومع ذلك ظلت أصابعه تحرك الإدارة البريطانية في الخليج العربي التي كانت في دائرة حكومة و وزارة الهند.و ظلت أساليب كوكس في التعامل مع المنطقة و حكامها هندية، كما ظلت قنوات اتصاله بالشيوخ و المتنفذين في المنطقة من خلال المؤسسات الهندية في الخليج، و ظلت أهداف كوكس هي أهداف الهند البريطانية الساعية إلى ضمان أمن السياج الهندي. غير أن كوكس نفسه، رغم كل هذه الارتباطات الهندية هدفا و تنفيذا، لم يعد مسؤولا لحكومة الهند و لا لوزارتها.

تراجع النشاط الروسي في الخليج العربي:

استمرت المخططات الروسية في الخليج العربي تعمل بالرغم من المجابهة الهندية الحادة في عهد السياسة الكيرزونية في الخليج. زار القنصل الروسي العام في بوشهر منطقة بندرعباس ووقف على موقع هناك كانت جلياك قد تركت فيها منذ 13 شوال 1317/ 14 فبراير 1900 ست عشر طنا من الفحم، و أشار المقيم كمبال في خطابه رقم 51 بتاريخ 26 فبراير 1904 الذي أشار فيه إلى زيارة القنصل الروسي بعد انقضاء هذه الفترة، بعدم إثارة هذا الأمر. كما وصلت في مارس 1904 الباخرة الروسية جوبتر Jupiter و أنزلت بعض السلع في بوشهر و أنزلت أيضا سبعة من أعمدة الإرشاد Buoys، طلب القنصل الروسي أن تعفى من اداء الجمارك، و رفضت السلطات الجمركية في بوشهر طلبه، و يبدو أنه اضطر لدفعها. و أنزلت هذه السفينة بعد ذلك أيضا ثلاثة من أعمدة الارشاد في شطّ العرب. و أقام الروس في سبتمبر هذه الأعمدة في مداخل بوشهر، كما أقيمت الثلاث الاخريات في شط العرب مواجهة أعمدة الإرشاد التي أقامتها شركة الهند البريطانية في مارس [161]1904.

كتب الميجور جراي في24ذي القعدة 1322/ 30 يناير 1905 أن السيد محمد بن سعيد قدّم له خطابا مرسل من لنجة جاء فيه أن الحكومة الروسية تسعى لتُعين وكيل لها في جمارك جوادر. و أنها طلبت معلومات موافاتها بمعلومات عن إسم ملتزم الجمارك، و مقدار المبلغ الذي يؤديه للسلطان، و مجمل الدخل السنوي من واقع الإيصالات، و أية معلومات تفضيلية، إن وُجدت.و رأى الميجور جراي أنه لا مانع من تقديم المعلومات المطلوبة حتى لا يثير مشكلة مع الوكيل القنصلي الروسي في لنجة. و بناء على ذلك أرسل السيد محمد بالمعلومات المطلوبة، و قد أرسل الوكيل القنصلي مُعبِّرا عن شكره لورود المعلومات.

زار نيقولاس أنطوني، مدير شركة ماركنتايل مارين اندبورتس المؤسسة في سانت بطرسبرج، جنوب فارس في نوفمبر 1904 كما زارها مرّة أخرى في أكتوبر 1905 و ذلك بهدف النظر في أمر فتح بنوك روسية في شيراز، و مناطق أخرى من الجنوب الفارسي، و لم تتدخل سلطات الخليج البريطانية في هذا الأمر أيضا تجنبا لإثارة النزاع [162].

حملت الإشاعات في نوفمبر 1905خبرا مفاده أن الشاه يزمع تأجير بندرعباس و جزيرة قشم إلى روسيا و ذلك من خلال شركةماينوت تجار الفارسية التي حصلت منذ عام 1902 م على امتياز للعمل في منطقة بندرقشمير (و هي منطقة ربما كانت في قشم أو الساحل المقابل لها). و يرى حاكم بوشهر أن امتياز ماينوت تجار المشار إليه ربما كان الخطوة الأولى في سبيل تعبيد الطريق

أمام النفوذ الروسي للتمكن من قشم. و مما لا شك فيه فإن السياسة الهندية بعد كيرزن لم تكن تتسم بذلك التشدّد القديم فقد تبدلت بعد كيرزن عدم الثقة المعلنة في العلاقات الهندية الروسية، من خلال البريطانية، إلى أخرى غير معلنة. أدّت الحرب الروسية اليابانية (1904-1905م) إلى توقف المحادثات التي كانت تجري قيل هذا التاريخ من وقت لآخر بين روسيا و بريطانيا بشأن تسوية خلافاتهما في آسيا [163]. و اتصلت تلك المفاوضات بعدئذ مرّة أخرى بين البلدين في ربيع 1906م. و كانت الهزيمة العسكرية التي أوقعتها اليابان بروسيا، و الاضطرابات الداخلية في أرجائها، و الخوف الروسي البريطاني المشترك من تصاعد القوّة ألمانية، قد أدت إلى أن تقف الدولتان على أرض مشتركة تستدعى الوصول إلى توافق بينهما.و سارت المفاوضات البريطانية الروسية بشأن فارس و أفغانستان دون خلاف يُذكر. ووصلت الدولتان في الفترة من 18 إلى 31 أغسطس 1907 إلى صيغة اتفاق نهائي لم تتمكن الحكومة البريطانية - كما كانت تأمل - من ادراج نصّ فيه يثبت لبريطانيا تفوقها في الخليج العربي، و إن لم تنكر روسيا كما توحي النصوص الأخرى الواردة في هذا الاتفاق، الاعتراف بهذا التفوق. و تمّ اعتماد الإتفاق و تبادل وثائقه في الفترة من 10 إلى 23 سبتمبر 1907 و انجلى عن نقاط أبرز ما يتصل بفارس منها ها هو ما يلي: [164]

" إن لكل من الدولتين، بريطانيا و روسيا، لأسباب جغرافية و اقتصادية، مصلحة خاصة في الحفاظ على السلام و استتباب النظام في بعض مقاطعات فارس التي تحاد أو تجاور حدود كل من الدولتين. و لما كانت الدولتان كلتاهما ترغبان في تجنب أسباب الخلاف والتناقض بين مصالحهما في تلك المناطق فقد وافقتا على ما يلي:

أن لا تقوم بريطانيا لتحوز لنفسها، أو لمساعدة رعاياها على الحيازة، أو تعمل على أن تساعد قوّة ثالثة لتحوز امتيازات سياسية أو تجارية من مثل إقامة الخطوط الحديدية، البنوك، البرق، الطرق، المواصلات، التأمينات.. الخ و ذلك وفقا لخط يبدأ عند قصر شيرين مارا بأصفهان و يزد، و ينتهي عند منطقة تقاطع الحدود الروسية الأفغانية. و هذه المناطق المذكورة كلها مدرجة في منطقة النفوذ الروسي.

-أن لا تقوم روسيا لتحوز لنفسها، أو لمساعدة رعاياها على الحيازة، أو أن تساعد قوّة ثالثة لتحوز امتيازات و ذلك وفق خط يبدأ من الجاسك Gazik و يمرّ عند بيرجند و كرمان، و ينتهي في بندرعباس. و هذه المناطق المذكورة مدرجة كلها في منطقة النفوذ البريطاني.

ـ المنطقة بين البينين تتبع حكومة فارس، و تتعاون الدولتان في تثبيت الأمن و السلام فيها.

ـ تُستغل عائدات الموانيء الداخلية لضمان تسديد القروض الروسية، كما تُستغل عائدات موانيء الخليج العربي و بعض الموانيء الأخرى (مسماه) لتسديد القروض الهندوبريطانية.

كتبت صحيفة الحبل المتين الفارسية في3 شعبان 1325 /11 سبتمبر 1907 تشجب الإتفاق حيث تقول: " أنه من الضروري أن يعلن وزير الخارجية الفارسي لكل من هذين القوتين أنه لا يمكن أن يعقد اتفاق بشأن فارس، دون علمها، ثم يكون ساري المفعول عليها، و لا يمكن أن يكون لهذا الاتفاق أدنى اعتبار. أن أية قوّة تريد أن تكون لها علاقات بفارس يجب أن تتصل بالفرس أنفسهم، و إلا فإنه ليس من حقلا أي أحد أن يتدخل في الشؤون الفارسية بأسلوب أو بآخر [165].

لم تهتم حكومة لندن حيت أقدمت على إبرام هذا الإتفاق بالاعتراضات التي قد تثيرها حكومة الهند رغم أن مشروع الاتفاق كان هنديا في الأساس، و لم تطلب حكومة لندن من حكومة الهند أن تبدي فيه برأي. كتب هاردنج في 1907م: " أننا قد تركنا حكومة الهند في هذه الفترة خارج حساباتنا " [166]. أما رجال الهند في لندن من أمثال كيرزن الذي كان له شخصيا فضل المناداة بعقد اتفاق يُنظِّم العلاقة الهندوبريطانية بروسيا، فقد استنكروا عقده ! ذكر كيرزن [167] أمام مجلس اللوردات في 3 محرم 1326/6 فبراير 1908 بأن بريطانيا جعلت الطريق التجاري الممتد من بغداد إلى طهران في المنطقة الروسية، و إن روسيا أصابت الأسواق المهمة في أصفهان و يزد، كما أن الحكومة البريطانية لم تراع في هذه الإتفاقية تأمين مركزها في الخليج العربي بصورة أكثر فعالية مما ورد في الاتفاق [168] فضلا عن أن هذه الاتفاقية ستُعرض مركز بريطانيا لهجوم عنيف في العالم الإسلامي.

يجب أن نشير، رغم الاعتراضات التي أبداها كيرزن ومن شايعه، إلا أن الاتفاق حافظ على المبدأ الأساس في السياسة الهندية، و هو حجب روسيا من أن تبلغ الخليج العربي، نطاق الأمن الهندي. لكنه غيّر – في الوقت ذاته – من مبدأ آخر لم تكن حكومة الهند حريصة عليه تماما، و هو مبدأ أن تكون دولة فارس قوية بدرجة تستطيع معها عرقلة أي زحف أوروبي من أن يبلغ الهند عن طريق البرّ. و جاء هذا التغيير في السياسة التي تقتضي الحفاظ على وحدة فارس بدرجة تمكنها من صد القوى الأوروبية برّا عن حدود الهند نتيجة لأن الهند كانت قد فرغت من إقامة حدود دولة الأفغان و ضمنتها، و لم تعد فارس في استراتيجيتها إلا حاجزا للتقدم الروسي نحو الخليج. اطمأنت

الحكومة الروسية بعدعقد هذا الاتفاق إلى البريطانيين، و اعترف مبعوثها في طهران بالتفوق البريطاني في الخليج العربي، و أصبح الوزير الروسي في طهران يستشير زميله البريطاني في شؤون تنظيم بعض مصالح روسيا التجارية في الخليج العربي. و لعل ابرز ما يترجم ذلك أن الوزير الروسي في طهران إستطلع في عام 1912م رأي الوزير البريطاني في شأن شخص ما كان يعمل وكيلا للشركة الروسية البخارية في مسقط و عما إذا كان ذلك الشخص جدير بأن يجدد له عقد وكالته [169] للشركة المذكورة. و تمّ الاتصال في هذا الشأن بين الوزير البريطاني في طهران و الوكيل في مسقط عن طريق مقيم بوشهر، و انتهى إلى عدم تجديد العقد لهذا الشخص لأنه كان في رأي المقيم " يعارض المصالح البريطانية في المنطقة."

تراجع النشاط الفرنسي في الخليج العربي

لم يعد لفرنسا كبير نشاط في منطقة الخليج العربي بعد أن ارتضت باريس بنتيجة التحكيم فيما عرف بمسألة العلم الفرنسي، و تمثلت بقايا المعارضة الفرنسية في الخليج في صدور صحيفة مرشد الألباب الناطقة باللغة العربية التي توقفت عن الصدور في عام 1905 [170]. كما تمثلت بصورة أكبر في مسألة تجارة السلاح الفرنسية التي أرّقت حكومة الهند [171] حتى قامت أخيرا بتنظيمها مع سلطان مسقط.و كان جوجير، التاجر الفرنسي، من أنشط تجار السلاح الفرنسيين في مسقط التي نزل بها منذ شوال /1316 مارس 1899.

كان جوجير يعلن مرارا في مسقط و تجارها أن بريطانيا لن تستطيع أن تتدخل في عملياته التجارية لأن يأتي بالسلاح إلى مسقط في سفن تنشر العلم الفرنسي. و في الحقيقة فإن عمليات جوجير التجارية كانت قد ازدهرت و جنى منها ربحا مكّنه من أن يقدم للسلطان في مسقط قروضا. و لم يجد وكيل مسقط البريطاني أو مقيم الخليج العربي طريقة شرعية يحارب بها تجارة جوجير. و قد شكا لانسدون منذ أكتوبر 1903 للحكومة الفرنسية من جوجير و طلب ابعاده عن مسقط. و برغم موافقة جيوفري Geoffray، الوزير الفرنسي، لانسدون على أن جوجير هو شخصية " مزعجة حقا " إلا أن أمر طرده من مسقط لن يكون هينا لأن له أصدقاء عديدون في مجلس الوزراء الفرنسي "[172].

أثارت الحكومة البريطانية أمر جوجير مرّة أخرى في 1909م و اعترفت باريس مجددا بأنه " شخصية مزعجة للغاية لكنهم لا يملكون من أمرترحيله من هناك شيئا ".

حاولت حكومة الهند أن تدرج مسألة تجارة السلاح في جدول أعمال مؤتمر بروكسل المنعقد لهذا الهدف منذ26 ربيع الأول 1326/ 28 أبريل 1908. و رفضت لندن العمل باقتراح الهند و رفضت أن تدرج هذا الأمر في أجندة المؤتمر رغم أن إيطاليا أثارته بدورها في المؤتمر ذاته في أوائل مايو. و احتجّ هاردنج بأن بريطانيا تسير بالسلطان في مسقط خطوّة بعد خطوّة لبلوغ الهدف و ترى أنه لا يجب عليها أن تسرع به الخطى. و في الحقيقة فقد كانت لندن تعمل على حجب كل أمر له صلة بالخليج العربي عن المؤتمرات الدولية. خشيت بريطانيا أن يقود ما تريده من حظر تجارة السلاح في المنطقة إلى تدخل القوى الدولية في الخليج بما تكفله لها مقررات المؤتمر من حقوق التفتيش. و أقنع المبعوث البريطاني زميله الفرنسي بأن هذه المسألة بريطانية فرنسية، لا دخل للقوى الأخرى بها، و يمكن أن تُحلّ بين الدولتين دون أن تتشعب مساراتها. و قد وضح في يونيو من هذا العام أن فرنسا- كما جاء عند حكومة لندن – لا تريد تعويضا ماديا من وراء حظر تجارة السلاح في الخليج العربي فهي: " مع أنها راغبة في أن تسلمنا مسقط بالأسلوب ذاته الذي سبق لنا ان سلمناها به تونس و مدغشقر، ما يعني أنها تريد شيئا محسوسا في المقابل، و هذا الشيء هو مستعمرة جامبيا البريطانية ". [173]. و لم تصل المفاوضات بين لندن و باريس إلى نتيجة.

أبلغ الوكيل في مسقط في11 صفر 1328/ 22 فبراير 1910 بأن تجارة جوجير في السلاح أخذت تمتدّ إلى قطر، و أنه أرسل، تحت حماية العلم الفرنسي، داوا مشحونة بالأسلحة إلى هناك. كما أبلغ الوكيل البريطاني في مسقط بأن جوجير يسعى لوضع وكلاء في الموانيء العربية الأخرى حينما يكون ذلك ممكنا. و بدأت الاتصالات في هذا الخصوص بين الهند و لندن ما حفّز لندن في 30 مارس 1910 بالاتصال بباريس و أرسلت إليها مذكرة طويلة تسرد سردا مفصلا تاريخ تجارة السلاح في الخليج العربي، و وما انتهت إليه نتائج مؤتمر بروكسل، و عددت المذكرة الخسائر الجسيمة التي مُنيت بها بريطانيا نتيجة تجارة السلاح الفرنسية في الخليج العربي و حرّضت على جوجير الذي يسعى لمدّ أعماله إلى موانيء الخليج المختلفة. و دعت هذه المذكرة باريس للتعاون الصادق النابع من علاقات الصداقة بين القطرين، و أشارت إلى أن الحكومة البريطانية سبق لها أن ساعدت على مكافحة تجارة السلاح عند سواحل مراكش. و طلبت حكومة لندن إلى باريس في ختام

مذكرتها أن تولي هذا الأمر ما يستحقه من عناية لأنه يجرّ في ذيوله تبعات مثقلة على أمن الإمبراطورية البريطانية في الهند وعلى حدودها. و اقترحت لندن معالجة الأمر مبدئيا على النحو التالي: [174]

- أن يُمكن سلطان مسقط من منع التعامل في تجارة السلاح و الذخيرة لمدة سنة اعتبارا من الأول من يونيو 1910.

- أن تصدر باريس تعليماتها لقنصلها في مسقط كي لا يعمل على تيسيرحركة الإتجار في السلاح و الذخيرة على سواحل الخليج العربي.

- أن يمتدّ حق ّالتفتيش الذي تمارسه سفن الأسطول البريطاني على السفن المسقطية و الفارسية - إلى السفن التي تنشر العلم الفرنسي و ذلك لمدة سنة اعتبارا من الأول من يونيو 1910

لم يعترض الفرنسيون على الشرطين الأولين إلا أنهم أشاروا أن تاريخ المنع يمكن أن يبدأ في الأول من أغسطس 1910 بدلا من الأول من يونيو و ذلك حتى يكون في الوقت متسع لمناقشة الاجراءات بصورة أشمل. أما فيما يتصل بما تطلبه لندن من تمكينها من تفتيش السفن التي ترفع العلم الفرنسي فقد رفضته الحكومة الفرنسية ما لم تُمكّنهم الحكومة البريطانية بالمثل من الحقّ ذاته. و أرسلت لندن هذا الرد الذي تلقته من باريس إلى حكومة الهند في الأول من ربيع الثاني 1328/ 12 أبريل 1910 لإبداء الرأي، و جاء رأي حكومة الهند رافضا لهذا الشرط الأخير و طلب إلى لندن أن تتجاهل الأمر، وأفادت بان الحصار المفروض على مسقط قد خنق هذه التجارة. و أبدت حكومة الهند زهدها في ما يمكن أن تتمخض عن وقف تجارة السلاح لمدة سنة دون أن يكون للأسطول البريطاني حقّ التفتيش، إذ ليس لذلك أدنى قيمة عملية. كما أشارت الهند إلى أن باريس ستثير في المفاوضات مشكلة التعويضات لتجار السلاح الفرنسيين.

اضطرت حكومة الهند بعد هذا أن تعترف بأن الحصار رغم أنه ناجح إلا أنه مكلف جدا و طلبت تلك الحكومة في ديسمبر 1910 إلى لندن الإتصال بباريس [175] مجددا للعمل على وضح حدّ لتجارة السلاح الفرنسية في الخليج العربي. ووضعت حكومة الهند خطوطا عامة يمكن لوزارة الخارجية أن تفاوض فرنسا على أساسها و هي: -

- تحديد كميات السلاح التي تصل إلى مسقط وقصر التصرف فيه على الاستعمال الحكومي فقط، و ذلك بالاتفاق مع السلطان.

- يجب أن تحمل السفن التي تعمل في تجارة السلاح بين مسقط و أوروبا تصريح " لا اعتراض " No Objection من ممثلي فرنسا و بريطانيا في مسقط.

- محاولة أن تكون جمارك مسقط و مطرح التي يفد السلاح عبرها في يد موظف بريطاني، وعليه أن يضع فيه السلاح الوافد إلى المنطقة في مخزن و لا يسمح بخروجه إلا بعد تسجيله

- يمكن أن يُعوّض الرعايا الفرنسيون بشراء السلاح الموجود في حوزتهم في مسقط في الوقت الراهن، كما يمكن بعد هذا أن يدفع مبلغ محدد للحكومة الفرنسية لتوزيعه على رعاياها بمسقط بما تراه، و ذلك حتى يسقط هؤلاء التجار أي إدعاء للحصول على الارباح المنتظرة. وترى حكومة الهند أن الحكومة البريطانية إذا تكفلت بإعطاء هذه التعويضات للرعايا الفرنسيين رأسا، فإن هذا سيحرك التجار الآخرين من بريطانيين و عمانيين ليطالبوا بتعويضهم بالمثل.

قامت مفاوضات بين باريس و لندن في فبراير 1911 لم تثمر عن شيء يذكر، و ذلك لأن فرنسا ربطت مسألة منع تجارة السلاح في مسقط باشتراط أن تنازل بريطانيا لها عن مناطق معيّنة في الهند. و استؤنفت المفاوضات مرّة أخرى بين الحكومتين في أوائل مايو 1911، و حاولت بريطانيا أن تساوم بأن تقصر حقّ مكافحة تجارة السلاح في السواحل المراكشية لفرنسا و أسبانيا، ولم تفدها هذه المساومة فقد أصرّت فرنسا على أن مسألة وقف تجارة السلاح في الخليج العربي لن تُحلّ إلا بتنازلات بريطانية من بعض مناطق الهند لصالح فرنسا. و هكذا انتهت هذه المفاوضات التي لم تسفر عن شيء لتبدأ مرّة أخرى في 23رجب 1329/20 يوليو 1911 حيث أبلغت حكومة لندن باريس بأن أمر تجارة السلاح في مسقط أضحى شيئا غير محتمل، و أن نهاية هذا الوضع بيد فرنسا، إن شاءت أنهته.و دخل الجانبان في مفاوضات في شأن وقف تجارة السلاح في الخليج نادت فيها فرنسا بتبادل المناطق Exchange of Territoris في مجال الإستعمار. رغبت فرنسا في الحصول على مواقع معينة في نيجيريا و ساحل الذهب، و أنهى المفاوض الفرنسي إلى الحكومة البريطانية أنه بقدر تنازلها في هذين المنطقتين يكون تنازل فرنسا في مسألة مسقط، بل و في غيرها من المناطق الأخرى خاصة في بعض الجزر الواقعة في المحيط الهندي، بل ربما يصل الأمر بفرنسا أن تساوم ببعض الجزر التابعة لها في الباسفيكي أيضا [176]. و طالت المفاوضات بين البلدين

و لم تؤد إلى نتيجة نتيجة للثمن الذي تطلبه فرنسا في الوقت الذي أخذت تجارة السلاح في مسقط تتراجع بفضل الحصار البريطاني الذي كان يكلفها كثيرا من التكاليف التي تُعدّ قليلة إذا قورنت بما تطلبه باريس. و استمر الحال على هذا المنوال حتى أخذت حكومة لندن برأي كوكس بتنظيم مسألة تجارة السلاح مع السلطان دون غيره، وذلك باعتبار الأمر امرا إدريا صرفا. و بهذا فقدت باريس فرصة الأبتزاز الإستعماري و الكسب من وراء سادة الإستعمار في العالم حينذاك.

يمكننا أن نلاحظ أن دورحكومة الهند في المفاوضات من فرنسا لم يكن كبيرا إذ توّلت تحمل عبء مسؤوليتها وزارة الخارجية التي اكتفت من حكومة الهند بالرأي الذي ما كان لها أن تبديه إلا إذا طلب إليها ذلك.

النشاط الألماني في الخليج العربي:-

تبلور النفوذ الألماني في هذه المرحلة في مسألتين أساسيتين أولهما تزايد النفوذ التجاري الألماني في الخليج العربي من خلال شركة فونكنهاوس، و ثانيها محاولات خط حديد بغداد لشقّ طريقه إلى ساحل الخليج بمساهمة المانية. و سننظر في هاتين المسألتين من حيث اتصالهما بسياسة حكومة الهند في الخليج في هذه الفترة.لم تكن حكومة الهند، كما سبق أن بيّنا مرارا تقبل المنافسة التجارية من أية قوّة دولية أخرى حتى لا يصبح الخليج، المجال الأمني للهند، مسرحا تتسابق فيه السفن التجارية الأجنبية. فالنفوذ التجاري يجرّ في ذيوله النفوذ السياسي المسنود بالقوّة العسكرية، و تكون نتيجة ذلك، من وجهة النظر الهندية، أن أمن الهند مُعرّض للخطر.

بدأ فونكنهاوس يمارس نشاطه في لنجه منذ 1892م، و كان يعمل بصفة أساسية في شراء الأصداف و اللالىء [177]. و مدّ فونكنهاوس منذعام 1898م نشاطه إلى البحرين و البصرة و بندرعباس.و ازدهرت تجارة شركة فونكنهاوس ازدهارا كبيرا، حتى أن سلطات الهند في الخليج العربي شكّكت في أن تلك الشركة كانت في الحقية خاسرة، و أن الحكومة الألمانية تدعمها كي تستمر في عملها لتبلغ بها تحقيق مكاسب سياسية في الخليج العربي [178]. و أنكر فونكنهاوس ما اثير من الدعم الحكومي له، مشيرا إلى أن سلطات الهند في الخليج العربي، بدءا من المقيم و نزولا إلى كتبة البيوت التجارية في الخليج، يردّون تشعب فونكنهاوس في الموانيء الخليجية إلى الدعم الحكومي الألماني، و يرون في شركته ممثلا مباشرا للامبريالية السياسية لألمانيا. و يضيف

فونكنهاوس أن ظروف النجاح الذي لاقته شركته قد دعّمت هذا الرأي، فهو قد نجح فيما فشلوا هم فيه، فهو يمارس مجموعة أعمال لم يحدث لهم أن حققّوا فيها ربحا. و أكد فونكنهاوس أنه ليس من الطبيعة الانسانية أن نعزو فشلنا إلى عدم كفاءتنا، و أن رد الفعل الطبيعي عند الآخرين " هو أن يقولوا أنه يعمل في التجارة في الخليج، و الحكومة الألمانية تدعمه لتعويض خسارته، و لا يتوقع منا منافسة شركة تدعمها الحكومة " [179]. و الحقيقة أننا نريد أن نعود لنؤكد ما أكدناه سلفا من أن حكومة الهند و سلطاتها في الخليج العربي كانت تفسر أي نشاط تقوم به أية قوّة أجنبية في الخليج العربي أو يقوم به رعاياها على إنه عمل سياسي. " فإذا عطس ألماني في الخليج تخشي كلكتا أن يبلغها رذاذه و تلحق العدوى أنفها الأوربي [180] الطويل الممتد إلى مياه الخليج." حاولت مؤسسة فونكنهاوس في عام 1901 أن تحصل على امتياز لصيد اللؤلؤ في مياه البحرين و عارضتها حكومة الهند معارضة جادة. و يمكن أن نضيف بأن سلطات الهند ما كانت لتسمح حتى لشركة إنجليزية القيام بهذا العمل لأن الأساليب الأوروبية الحديثة في صيد اللؤلؤ كانت ستؤدي إلى زيادة الإنتاج، و بالتالي إلى تخفيض عائد الأرباح. و كانت حكومة الهند حريصة على أن تبقى هذه المهنة لأهل الخليج لأنها حرّمت، بصورة أو بأخرى، عليهم امتهان التجارة ووسائل كسب العيش الأخرى فيه.

حصلت فونكنهاوس بعد هذا على توكيل من شركة همبرج أمريكا الألمانية للبواخر، و امتد نشاطها إلى موانيء الخليج العربي. و شهدت الدراسة التي أجرتها وزارة التجارة الأمريكية عن هذه الشركة بأنها كانت شركة ناجحة، و انها لم تكن تتلقى أي دعم حكومي. و امتد نشاط فونكنهاوس إلى استانبول حيث حاول ممثلوها هناك الحصول على امتياز لصيد اللؤلؤ في موقع جزيرة حالول، و استئجار هذه الجزيرة لتكون مركزا لهذه الصناعة في الخليج العربي. و تدخلت الحكومة البريطانية جريا وراء المحافظة على مبادئ سياسة حكومة الهند و أوقفت التصديق خشية أن تقوم ألمانيا باستعمال هذه الجزيرة كمحطة فحم قد تتطور إلى ميناء محصن بعد ذلك [181].

حصلت فونكنهاوس بعد هذا في عام 1906م على امتياز لتعدين الأوكسيد الأحمر في جزيرة بوموسي. و كانت شركة سترك Strick و شركاه تعمل في استخراج هذا المعدن ذاته في هرمز. و كانت المنطقة التي حصلت عليها فونكنهاوس في بوموسي أقلّ جودة في كفاءتها التعدينية مما أصابته الشركة الأنكليزية في هرمز، لكنها بالرغم من هذا، مُنعت من العمل. ترجع قصة امتياز الأوكسيد في بوموسي إلى أن شيخ الشارقة خوّل لثلاثة من العرب حقوق التنقيب عن هذا المعدن في بوموسي، و تنازل اثنان من الثلاثة عن حقوقهم لفونكنهاوس التي بدأت تستعد لبدء العمل. و في

الحقيقة فإن استخراج هذا الأوكسيد بواسطة شركة فونكنهاوس كان يمكن أن يشكل عملا ناجحا جدا لشركة همبرج أمريكا التي بدأت تفد الخليج العربي مُحمّلة ببعض المواد اللازمة للخطوات الأولى لتشييد خط حديد بغداد، و تعود دون أن تصيب أحمالا من سلع الخليج العربي في رحلة العودة. و كان هذا من أبرز الأسباب التي دفعت بسلطات الخليج العربي البريطانية لمعارضة هذا الأمتياز و منع الشركة الألمانية من الظفر به. و لم تتلق شركة فونكنهاوس أخطارا من الشيخ بإلغاء امتيازها، غير أنها فوجئت بسفينة الحرب البريطانية لابونج تنزل عددا من المسلحين يبلغ الثلثمائة رجل في قوارب في بوموسي. و قامت هذه الجماعة المسلحة التابعة لشيخ الشارقة بإجلاء عمال فونكنهاوس و أخذوهم إلى لنجه. ووصل ممثل فونكنهاوس إلى الجزيرة بعد ساعتين من إجلاء عماله و استقبلته الجماعة بالرصاص فتراجع إلى لنجه. و بلغ الخبر بعد ذلك إلى الصحافة الألمانية التي شجبت هذا العمل و طالبت برد الاعتبار. و تولت الحكومة الألمانية شكوى فونكنهاوس و بدأت المفاوضات مع لندن التي أقرّت حقّ فونكنهاوس في التعويض. و استمرت مفاوضات لتحديد قيمة التعويض لفونكنهاوس، و لم تصل الحكومتان إلى تقدير المبلغ المستحق للشركة الألمانية إلا قبل الحرب العالمية الأولى بخمسة شهور. و حين قامت الحرب لم تستلم فونكنهاوس بالطبع شيئا فخسرت التعويض، كما خسرت عند قيام الحرب أعمالها التجارية في الخليج، و في منطقة نهر القارون حيث كانت الشركة تقوم بتشغيل بعض المركبات البخارية التي كانت تنافس شركة لنش البريطانية منافسة قوية [182].

أما في الكويت فقد كانت مشاكسة حكومة الهند لاستقرار هذه الشركة هناك بالغا. حاولت فونكنهاوس أن تقيم لها فرعا في الكويت لكنها لم تتمكن للمجابهة الهندية القوية في تلك المنطقة التي كانوا، في هذه الفترة من بداية القرن العشرين، يعملون على أن يحرموا كل نشاط ألماني فيها. زار فونكنهاوس الشيخ مبارك الصباح في الفلية في عام 1907م و تلطف معه و أبلغه أن علاقاته الجيدة بالسلطان تمكنه من أن يراسل السلطان و يوصيه به خيرا. و ناقش فونكنهاوس مبارك في شأن إمدادات الكويت التي تتحكم فيها بومباي بصورة شاملة. فأجابه مبارك بأن علاقاته بالإنكليز حسنة لأنهم- كما يقول - وقفوا بجانبه في اللحظات " الحرجة " داعمين، و لهذا فهو يرغب في استمرار التعامل مع بومباي دون سواها. و أنهى فونكنهاوس اللقاء بأن أخطر الشيخ مبارك أن شركته و سفنها ستكون في خدمة تجارته حين يشاء أن يفيد منها.[183]

حاولت شركة فونكنهاوس الكرّة مرّة أخرى مع الشيخ مبارك الصباح في عام 1911م حين أرسلت له القنصلية الألمانية خطابا مع المدعو عبد الله بن الأسطي أحمد يطلبون إليه السماح بافتتاح فرع للشركة في الكويت , و أبدى وكيل الكويت البريطاني ملاحظته على الخطاب فيذكر: " أنه مؤرخ في 3 آزار، و آزار هو التاريخ الذي يُؤرخ به الأتراك، كما يُخاطب الشيخ في الخطاب بصفته، مبارك باشا ابن الصباح، و إن لم يُشار إلى وظيفته كقائم مقام ". [184]

استفتى الشيخ مبارك الوكيل البريطاني في الردعلى خطاب القنصلية، فهو لا يستطيع بحكم تعهده في عام 1899م أن يراسل قوّة أجنبية. و جاءت إجابة الوكيل لمبارك بأن هدف التجارة الألمانية في الخليج العربي هو هدف سياسي في المكان الأول، إن شركة فونكنهاوس، بصفة خاصة، هي شركة خاسرة تدعمها الحكومة الألمانية. و طلب الوكيل إلى " الشيخ أن يمهله فترة ليرى كيف يكون الرد " [185]، و اتصل الوكيل بالمقيم الذي اتصل بدوره بالسلطات السياسية في سملا. و ذكر المقيم أنه أكّد للشيخ " خطورة " التراسل مع القنصل الألماني في البصرة فذلك يعني صراحة أنه يقع في دائرة البصرة القنصلية، و طلب المقيم عبر الوكيل إلى الشيخ أن يتجاهل الرد على هذا الخطاب. أما إذا اثير الأمر مرّة أخرى عن طريق رسول يفده من البصرة، فعليه أن يخطر الرسول بأنه لا يرحب بأية مراسلات مع القنصل الألماني في البصرة، و أنه لا توجد أية سوابق تبرر ذلك، و يمكن لوكيل الشركة أن يتصل به بصفة مباشرة دون توصية من البصرة. و أشار المقيم في تقريره لسملا أن الشيخ يرى بأن يعتذر للرسول بأن الوقت لم يحن الوقت بعد لفتح وكالات تجارية في الكويت. و طلب المقيم من سملا إبداء الرأي في هذا الخصوص [186]. وافقت حكومة الهند المقيم على رأيه و أضافت أنه إذا ألحّ الألمان على التراسل مع الشيخ من خلال قنصليتهم في البصرة مبارك، فعلى الشيخ: " أن يعلنها صريحة أنه لا ينتمي إلى نفوذ سلطة البصرة، و أنه لا يقع في دائرة اختصاصها، فهو يعتبرنفسه، فيما يتصل بالشؤون القضائية و القنصلية، في دائرة القنصلية البريطانية في بوشهر ". [187]. و رأت الهند أن الحُجّة التي يريد الشيخ أن يعتذر بها هي حُجّة مناسبة في الوقت الراهن لإبعاد هذه الشركة عن الكويت. و رغم ذلك بدأت شركة فونكنهاوس تعمل في الكويت من خلال المدعو علي باش. و أفادت تقارير الوكيل البريطاني في الكويت أن الشركة بدأت عملا سرعان ما توسّعت فيه، " فهم يشترون أي شيء يقع في أيديهم، و لا يهتمون بالأسعار أو لا بالأرباح المتوقعة "[188]. و اضاف الوكيل أن علي باش على علاقة طيبة بعبد المحسن، الشخص المسؤول عن جمارك الشيخ، و أن عبد المحسن يحسن معاملته إلى حد بعيد. و يضيف الوكيل أن بعض تجار الكويت بدأوا يتعاملون مع الشركة و اوكلوا لسفنها شحن التمور التي يرسلونها إلى

عدن. و في خطاب آخر أفاد المقيم أن علي باش يشتري من الكويت كميات كبيرة من الشعير مما تسبب في ارتفاع ثمن هذه السلعة في السوق. و أفاد المقيم، بناء على مذكرة الوكيل، [189] بأن المدعو محمد بن مطير، و هو تاجر عربي غير موسر، و عبد المحسن مسؤول جمارك الشيخ، يتعاونان مع علي باش بشكل مريب.

وصل إلى الكويت في 25 مايو عبد الله الألماني، و هو فارسي يعمل في شركة فونكنهاوس في البحرين، لينظر في مشتريات باش [190]. و أخطر مقيم الخليج وكيل الكويت " أن شراء الشركة للحبوب من الكويت هو أمر يشير إلى أن للشركة غايات أخرى غير التجارة، فالشعير الفارسي الذي تشتريه من الكويت يبدو أنه قد هُرِّب إلى هناك دون دفع رسوم و إلا كيف يمكن للشركة ان تشتريه بعد إضافة الرسوم " [191]. و طلب المقيم من الوكيل أن يلفت نظر الشيخ مبارك " لمراقبة هذا الأمر مراقبة فعالة ". و قام مبارك بعد ذلك بالاتصال بعبد الله الألماني واحتجّ بأنه يعترض على شراء فونكنهاوس للشعير من الكويت لأن هذا يزيد في أسعاره، ووجه مبارك عبدالله لشراء الشعير من مصادره بدلا من أن يشتريه من الكويت [192].

حاولت الشركة أن تفتح لها في الكويت فرعا بصفة رسمية فخاطبت مُجدّدا الشيخ مبارك الصباح في 24 المحرم 1330/14 يناير 1912 في هذا الشأن حتى يتيسر لهم تعيين وكيل بصفة دائمة في بلاده[193]. و لم يرد الشيخ على طلب الشركة. و اتصل بعض ممثلي هذه الشركة بالشيخ مبارك مرّة أخرى في فبراير 1912 و طلبوا إليه الموافقة لهم على فتح فرع للشركة تحت وكالة ألماني " أوروبي." و طالب ممثلو الشركة الشيخ أن لا يضع تمييزا في المعاملة التجارية بين البريطانيين و غيرهم. و أجابهم الشيخ أن معاملته مع التجار الهنود طويلة متصلة منذ فترة بعيدة، و أنه يرى دخول تجار جدد من أيه هوية أخرى سيجلب معه مشاكل جديدة لا قبل له بها [194]. و على الرغم من رفض الشيخ لهذه الشركة بأن تفتح لها فرعا بصفة دائمة في الكويت إلا أن عبد الله الألماني ظل يقوم بالوكالة للشركة لفترة ما إلا أنه لم يستطع الصمود لفترة طويلة، فانبرى عائدا إلى البحرين من حيث جاء [195].

قام في يوليو 1912 أحد التجار المسيحيين العاملين مع شركة فونكنهاوس في بغداد[196] بزيارة الشيخ مبارك في الكويت، و حدّثه مجدّدا في شأن إقامة فرع للشركة برئاسة أوروبي " ألماني " في بلاده، و لم يوافق الشيخ. و تحدث الرجل مع مبارك في شأن خط حديد بغداد الذي ربما ينتهي في أم القصر عند ساحل الخليج العربي فأجابه مبارك أن أم القصر هي من أملاك ال الصباح

توارثوها من أزمان بعيدة، و أن جدّه كان قد قام ببناء قلعة أم القصر لحماية الآبار في تلك المنطقة. و يذكر الشيخ أن العثمانيين لم يحتلوا تلك المنطقة إلا منذ فترة وجيزة لا تتعدى الثماني أو التسع سنوات. و أحتجّ مبارك بأنه يجب على العثمانيين أن لا يتجاهلوا حقّه في إدعاء تلك المنطقة. و ذكر أنه أهمل إثارة هذا الأمر فيما مضى لأن المكان لم يكن بذي أهمية تذكر. و أنهى التاجر لمبارك بأن عليه يتعاون مع الشركة الألمانية للخطوط الحديدية في أن يؤجر لهم ما يلزمهم من أراض أو يبيع لهم الرض التي يرغبون في شرائها. و افاد الرجل بأن للأمبراطور الألماني كلمة مسموعة عند السلطان، فإذا رغب مبارك أن يستعيد أم القصر و صفوان مرّة أخرى فيمكن أن يصل إلى هدفه من خلال استرضاء الإمبراطور. و أبلغ هذا المندوب الألماني مباركا أن شركة السكة الحديد تسعى لحيازة أرض في المنطقة التي ستنتهي إليها عند الكويت، و أنها، في نظير ذلك، ستلبّي لمبارك كل ما يصبو إليه و يرجوه. و أبلغ التاجر مبارك بأن هذا الخط سيتسبب في تنمية تجارة الكويت وزيادة عوائد جماركها. و نبّه مبارك ضيفه إلى أن موضوع الحديث خرج عن هدفه الرئيس في التفاوض بشأن فتح فرع لشركة فونكنهاوس في الكويت. و يعلق الوكيل البريطاني في الكويت على ما وصله من الشيخ مبارك من خبر هذه الزيارة بأن هذا الحديث الذي رواه مبارك قد يحتوي على بعض المبالغة التي افتعلها الشيخ بهدف " اثبات أهميته. و يلاحظ الوكيل أن مفاوضات فونكنهاوس في شأن فتح وكالة لهم في الكويت كثيرا ما كانت تنقلب إلى محاولة ترغيب الشيخ في التعامل مع أمر خط حديد بغداد. و بالطبع فإننا نرى أن هذا أمر بديهي إذ يهم هذه الشركة أن تزدهر شؤونها مع وصول الخط الألماني إلى الخليج.

إذا تجاوزنا مسالة وكالة فونكنهاوس في الكويت إلى مسألة خط حديد بغداد الذي كان يمكن ان ينتهي إلى الكويت أو على مشارفها، فإننا نلاحظ أن حكومة الهند و حكومة لندن قد اتخذتا تجاه هذا الموضوع خطا مغايرا لا يربط بينهما إلا الغرض في خدمة الأهداف البريطانية العليا. انطلقت حكومة الهند أولا من موقف الرافض لقيام هذا المشروع تماما، تنفيذا لسياساتها الأصيلة في إبعاد كل قوّة ذات شأن من أن تبلغ مياه الخليج العربي. و لما أدركت حكومة الهند أن الرفض المطلق لا يتسق و الظروف الدولية لجأت إلى رفض مُخفّف و هو أن تنتهي ألمانيه الخط عند السياج الأمني في الظهير، على أن يتولى المال البريطاني تشييد الخط من نقطة في الظهير تبدأ في بغداد و تنتهي في الخليج العربي و ذلك حتى يصبح وجه هذا الخط الذي يطلّ على الخليج بريطانيا و يحجب كل تأثير لأي قوى دولية أخرى. و بالتدريج، نتيجة لرفض لندن لخط الهند المتشدد، انتهت حكومة الهند إلى رأي يعارض اصول سياستها ينادي بتدويل الخط لأنها رأت ان النفوذ المغاير حين تتاح له

فرصة الأنتشار في ما بين النهرين فإنه سرعان ما سيبلغ الخليج، وهكذا نجد انها تراجعت عن عدم التعامل مع البر، تلك السياسة التي درجت على اتباعها زمنا طويلا. أما لندن فقد بنت سياسة على نقيض سياسة حكومة الهند في هذا الصدد. لم تبدأ لندن بالرفض مثل ما فعلت الهند، إنما بالمساومة لتدويل الخط. و انتهت، على عكس ما توصلت له الهند أخيرا، إلى تجزئة الخط على أن يقوم المال البريطاني ببناء الخط الذي يلي بغداد إلى الخليج العربي.

كان لانسدون، وزير الخارجية، يرى، كما جاء في مذكرة له في عام 1903م أن في تدويل خط برلين بغداد ضمانا أساسيا لتحييد الخطر الذي يأتي به الخط إلى الخليج العربي، في حين كان كيرزن، نائب الهند، و ممثله مقيم بوشهر، يعارضان بشكل تام وصول الخط إلى الخليج، لأنه في تقديرهما " سيدمر السمعة العالية التي لبريطانيا في الخليج (العربي) و سيقصر من المسافة بين برلين و الهند ". و كانت تلك فكرة سخر منها الإمبراطور الألماني فيما بعد حين قال: " هل فكر هؤلاء في الرحلة الطويلة التي سيقطعها رجالنا كي يذهبوا ليشنوا حربا في الهند. انهم سيمرون بالنمسا، فالبلقان، فتركيا، ففارس. و لن يمرّ هؤلاء الجنود عبر تلك المناطق إلا إذا كنا في حرب مع إنكلترى. أما إذا حدث أن دخلنا في حرب مع إنكلترى فإننا سنكون بالتأكيد في حوجة إلى رجالنا المسلحين في مناطق معينة تقع على مسافة بعيدة من الهند "[197].

حين أدركت الهند أن لندن لم تكن قادرة على سدّ الطريق أمام الخط الحديدي، أشارت بأن يُبنى الخط على أجزاء، تصيب ألمانيا فيه الجزء الأول، تليها فرنسا في الجزء الثاني، و أن تتولى بريطانيا كل ما يتصل بالخط في جزئه الثالث الذي ينتهي إلى الخليج العربي. و أنتهت حكومة الهند في عام 1904 م إلى أن هذا الخط، إذا قُدِّر له أن يبلغ الخليج، فإن ذلك يجب ألا يكون هذا إلا بموافقة بريطانيا و بدعمها [198]. و استصوبت وزارة الحربية البريطانية رأي الهند من وجوب أن يكون الجزء الأخير من الخط بريطانيا، إلا أنها أضافت أن الظروف المناخية في المنطقة، و الخشية من غارات العرب تجعل هذا الأمر متعذرا [199].

أخذت حكومة لندن منذعام 1904م تتجاهل حكومة الهند في الأمور الخاصة بهذا الخط، بل إن وزارة الهند نفسها كانت تتلكأ في طلب رأي حكومة الهند في المسائل التي تثار مع حكومات ألمانيا و فرنسا و تركيا. و كان كيرزن دائب الشكوى من هذا التجاهل [200].و كان ريتشتي Richte أحد المسؤولين في وزارة الهند يرى أن رأي حكومة الهند يجب أن يكون له اعتباره لأن تلك الحكومة مرتبطة بما أحدثته في الكويت، و بالخطوات الأخرى التي أستحدثتها في المنطقة لمعارضة

قيام هذا الخط. و يرى ريتشتي بأن أمر امتداد خط بغداد إلى الخليج العربي " هو أمر هندي " في المكان الأول [201]. كما احتجّ منتو، نائب الملك في الهند(1905-1910م) الذي خلف كيرزن، على حكومة لندن " بأنه بالرغم من سعادته بما أحدثته وسائل الاتصال الحديثة التي جذبت العديد من الأمور إلى دائرة مركز القرار في الامبراطورية، إلا أن رأي هذه الحكومة الفرعية يجب أن يكون له اعتباره ".

أخذت لندن برأي بعض الدوائر التي رأت أن امتداد خط حديد برلين بغداد سوف لن يهدد أمن الهند بقدر ما سيهدد التجارة البريطانية في المناطق الدنيا فيما بين النهرين، حيث سيقلل هذا الخط من الشحنات التي ستصيبها السفن البريطانية في الخليج العربي، كما سيقضي على شركة لنش تماما. و ترى تلك الدوائر أن أمر هذا الخط يجب أن يُعالج ضمن المفهوم الإقتصادي و ليس ضمن الاعتبارات الهندية. و لهذا كان من رأي لندن أن تدعو رأس المال البريطاني للمساهمة في بناء الخط على طول امتداده لتمتد التجارة البريطانية بامتداده، و أن هذا العمل سيعوض ما قد ينشأ خسارة عادية يمكن أن تحدث في مناطق الخليج [202]. ورأت لندن أن أمر هذا الخط يمكن أن يُحل بالمعاملة المتساوية للدول المساهمة مع وجوب الإحتفاظ " بالحقوق " الملاحية التي اكتسبتها بريطانيا في نهر دجلة. كما أشارت لندن بأنها تستحسن أن يسيطر رأس المال البريطاني المساهم في المنطقة من بغداد إلى الخليج العربي[203]. و لعلنا بهذا نلاحظ بدء تحرك لندن من التدويل إلى محاولة شكل من اشكال التجزئة.

كان إصرار لندن على إبعاد الهند عن التعامل في شؤون هذا الخط إصرارا صادقا.عارض جون مورلي، وزير الهند (1905-1910م) منذ عام 1906م اشتغال الهند بهذا الأمر، و كان يرى أن مشروع برلين بغداد هو من المسائل التي لا تملك حكومة الهند أن تفتي فيها برأي. و يرى مورلي أن حكومة الهند ليس لها الأهلية، و لا الكفاية و لا الدراية التي تجعل احتمال أن يكون لرأيها أثر ما في السياسة الخارجية التي هي من شأن لندن وحدها. ويرى مورلي ": أن الضرورة الأساسية تقتضي أن يُنزع عن حكومة الهند وضعها المستقل الذي اغتصبته في فترة سابقة ". و حرّض مورلي لندن على إزالة متاريس البيروقراطية الهندية " التي تقيمها حكومة الهند في وجه لندن ". و خلص مورلي إلى أن نائب الملك في الهند وقع في خطأ كبير حين أشار أنه ليس من المحتمل أن تصل لندن إلى شيء بخصوص هذا الخط دون أن تعطي رأيه في الأعتبار الكافي. و تعمد مورلي بعد هذا عدم ارسال ما أي امر يتصل بخط حديد بغداد إلى الهند لبحثه أو إبداء الرأي بشأنه[204]. و

عندما تشكلت لجنة في عام 1907م للنظر في أمر صياغة سياسة يجب على لندن التمسك بها تجاه هذا الخط [205] لم تشارك حكومة الهند في أعمالها بالرغم من أن وزارة الهند كانت ممثلة فيها إلى جانب الخارجية و البحرية و الحربية و الغرفة التجارية. و في الوقت الذي انشغلت فيه هذه اللجنة ببحث و تمحيص رأي السفير أوكنور في استانبول و قناصله في المراكز العثمانية المختلفة، لم يطلب إلى نائب الملك في الهند أو مقيم الخليج العربي أو أيّ من وكلائه أن يدلي برأي في هذه المسألة. و لما أرسلت تقارير هذه اللجنة بعد اكتمالها إلى منتو، نائب الملك في الهند، أرسلت دون تعليل أو طلب لإبداء الرأي، حتى أن منتو علّق على هذا الأمر في خطاب له إلى مورلي " بأن هنالك الكثير مما يلفت الإنتباه فيما قصّوه عليّ من أخبار هذا المشروع "[206].

بدأت الخارجية البريطانية تميل في عام 1906م إلى رأي الوين باركر، الخبير في الشؤون العثمانية و الفارسية، الذي اقترح تجزئة الخط دون تدويله. حذّر باركر من أن الإدارة الدولية للخط تنطوي على خطر عظيم، إذ قد يجتمع الألمان مع الفرنسيين على سياسة بعينها، و لن يكون بعد هذا لرأي الشريك الثالث أدنى اعتبار. و دعا باركر أن تتولى ألمانيا ثم فرنسا فبريطانيا على التوالي العمليات الخاصة بإنشاء الخط و مسؤولية تشغيله [207]. و تبلورت على هذا الرأي إتجاهات توصيات اللجنة في عام 1907 م.

لعله من الطريف أن نلاحظ أن حكومة الهند فارقت الخط الذي أوصت به أولا من وجوب تجزئة الخط الذي تبنته لندن لتتبنى خط لندن القديم من وجوب تدويل الخط. أبلغت حكومة الهند لندن بأنها ترى تدويل الخط أوجب من تجزئته. و أشارت المذكرة أن النشاط الألماني الذي سيبلغ بغداد مع الخط الحديدي سيقوى في كل المنطقة، و سينزل الضرر بالمصالح البريطانية هناك [208]. كما رأى كتشنر، القائد العام للجيش في الهند، أن جزءا بريطانيا صغيرا من هذا الخط الحديدي عند نهايته لن يكون مفيدا بحال إذا وقعت كارثة ما[209]. و لم تهتم لندن بما ذكرته حكومة الهند. و عاد مورلي ليؤكد بأن مسائل الخليج العربي " مرتبطة تماما بمسائل الدبلوماسية الأوروبية التي تنطلق من معاقل ليس لوزير الهند أي اتصال بها، و ليس له، بالتالي، أن يتدخل في شؤونها أو يحاول ترتيب نسيجها. إن هذه المسائل بعيدة بطبيعتها عن فهم حكومة الهند لأنها تتصل بصفة أساسية بالصراع الدولي [210]. و كان مورلي يرد بهذا على ما جاء به منتو، حاكم عام الهند، من أنه يرى أن ما تعبر عنه حكومة الهند يجب أن يكون له اعتبارة دائما في تقدير حكومة لندن، لأن سيستان و

جنوب فارس و بغداد هي من المناطق ذات الحيوية القصوى بالنسبة للهند، و لا يمكن لحكومة الهند بحال أن تكفّ يدها عن تلك المناطق[211].

إستقرت لندن على تقسيم الخط الحديدي حتى أنها رأت أنها يمكن لها أن تقيم خطوط حديد بديلة توصلها من بغداد أو أية منطقة أخرى إلى الخليج العربي قبل أن يبلغ الخط الألماني إلى الخليج و ذلك إذا لم تُجاب الحكومة البريطانية إلى طلبها في تجزئة الخط 0 رأت حكومة لندن في عام 1910م وجوب اقامة خط حديد من بغداد إلى البصرة يمر عبر طريق وادي الفرات بديلا للامتداد المقترح للخط الألماني عن طريق وادي دجلة. و كانت كل هذه المراسلات بشأن الخط الحديدي التي تتم بين المصالح البريطانية و الوزارات المختلفة تصبّ في وزارة الهند التي لا تعمل على إرسالها إلى حكومة الهند بل على العكس من هذا تختم عليها: " ليست للهند ". (Not for India)[212].

مع هذا الاسقاط المتعمد من وزارة الهند لشقّها الآسيوي وجدت وزارة الهند نفسها في شقاق مع وزارة الخارجية بشأن السياسة التي يجب اتباعها في شأن هذا الخط.و اتفقت الوزارتان من حيث المبدأ على تجزئة الخط غير أن التقلبات التي مرّت بها السياسة الخارجية أتت بالجديد، و كانت وزارة الخارجية تتولى المبادرة. شكا هرتزل في عام 1910 م من أن وزارة الخارجية درجت على إرسال الأوراق الخاصة بخط حديد بغداد غير مكتملة، و بعد أن تنقضي صلاحية ما ورد فيها [213] out of date، ولم يعد ما يُمكّن من إبداء الرأي.و اتهم هرتزل " موظفي جراي بأنهم يحاولون ربط الهند بسياسة ليست لها فيها يد، فوزارة الخارجية تبني سياساتها الشرق أوسطية على اعتبارات عالمية بحتة، ليس للهند فيها أي دور " [214]. أما في وزارة الخارجية فنجد باركر يشكو في عام 1912م من صعوبة التعامل مع هرتزل لأنه يطنطن chuck عندما تعرض عليه المقترحات الخاصة بخط بغداد و ذلك قبل أن يقرأها [215]. و قد أشار هرتزل لهذا المعنى ذاته حين ذكر بأن موظفي وزارة الخارجية يجعلونه " يحس بالجرم في كل مرّة يبدأ فيها نقاشا أو يثير ضجّة في أمر هذا الخط ". و أردف قائلا ": إن الحكومة تدفع له راتبه ليقوم بمثل هذه الأعمال " paid to.[216] do these kinds of things.

على ذلك فيمكننا القول بأن وزارة الهند حين عارضت حكومة الهند ومنعتها من أن تقوم بفرض رأيها على حكومة لندن، وجدت نفسها –هي أيضا- عاجزة عن أن تجعل وزارة الخارجية تصغي لرأيها. و على هذا يمكننا القول أيضا بأن حكومة الهند لم تكن منذعام 1907م بصفة عامة،

و منذعام 1910م بصفة خاصة، تمارس دورا يذكر في تشكيل سياسة حكومة لندن تجاه مسألة خط حديد بغداد الذي حُسم أمره أخيرا حيث توصلت ألمانيا إلى مشروع اتفاق مع بريطانيا في شأنه بتاريخ 21 شعبان 1332/15 يوليو 1914. و كان أهم ما نصّت عليه هذه الاتفاقية هو إعلان هذه الشركة عدم عزمها مد الخط الحديدي من البصرة إلى الخليج العربي، و أن لا يكون لألمانيا ميناء أو محطة خط حديدي في الخليج دون موافقة الحكومة البريطانية، كما تعهّدت ألمانيا بعدم مساندة أية دولة أجنبية للقيام بهذا العمل. و لم تمكن الحرب العالمية الأولى هذا الاتفاق من النفاذ حيث انفردت بريطانيا في أعقاب الحرب بالسيطرة و النفوذ في الخليج و تأكيد الحماية على جميع إمارات الخليج [217].

مشروع الإتفاق البريطاني العثماني في 29 يوليو 1913: -

إنتهت فترة كيرزن و لم تصل مسألة الكويت إلى حل إذ لم تحل بالطبع مشكلة المحطة النهائية لخط حديد بغداد على الخليج العربي، و لم تجد بريطانيا عقبات لتضعها في الظهير الصحراوي أو المستنقع فيما وراء الكويت. و حقيقة أن عهد كيرزن كان قد شهد تصاعدا في الموقف البريطاني في الكويت من الصفر تقريبا إلى شيء يشبه الحماية. غير أن الموقف البريطاني في الكويت لم يكن ثابتا أو في حرز من " الخطر " العثماني [218]. لم يتمكن كيرزن من أن يحقق أمل حكومته الهندية من جعل الكويت قاعدة أسطولية ضدّ روسيا و ألمانيا في الخليج العربي [219]. كانت كل الشؤون الخاصة بالكويت، عندما غادر كيرزن منصبه في الهند، في يد لجنة الدفاع عن الإمبراطورية، ذلك الجهاز الذي أحدث أول سد أمام السيطرة الكاملة لحكومة الهند على المنطقة. كان كيرزن قد أستطاع أن يربط الكويت بتعهد 10 رمضان 1316 (23 يناير 1899) [220]، و تعهد 24 محرم الحرام 1318 (24 مايو 1900) [221] الذي حرّم مبارك بموجبه تصدير و استيراد السلاح من و إلى الكويت، و بتعهد 11 ذي الحجة 1321 (28 فبراير 1904) الذي تعهد مبارك بموجبه أن" لا يعطي إذن لجعل بوستة دولة أجنبية في طرفنا، فقط هذه البوستة تترتب على جانب الدولة البهية الإنكليس لا غير أحد يكون ".[222]

تمكنت إدارة الخليج البريطانية من ان تؤجر في 8 رمضان 1325/15 اكتوبر 1907 بندر الشويخ[223] للحكومة البريطانية من الشيخ مبارك الصباح بموجب تعهد من الشيخ اشتمل على اثني عشر بندا نصّت على إيجار سنوي نظير مبلغ معين، كما نصّت على تأكيد تعهد 1899م الصادر من

الشيخ. وجاء البند الأخير في صك الإيجار على النحو التالي، ":على أن يبقى هذا التعهد سرّا إلى حين أن تشاء الحكومة البريطانية إعلانه. "و كانت حكومة الهند قد عقدت مع مبارك من خلال مقيميتها في بوشهرهذا الاتفاق الذي أشارت به حكومة لندن بعد أن أكّدت لجنة مصلحية بريطانية أهمية ان يفرض الشيخ سلطته على تلك المواقع[224]

منح هذا التعهد للحكومة البريطانية حقوق الأولية في شراء و تأجير رأس خاطمة وورية [225]. و قد انتقد كوكس في عام 1910م السياسة التي تسير عليها الحكومة البريطانية في الكويت، تلك السياسة التي تقوم على " الوضع الراهن "، و يرى كوكس أن هذه السياسة مناسبة كصيغة تُكتب، لكنها ليست مناسبة كأسلوب عمل، فالعثمانيون، كما يرى كوكس، يفهمون "الوضع الراهن" بطريقتهم و لهذا عيّنوا مباركا قائم مقاما، و يعملون على على دفعه كي يسجل نفسه من رعايا الدولة. أما نحن " فإننا نفهم الوضع الراهن بطريقتنا، و تعريف فهمنا للوضع الراهن أمر يصعب جدا علينا تحديده ". و أكد كوكس بأن الحكومة البريطانية لم تنكر أبدا سلطة Suzerainity الدولة العثمانية على الكويت، بل ربما لم تنكر سيادتها Suverainty هنالك أبدا [226].

كتب الوكيل البريطاني في الكويت في 2 شعبان 1329/29 يوليو 1911إلى مبارك يطلب إليه عدم السماح لأي أجنبي يريد ان يعمل بصيد الإسفنج و اللؤلؤ في المناطق التابعة له " لانه يمكن أن يصير ضرر على الشيوخ و على رعاياهم خصوصا لو يحصل لهم امتياز لأجل غوص اللؤلؤ ". و ذّكر المقيم من خلال الوكيل في خطابه مبارك بأنه سبق أن رفض قبل خمس سنوات أمر كهذا، و لا يجب أن يقبل به في المستقبل " إلا بعد أن يأخذ رأي رئيسنا قبل أن يكمل الأمر "[227]. ووافق مبارك على هذا، كما تعهد مبارك في 27 أكتوبر 1913 بعدم منح امتياز استخراج البترول لأي شخص دون الرجوع إلى الحكومة البريطانية [228]. و كان ذلك بعد أقلّ من ثلاثة أشهر من توقيع مشروع الاتفاق بين الحكومتين العثمانية و البريطانية في الخليج العربي مما يجعلنا نعتقد بأن الحكومة البريطانية – كشأنها دائما – ما كانت ترى الالتزام بما جاء في ذلك الاتفاق إلا في حدود ما يوافق مصالحها. و قد ظهرت الكويت كما سنرى – في هذه الاتفاقية – قضاء عثمانيا ذا حكم أتونوميا (السيادة للدولة العثمانية على الأرض، لكن ليس على السكان) كما اعترفت الحكومةالعثمانية بشرعية المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع شيخ الكويت [229]. و ظل هذا التناقض بين اعتبار المشيخة قضاء عثمانيا أتونوميا، و بين اعتبار المشيخة بصورة أو بأخرى تحت الحماية البريطانية المستترة كالمشيخات الأخرى، تناقضا خامدا لم يستثار لأن هذا الاتفاق وأدته الحرب

العالمية الأولى قبل ان يجري التصديق النهائي عليه. و ربما زادت صورة التناقض حدّة بالتعهدين اللّذين أصدرهما شيخ الكويت في عام1914م بشأن استثمار البترول في أرضه [230].

هذا ما كان من أمر الكويت الذي سنعود إليه مرّة أخرى لبحثه في اطار مشروع المعاهدة العثمانية البريطانية لعام 1913 م, و ذلك الاتفاق الذي استوجبه نزول بعض الجند العثماني في جزيرة الزخنونية [231]. قام السلطات العثمانية في مارس 1909 برفع العلم العثماني على الزخنونية، و أرسلوا حرسا للعلم [232]. و اعترضت حكومة الهند على هذا التحرك ورفعت الأمر إلى وزارة الهند بدعوى أن هذه الجزيرة تتبع شيخ البحرين، فأتباع الشيخ عيسي بن علي يقصدونها شتاء للصيد. و طلبت حكومة الهند إلى وزارتها أن تدفع بالخارجية البريطانية للاحتجاج لدى السلطات العثمانية، و طالبت أيضا أن يُسمح للشيخ عيسي برفع علمه على الجزيرة. و نفت الحكومة العثمانية حينما وجهت باحتجاج الحكومة البريطانية أنها تحتفظ في ذلك الوقت بأي حرس في الزخنونية كما أنزلت علمها من على ساريته هناك. و كتبت وزارة الهند في28 رمضان 1327/ 13 اكتوبر 1909 إلى حكومة الهند ترفض السماح لها بنشر علم الشيخ عيسى على الزخنونية حتى لا تحدث اضطرابا في "الوضع الراهن" [233].

أقدمت السلطات العثمانية في ابريل 1910 على رفع العلم العثماني على الزخنونية مرّة أخرى. و أبرق المقيم للهند التي أبرقت للندن، و احتجّت لندن لدى استانبول التي لم تقدم ردودا شافية هذه المرّة، و راوغت و تلكأت في سحب علمها من الزخنونية. و عاد السفير البريطاني لدي الباب العالي ليقدم احتجاجا شديد اللهجة مُهدّدا بأن حكومته يمكن تستعمل القوّة لإجلاء حرس العلم الثعماني المرفوع في الزخنونية. و أمام هذا الإصرار البريطاني الذي حمل هاردنج، نائب الملك في الهند، رايته، اضطرت السلطات العثمانية طي علمها و الانسحاب من الزخنونية. و كان هاردنج قد اصرّ بشدة على ضرورة الانسحاب العثماني من الزخنونية و على ضرورة أن يظهر البريطانيون للعثمانيين " أنهم يبغون عملا ما كي لا يعودوا لمثل ذلك العمل " [234]. و كان اقتراح ارسال السفينة رد برست إلى الزخنونية لتهديد العثمانيين و إظهار السطوة البريطانية من المسائل التي سخر منها هرتزل: " ما جدوى إرسال مركب مسلحة واحدة إلى جزيرة على بعد ستمائة ميل من البصرة ؟" [235].

كانت وزارة الخارجية البريطانية تميل في معالجتها لمقابلة المستجدات في الخليج العربي إلى الأسلوب القديم لحكومة الهند الذي يقوم على عقد الإتفاقات مع القوى المعنية، و هو الأسلوب

الذي بدأت به حكومة الهند لكنها أخذت في هذه الفترة في مفارقته. فهي التزمت به مع القوى المحلية في الخليج، أما مع القوى الأجنبية التي تنافسها و المتمثلة في الألمان المحمولين على ظهور العثمانيين فقد اتجهت إلى تبني أسلوب أكثر ضراوة، و أصرّت عليه. اقترحت وزارة الخارجية على وزارة الهند بأن تقوم حكومة الهند بعقد اتفاق مع شيخ قطر أسوة بالشيوخ الآخرين. و قد حمل وزارة الخارجية على اتباع هذه السياسة، الرأي الذي أرسله سفيرها في استانبول في خطابه بتاريخ15 شعبان 1328/ 22 اغسطس 1910 الذي جاء منه أنه إذا رأت حكومة صاحب الجلالة و حكومة الهند عقد اتفاق سري مع شيخ قطر فلا مانع لديه. و أحيل هذا الخطاب إلى الهند التي أحالته الهند بدورها إلى مقيمها في الخليج العربي. و اعترض كوكس على هذا الرأي الذي طالما تبنته حكومة الهند و دافعت عنه زمنا طويلا. كانت حكومة الهند في عام1902م أول من أشار بضرورة تبني طلب الشيخ أحمد بن ثاني لتشمله الحماية البريطانية بتعهده للحكومة البريطانية. كان أحمد يخشى أن يأتي العثمانيون بحشود كبيرة من الجند إلى قطر بعد الاجراءات العثمانية التي اتخذت في عام 1902 م حين أعلن العثمانيون عن تحويل وكرة و العديد و الزبارة إلى مناطق إدارية.و احتجّت بريطانيا على هذا الاجراء وقتها لأن " العديد من أملاك شيخ أبو ظبي الذي تربطه بنا علاقات تعاهد "، كما كانت الحكومة البريطانية قد احتجّت منذعام 1895 م على وجود حامية عثمانية في الزبارة " لما في ذلك من خطورة على أمن البحرين ". و في مارس 1903 قام أوكنور، السفير البريطاني لدى استانبول بتحذير الحكومةالعثمانية من إجراء أية تغيرات إدارية في الخليج العربي فذلك من شأنه أن يؤدي إلى اهتزاز "الوضع الراهن" في قطر. و استجابت الحكومة العثمانية للاحتجاج وتعهدت بأنها لن ترسل أي مدرين إلى تلك النواحي لكنهم عادوا و أرسلوا مديرا عثمانيا إلى الوكرة ما لبث أن انسحب أمام ضغوط حكومة الهند. و أبدلتالحكومة العثمانية المدير التركي بمدير وطني هو الشيخ عبد الرحمن بنقاسم آل ثاني. و قد تمكنت الحكومة البريطانية من اسقاط الوظيفة من عبد الرحمن في نوفمبر 1904 لكنها لم تعنترض على ممارسته المسؤولية هناك فهو ابن الشيخ قاسم آل ثاني. و رفضت حكومة لندن في عام 1903م الاستجابة لرغبة الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني التي ساندتها حكومة الهند.للدخول في سلك المشايخ المتعاهدين و ذلك لاستجابة الحكومة العثمانية لما طلبته لندن من إلغاء المراكز التي أزمعت إنشاءها في ساحل قطر. و رأت لندن وقتها أن ليس هناك ما يستدعي أية اجراءات قد تثير اضطرابا في "الوضع الراهن" الحجة البريطانية التي يقيدون بها حركة العثمانيين في الخليج. و جدّدت حكومة الهند و سلطاتها في الخليج العربي في 31 مارس 1904 طلبها بضرورة ادخال آل ثاني تحت مظلة التعهدات البريطانية. و

رفضت حكومة لندن هذا الرأي نتيجة لرأي أفاد به السفير أوكنور الذي أشار بأن هنالك مسائل كثيرة تتصل بشوون السياسة العالمية تتطلب حسما مع الحكومة العثمانية، و لا يرى السفير داعيا لادراج مسألة قطر في النظام التهادني [236] حجر عثره في سبيل تسوية تلك المشكلات. و رفضت الخارجية في خطابها في 18 فبراير 1905 هذا الرأي الذي أشارت به حكومة الهند بحجة أن اتفاقا كهذا لا تأثير له و لا جدوى، و ربما أثار حساسية في استانبول. و أحيلت كل حجج حكومة الهند وحجج وزارة الخارجية تناقضها إلى لجنة الدفاع عن الإمبراطورية C.I.D. حيث رقد الأمر هنالك لفترة حتى أثارته وزارة الخارجية مرّة أخرى في عام 1910 م. ومن الغريب أن اعترض المقيم كوكس في هذه الفترة على عقد اتفاق مع شيخ قطر " إلا إذا كانت الحكومة البريطانية على استعداد لإعلان هذا الإتفاق لينتهي به كل شأن للحكومة العثمانية بالسياسة القطرية ". ووافقت حكومة الهند مقيمها من أن اتفاقا سريا مع شيوخ قطر لن يكون له أي جدوى إلا إذا استطاعت حكومة لندن إلزام العثمانيين حدود ممتلكاتهم في العديد و قطر، أما الوجبات المتقطعة فقد وجدنا أنها لا تشبع " [237]، و جاء من رأي كوكس أيضا أن السياسة تجاه قطر لا يحب أن ينظر إليها بمعزل عن المسألة العثمانية البريطانية في الخليج العربي ككل. و يضرب كوكس مثلا بما كتب له به قنصل البصرة في شأن الزخنونية. جاء في خطاب وكيل البصرة البريطاني أنه سأل الوالي العثماني الجديد عن الإجراء الذي ستتخذه الحكومة العثمانية بشأن الزخنونية، فأجاب الوالي بأن الزخنونية جزيرة عثمانية، و ليس للقنصل البريطاني الحق، رسميا كان ذلك الحقّ أم شخصيا، يخول له هذا التقدم بهذا السؤال. و أضاف الوالي أنه قد أزعجه أن القنصل البريطاني " لا يعرف حدود أعبائه التي هي تجارية لا غير" و يُعلّق كوكس بأن الأمر قد " انقلب بحيث أصبح مستحيلا و مُذّلا. و إذا لم يُتخذ أمر ما لحسم هذا الواقع فأني أكاد أخبر بوقوع حوادث لا تسر ". و يخلص المقيم كوكس إلى أن سياسة المهادنة التي اتبعتها الحكومة البريطانية مع نظام تركيا الفتاة هي سياسة فاسدة."إن سلوكهم هذا للإخلال بالوضع الراهن يعطينا الذريعة لتسوية هذه الأمور الآن و ليس غدا ". و رأت حكومة الهند أيضا رأي مقيمها في الخليج العربي، و أشارت بأن السياسة العثمانية في الخليج العربي يجب أن تُجابه بتوضيح بريطاني لاستانبول عن طبيعة المصالح البريطانية في المنطقة. و أبدت تلك الحكومة وجهة نظرها من إنه " لا بأس من بعض المفاوضات و قليل من التنازلات " ! أما إذا لم يفد هذا البعض من ذلك القليل، فعلى حكومة لندن أن تعمل على زيادة فيلقها العامل في الخليج العربي لتتمكن بذلك من مواجهة مسألتين في آن واحد: فرض إحكام أشدّ قوة في السيطرة على تجارة

السلاح، و التصرف بحرية عندما تدعو الضرورة لاستبعاد السيادة العثمانية عن المناطق التي لا تعترف بريطانيا لهم بالسيطرة عليها.[238]

لم توافق الخارجية البريطانية على العمل العسكري الذي اقترحه المقيم و تبنّته حكومة الهند، كما لم توافق حتى على إجراء مفاوضات في هذه المسائل " فالأتراك حاليا لا يسعون إلى مفاوضات و لا يقبلون بمساومات ". وترى الخارجية أن العمل العسكري قد يكون ناجعا في الزخنونية لكنه قد يتسع ليشمل البر و يخلق صدعا لا ترأبه إلا الحرب الشاملة مع تركيا ," و الحرب عمل خطير إذ لم تعد له السلطات العسكرية و الأسطولية في بريطانيا عدّته الكافية، و تضع له خططه الوافية ". و وافقت وزارة الهند هذا الرأي و طالبت بتجهيز الخطط، كما طلبت أن تقدم لجنة الدفاع عن الإمبراطورية بدراسة المسألة برمّتها[239].

وضح في عام 1911م أن القبضة الهندية في الخليج العربي قد بدأت تنفرج قسرا بفعل المؤثرات الدولية. أشار شيرول [240] لهذا المعنى حين كتب عن زيارته للخليج العربي في 1911 م" بأن نفوذنا في الخليج العربي قد وهن كثيرا مقارنة بما كان عليه منذ أيام كيرزن و ذلك لازدياد النفوذ العثماني في آسياالعثمانية و محاولته بلوغ الخليج (العربي) و كذلك للسخط الشعبي المتعاظم في فارس الذي أحدثه اتفاق عام 1907م "، و أشار شيرول إلى " أن روسيا، رغم سخط الرأي العام الفارسي عليها، إلا أنها مكّنت لنفسها في الشمال. أما في الجنوب حيث منطقة النفوذ البريطاني فينعدم القانون، و تضرب الفوضى بأطنابها، و تذهب عبر مسالكه تجارة السلاح إلى الحدود الشمالية القريبة للهند حيث تُباع للقبائل " هنالك تستغلها في كفاحها ضدّ المستعمر.

سعى العثمانيون بتشجيع من البريطانيين إلى تسوية مسألة الخليج العربي بين الدولتين . و بدأت مفاوضات استطلاعية غير رسمية بين العثمانيين و بريطانيا أبدى فيها العثمانيون رغبتهم الجادة في الوصول إلى اتفاق. و قد تقدم جاويد بك، المفاوض العثماني، إلى الحكومة البريطانية برجاء أن تستبعد الوضع في قطر عن المفاوضات، فالتنازل عنها يعني تنازلا عن أرض إسلامية عثمانية، و أن لا يضغطوا على الحكومة العثمانية في شأن الزخنونية، و طلب جاويد بأن يعترف البريطانيون بأن مسؤولية حفظ الأمن في الخليج العربي التي تريدها بريطانيا خالصة لها، هي مسؤولية مشتركة بينهما [241]. و بدأت اللجان المصلحية البريطانية تعمل و صاغت إطارات عمل للمفاوضين البريطانيين يهمنا منها أنها لم تمانع من المساومة بالكويت و ذلك في الإجتماع المصلحي الذي في 30 مارس 1911. و رأت حكومة لندن إخطار مبارك بالمحادثات الجارية فكتب له مقيم

الخليج[242] في 29 ربيع الثاني 1330 / ابريل 1912 " بأني مجازا من دولتنا أن نخبر جنابكم السامي بأن المباحثات الصديقة كانت جارية بهذا القرب فيما بين الدولة البهية الأنكليس و الباب العالي من خصوص مواد شتى المتضمن المصالح للدولتين في الخليج "، و ينتهي الخطاب بإخطار الشيخ مبارك أنهم أرسلوا للحكومة العثمانية صورا " لمقاولة 23 جنيوري 1899، و مقاولة 24 ماي 1900، و مقاولة 24 فبرويري 1904.." و كذلك أخبرت الباب العالي " بأننا حايزين إيجارات أرض من جنابكم السامي بالنسبة لمقاولة نمرة أول، و قد أخبرت الدولة العثمانية بأنا أخبرنا جنابكم السامي أنه ما دام جنابكم ووارثكم و أخلافكم عملتم بموجب تكاليف بمقتضاها، فالدولة البهية التزمت بأن يقويكم و يبذل لكم مساعدتهم الجميلة ".

وقع عبء المفاوضات في لندن على لجنة ثنائية من باركر، من وزارة الخارجية و هرتزل من وزارة الهند. و كانت هذه اللجنة المشكلة من هاتين الوزارتين كثيرا ما ترجع إلى حكومة الهند و سلطاتها في الخليج العربي تسالها الرأي. و كان إشراك حكومة الهند لازما فيما يبدو لاتصال موضوع المفاوضات العثمانية البريطانية بمسائل الحدود التي يزمعون رسمها في الساحل العربي الخليج العربي. و مع ذلك يمكن أن نلاحظ أن هنالك إبعاد متعمد لهذه الحكومة فيما يتصل بالخط الرئيس للمفاوضات، و هو خط حديد برلين بغداد. رأى ماكمهون، أمين الشعبة الخارجية في حكومة الهند، بأن القبول بسيطرة العثمانيين على قطر هو أمر غير مقبول لأن ذلك سيمكن استانبول من التحرك السياسي النشط في الجزيرة العربية، و على مياه الخليج. و عقّب هاردنج بأن الكارثة ستحل بوضعهم لو تمكن العثمانيون من الخليج العربي. و استمرت المفاوضات متقطعة بين لندن و استانبول، و استمرت حكومة الهند تدافع عن وجهة نظرها من أن لا مناص من الحرب المحدودة مع الدولة العثمانية إذا أبدت الممانعة في أن تُحصر في الحدود التي رسمها البريطانيون لهم في ساحل الخليج.

شُكلت في منتصف يناير 1912 لجنة مكونة من كوكس، و الأدميرال سليد Slade، قائد الأسطول في الهند الشرقية، و الأدميرال ليك Lake، رئيس هيئة الأركان في الهند، و الليوتنانت كولونيل ماكمهون، أمين الشعبة الخارجية في حكومة الهند، لتنظر في البديل الناجم عن فشل المفاوضات. و خلصت هذه اللجنة إلى أن الوضع يمكن حسمه بعمل عسكري و ذلك باحتلال الدوحة و أم قصر، و بوبيان و الفاو، و إذا دعت الضرورة فيمكن احتلال البصرة بصفة مؤقتة. أما إذا قاد هذا العمل العسكري المحدود إلى تصاعد الحرب مع الدولة العثمانية فيجب السيطرة على شط

العرب بأكمله [243]. و لم تكن الحرب بالنسبة للهند هي البديل الصعب فهي قد باتت لا تخشى من قيام اضطرابات شعبية في المنطقة خاصة بعد أن أظهرت ردود الفعل الأخيرة بين مسلمي الهند و في الخليج العربي أن الحرب الإيطالية العثمانية في طرابلس (ليبيا)و غيرها لم تتسبب في هياج شعبي ولم تكن محسومة لصالحهم تماما[244].

ووافق هاردنج، من ناحية أخرى، على مساومة العثمانيين بوضع الكويت شريطة أن تصبح الكويت محافظة عثمانية تُحكم أتونوميا بشكل تام، على أن يكون وضعها هو وضع مصر التي هي عثمانية يتولى البريطانيون الحكم فيها [245].

انتهى الأمر بالمفاوضات إلى مشروع اتفاق في 23 يوليو 1913 كان أبرز ما جاء فيه بشأن الكويت أنها تشكل قضاء أتونوميا للدولة العثمانية [246]. و يجوز لشيخ الكويت أن ينشر العلم العثماني كما كان شأنه في الماضي، مع إضافة كلمة كويت في أحد أركان العلم إذا رغب الشيخ في ذلك. و أشار مشروع الإتفاق إلى أن الدولة العثمانية لن تتدخل في الشؤون الإدارية للكويت بما في ذلك مسألة وراثة الحكم التي ليس للحكومة العثمانية منها إلا اصدار فرمان تعيين للشيخ الجديد. و ينصّ مشروع الأتفاق على عدم جواز احتلال الكويت من قبل العثمانيين عسكريا، كما يحقّ للعثمانيين أن يضعوا لهم في الكويت مندوبا لحماية مصالح مواطني القوى الأخرى. و يذهب مشروع الاتفاق إلى اعتراف الحكومة العثمانية بشرعية الاتفاقات التي عقدها الشيخ مبارك مع البريطانيين بتاريخ 23يناير 1899، و 24 مايو 1900، و 28 فبراير 1904.و تعترف الحكومة العثمانية كذلك بشرعية عقود إيجار الأرض الذي حازوه من الشيخ. و تعهدت الحكومة البريطانية في مقابل هذا بأنها لن تسعى إلى فرض حماية على الكويت. و نصّ مشروع الاتفاق على حدود تحديد حدود الكويت بحسب ما هي مثبتة في الإتفاق، يحددها الخط المرسوم باللون الأحمر. يُضم الخط الأحمر (حدود الكويت) دائرة تشكل الكويت مركزها، و تمتد إلى كور الزبير في أقصى شمالها، و القرين في أقصى جنوبها. و يدخل ضمن الخط الأحمر جزر وربه، و بوبيان، و مشاجان، و فليكة، و عوها، و الكبار، و قارو، و المقطع، و أم المراديم مع الجزر الصغيرة الأخرى الواقعة في نطاق هذا الخط. و لا تمارس الحكومة العثمانية أية حقوق إدارية داخل هذا الخط إلا ما كان من خلال الشيخ. إضافة إلى الحكومة العثمانية لن تقوم بأية حملات، أيا كان نوعها، على الكويت أو تضع لها حاميات في هذه المنطقة دون إتفاق مسبق مع الحكومة البريطانية. و في حالة ما إذا تمّ الإتفاق بين الحكومتين العثمانية و البريطانية على مد خط حديد بغداد بصرة إلى الكويت أو أي منطقة أخرى داخل نطاق

الخط الأحمر فستتفق الحكومتان على الإجراءات التي تتصل بحماية الخط في تلك المنطقة، كما عليهما ان يتغفا كذلك على إقامة المحطات و مكاتب الجمارك، و مخازن البضائع، و كافة الشؤون الأخرى المتعلقة بتشغيل الخط. و نصّ المشروع كذلك على أن لشيخ الكويت الحقّ في أملاكه في ولاية البصرة في حدود ما ينصّ عليه القانون العثماني، و أن أملاكه غير المنقولة في تلك المنطقة ستخضع للضرائب و الرسوم المعمول بها.و نصّ مشروع الإتفاق كذلك [247] على تحديد حدود نجد و قطر حيث نصّ على أن سنجق نجد العثماني ينتهي في الجنوب على الخليج المواجه لجزيرة الزخنونية التي تدخل في حدود هذا السنجق، و من خط آخر يبدأ في أقصى نهاية الخليج المشار إليه و يمتد منه بلا عوج في اتجاه جنوبي يصل حتى الربع الخالي. و قد عرف هذا الخط في الوثيقة باسم الخط الأزرق الذي يحدد الحدود بين نجد و قطر. و نصّ مشروع الإتفاق أيضا على أن الحكومة العثمانية أسقطت كل إدعاء لها على قطر. و تعترف الحكومتان بحاكمية الشيخ قاسم بن ثاني و من يخلفه على قطر. و تعلن الحكومة البريطانية بأنها لن تسمح لشيخ البحرين بالتدخل في الشؤون الداخلية في مشيخة قطر، كما لن تسمح له بالعمل على ضمّ هذا الإقليم.

نصّ المشروع على سحب [248] كل إدعاء للحكومة العثمانية على البحرين بما في ذلك جزيرتي لبينات العليا و لبينات الصافية. كما تعلن الحكومة البريطانية أنه ليس من هدفها ضم ّجزر البحرين. و أشار مشروع الاتفاق على أنه يجوز لمواطنى البحرين أن يأتوا إلى الزخنونية للصيد و أن يمكثوا بها طول موسم الشتاء كما هو الحال سابقا دون فرض رسوم. و نصّ المشروع أيضا على أن المواطنين البحرانيين القاطنين في المناطق العثمانية هم أجانب يتولى القناصل البريطانيون حمايتهم، على أن تمارس هذه الحماية وفقا للمبادئ الأساسية في القانون الأوروبي، و على أن لا يستمتع المواطنون البحرانيون بالامتيازات التي تمنح لرعايا بعض الدول، كما هو المعمول به في نظام الإمتيازات.

نصّ مشروع الاتفاق كذلك على أن بريطانيا ستقوم من أجل حماية مصالحها الخاصة و" من أجل خدمة الأهداف الإنسانية السامية التي تعهدت بها برعايتها!!! " بالمهام الشرطية في كل الأوقات في مياه الخليج العربي و على حدوده الممتدة على ساحل أرض الشيوخ المستقلين و ذلك في المنطقة من جنوب قطر إلى المحيط الهندي ".

ليس هنالك من تعليق إلا أن هذا الإتفاق قد عمل على تكريس "الوضع الراهن "و تثبيته و تقنينه بموجب اتفاق. فوضع الكويت في الإتفاق هو وضعها القديم. عثمانية الأبوة، مباركية الإدارة،

بريطانية التوجه، رهين وضعها بما يستجد من مسائل خط حديد بغداد. و ارتفعت بموجب هذا حدود العثمانيين فوق قطر فإذا هو تاكيد لوضعها المرسوم كدولة عازلة. أما البحرين فهي بموجب " الوضع الراهن " لا شأن لها بالدولة العثمانية، و لا شأن للدولة العثمانية بها. و قد تأكد هذا " الوضع الراهن " بموجب الإتفاق.

يرى صلاح العقاد [249] في مسودة الإتفاق هذه أهمية لأنها أصبحت بعدئذ مثار جدل بين السعودية و مناطق النفوذ البريطاني، كما يرى فيها مظهرا جديدا من مظاهر تفريط حكومة الإتحاديين في المحافظة على حقوق الشعوب التي كانت تحكمها الدولة العثمانية. و يُعدّ الاتفاق دليلا على عجز الاتحاديين أمام تغلغل النفوذ البريطاني في الخليج العربي بالرغم من أنهم تسلموا الحكم على أساس تثبيت سلطة الدولة في جميع المناطق التي تتبعها إسميا. و يختتم بالقول بأن هذا الإتفاق حقق الأهداف الهندية في الخليج العربي. و ليس بخاف أن شبح حكومة الهند قد تقمصّ باركر و هرتزل بصورة أو بأخرى في سيير هذه المفاوضات حتى انتهت إلى هذه النتيجة التي أرادتها تلك الحكومة. و ليس بخاف أيضا أن حكومة لندن – برغم اختلافها أحيانا مع حكومة الهند – كانت تدرك أن حكومة الهند أكثر منها تخصصا في السياسة المحلية في الخليج العربي. و لهذا جاء هذا الإتفاق هندي العظام بريطاني القسمات.

الفصل الرابع
الخليج العربي و الحرب العالمية الأولى

- العلاقات الهندو سعودية
- حماية السلام البريطاني إبان الحرب العالمية الأولى

الخليج العربي في الحرب العالمية الأولى

كان على بريطانيا عشية الحرب العالمية الأولى أن تتخلى عن المحظور و تفارق السياسة الموروثة التي تقوم على عدم التدخل في سياسة الصحراء، تلك السياسة التي حرصت على التمسك بها عبر تاريخها الطويل في الخليج العربي. وقع على بريطانيا أن تُوثِّق علاقاتها بابن سعود ما يدخلها في سياسة قلب الجزيرة العربية و هو أمر كانت بريطانيا طيلة تاريخها في مياه الخليج، ترفضه تماما. و كان على بريطانيا مع هبوب رياح الحرب أن ترسل من الهند حملة إلى الخليج العربي لتحارب في سواحل الخليج و في ظهيره في العراق أيضا، كما كان عليها أن تعمل بصورة نشطة على مقاومة الدعايةالعثمانية و الألمانية وسط العرب و المسلمين.

العلاقات الهندو سعودية حتى عام 1915 م:

تميز عبد العزيز بن سعود منذ ظهوره على المسرح السياسي بنضج سياسي و معرفة عميقة بأساليب حكومة الهند فحاول استثمار تلك المعرفة عاملا مهما في إعادة بناء البيت السعودي فوق رمال شبه الجزيرة العربية. و لا ريب في هذا إذا أدركنا أن عبد العزيز نشأ في كنف مبارك الصباح في فترة كانت تعتمل في الخليج أحداث دولية جسام. و لم يكن مبارك بالرجل السهل، فقد تميّز بدهاء أكد به موقعه المتأرجح في سُدّة الحكم. كانت مدرسة مبارك الدبلوماسية – إذا صحّ التعبير – تعمل على تحقيق غايات مبارك في الإستقلال عن الدولة العثمانية وذلك من خلال الإفادة من مجريات الأحداث الدولية التي لفّت الكويت و أدخلتها في مجال تنافس القوى العالمية، و من هنا كانت بداية ابن سعود. أصبح ابن سعود حين ولج الساحة الدولية أكثر قدرة من مبارك في اللعب بورقة تصارع القوى الدولية في المنطقة. و يعود هذا في تقديرنا لسببين:

أولا: تأخر ابن سعود زمنيا عن مبارك، و لعل ابن سعود قد وجد بهذا فرصة الإستفادة من تجربة مبارك كاملة و طوّرها وصبغها بصبغته الخاصة.

ثانيا: إختلاف الظروف الدولية حيث ساقت الأحداث مبارك إلى معسكر الراج حثيثا في وقت كانت فيه مفاوضات القوى الدولية حول الكويت تتقدم و تتعثر، و لم يكن هناك وضعا طارئا. و لهذا كانت فرصة الراج في استغلال طموح مبارك فرصة متأنية، فعملت حكومة الهند على قيادة مبارك داخل معسكرها في تؤدة ترسم له خطاه بما يتفق و خططها المتغيِّرة في مناهضة النفوذ الدولي. أما ابن سعود فدلف إلى معسكر الراج في وقت يدرك ابن سعود حرجه، و كان على الراج أن يستقبله على عجل، فالوقت طارئ. كانت الهند تريد مباركا سدّا تحجز به النفوذ الدولي المغاير لئلا يبلغ ساحل الخليج العربي، و أصبح مبارك بهذا جزءا من النظام التهادني البريطاني يستغله الراج دوليا، أما هو فقد حقّق من خلال هذا النظام ذاتيته، وعمل على ضمان وضعه. ويختلف ابن سعود عن مبارك في هذا الصدد، فقد سعى ابن سعود لجعل النظام التهادني سدّا يحجز به أعداءه من أن يبلغوا بحرا أطراف المناطق التي يحكمها حتى يتمكن من أن يصرف جهوده في تثبيت دعائم البيت السعودي في الداخل. و منذ أن تمكن عبد العزيز من الرياض في عام 1902م أخذ بالتفكير في طرد العثمانيين من الإحساء. و أدرك عبد العزيز أن الاستيلاء على مراكز العثمانيين في الاحساء الضعيفة عددا و عُدّة أمرا سهلا يمكنه القيام به، لكنه كان يخشى الدعم الذي يمكن أن يصل للحاميات العثمانية في الإحساء بحرا، فسعى تجنبا لذلك، للإفادة من النظام التهادني للراج في الخليج العربي الذي يحظر تحرك أية قوّة عسكرية، وطنية كانت أم وافدة، بحرا فوق مياه الخليج الذي لا يتسع - حسب تقديره - إلا لمركبات الحرب البريطانية.

تمّت في عام 1903م مقابلة بين مبعوث سعودي و الكابتن بيرودكس، وكيل المقيمية في البحرين. و حمل ذلك السفير عن عبد العزيز رغبته في طرد العثمانيين من سواحل الاحساء على أن تمنع بريطانيا وصول الإمدادات العثمانية بحرا وذلك في نظير أن يقوم من جانبه بتحقيق مصالح البريطانيين في ذلك الساحل [250]. و لم يتحمس بيرودكس لهذا الرأي انطلاقا من السياسة الهندية الثابتة من عدم التعامل مع سياسة الظهير الصحراوي، خاصة مع الإرث السياسي للسعوديين المناهض للسياسة الهندية على طول الخط. و أرسل بيردوكس بتقرير عن هذا اللقاء إلى الهند التي قامت بدراسته. و كان رأي لويس دين Dean، أمين الشؤون الخارجية لحكومة الهند وقتها، رفض الطلب السعودي لكنه أوصى بأن تبقى حبال الاتصالات ممدودة لابن سعود، فلربما يُستفاد منه يوما ما " لأن نجد جارة الكويت" [251]. رأى دين أن ابن سعود قد يشتدّ أمره يوما ما فيبلغ تأثيره المنطقة التي سيجرى عليها خط حديد برلين – بغداد- بصرة، و ربما أضرّ تجاهل ما يسعى إليه من تعامل

مع البريطانيين بالمصالح البريطانية على الساحل الذي ينتهي إليه هذا الخط، خاصة و أن عبد العزيز غير مشدود إلى السياسة الهندية بإتفاق و لا بتعهد. و كتبت الهند انطلاقا من هذا المفهوم، إلى كمبال، مقيمها في الخليج العربي، لينظر في جدوى إيفاد رسول هندي إلى ابن سعود سرّا. و رد كمبال بأن عبد العزيز لم تستقر سلطته بعد، و أن ال رشيد ربما أعادوا الكرّة و هدموا ما بُني من البيت السعودي مرّة أخرى. و رأى كمبال أن خبر الرسول الهندي لن يبقى سرّا عن الحكومة العثمانية، فستعرف حالا بخبره. و في21 ذي القعدة 1321/ 8 فبراير 1904 أبرق وزير الهند إلى نائب الملك في الهند، بعدم موافقته الدخول في أية علاقة مع نجد، و على الهند أن لا تبعث بأي وكيل لها إلى تلك الناحية إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية على ذلك.

تقدّم شيخ الكويت في23 جمادى الثانية 1322/ 4 سبتمبر 1904 [252] نيابة عن الأسرة السعودية التي كان يمثلها عنده الإمام عبد الرحمن، بطلب إلى سلطات الخليج العربي يسألها مد حمايتها على ابن سعود. و أرسل المقيم في الخليج العربي هذا الطلب إلى الهند التي مالت إلى تأييده إذ حاز عبد العزيز في هذه الفترة على انتصارات مهمة، و إن لم تكن حاسمة، على آل رشيد. و رأت الهند أن انتصارات ابن سعود لا تعنيها في شيء إلا في ما كان من أن آل رشيد، إذا استطاعوا الانتصار على ابن سعود بالدعم العثماني فسيقوى أمر العثمانيين، و سيصيب الخلل موقف مبارك[253]. و أجابت وزارة الهند، بعد مداولات مع وزارة الخارجية، بأنه يجب أن يكون معلوما لحكومة الهند أن نفوذ و مصالح الحكومة البريطانية يجب أن تقتصر على خط الساحل في شرق الجزيرة العربية بصورة محدّدة "و يجب أن لا تقدموا على أي عمل من شأنه أن يمد في نفوذ و مصالح الحكومة إلى داخل شبه الجزيرة العربية".

بهذا أخفق ابن سعود في مسعاه من الإفادة من النظام التهادني، و قام الإمام عبد الرحمن في فبراير 1905 بتقديم وثيقة ولاء باسمه و بأسم ابنه للسلطان العثماني عن طريق والي البصرة، و اعتذر الإمام عن مخاصمة ابن رشيد " عدوّه الذي يعمل لإثارة الدولةالعثمانية ضدّه ". و قامت الدولة العثمانية من جانبها بإرسال براءة تعيين ابن سعود حاكما على نجد، و قضت بعدم تعدًي ابن رشيد على أرض نجد. و جاء في تقرير من سلطات الهند في الخليج إلى حكومتها في مايو 1905 أن العثمانيين شكّلوا قضاء من الرياض و الوشم و سدير و توابعهم مركزه الرياض، و أنهم عيّنوا ابن سعود الذي أدى يمين الولاء قائم مقاما في نجد[254]. و قد جاء في تلك السنة أيضا أن ابن سعود يسعى لزيارة الساحل العماني[255]. و خشيت حكومة الهند من عقابيل هذا، فأبرقت إلى المقيم في الخليج العربي، بما أشارت به هي، ووافقته عليها لندن، من أن ينهوا إلى ابن سعود أن ظهوره في تلك المنطقة يُعتبر عملا " ليس من الصداقة في شيء ". و كان، بيرسي زكريا كوكس المقيم في الخليج العربي (1904- 1913م) قد أبلغ ابن سعود بهذا حتى قبل أن تصله هذه التعليمات. و هنا اتصال صريح بين حكومة الهند و ابن سعود.

أثارت حكومة الهند مع لندن في26 ذي الحجة 1323/ 21 فبراير 1906 أمر استحداث خط سياسي تلتزمه مع ابن سعود مشيرة إلى أن العثمانيين سيختفون من المسرح قريبا، وسيأخذ ابن سعود مكانهم. و أشارت حكومة الهند إلى ضرورة خلق نوع من العلاقة مع ابن سعود " لتحسن علاقتنا به ". و نُقل هذا الاقتراح إلى السفير أوكنور في استانبول فأشار بقصر التدخل في شؤون سياسة القبائل العربية إلى أدنى حدّ مستطاع. و أوصى أوكنور بأن يُترك هؤلاء الشيوخ " ليصنعوا أقدارهم بأنفسهم بقدر ما يستطيعون، أما نحن فعلينا أن ننتظر ما تلده الأيام الحبلى بالجديد ". كما أوصى بأن لا تدخل السلطات البريطانية في أي تعامل مع ابن سعود " حتى يتضح تماما أن ذلك أمر مرغوب فيه ". و أرسلت لندن إلى الهند - بناء على ذلك -برفض التعامل مع ابن سعود، على أن يُنهى إليه بأن الحكومة البريطانية قد صاغت سياستها في المنطقة على التزام " الحياد "، و أنها لا ترى أن تحيد عن هذا الالتزام. **256**

لم يقم عبد العزيز بالزيارة إلى الساحل العماني لاضطراب بعض أحواله في نجد. ويبدو ان خبر الزيارة كان مجرد خدعة صاغها ابن سعود مع حليفه قاسم آل ثاني لتردي الأحوال بين الأخير و مناطق عمان. و لم ترد اتصالات بين ابن سعود و حكومة الهند حتى عام 1906م حين حقق ابن سعود انتصارات كبيرة على آل رشيد. و أرسل عبد العزيز رسولا آخرا إلى البحرين في مارس 1906 للتفاوض مع وكيل المقيمية هناك. وردد الرسول التزام عبد العزيز بطرد العثمانيين من سواحل الأحساء إذا تعهدت له الحكومة البريطانية بضبط البحر بسياستها التهادنية. و أشار الرسول السعودي بأن عبد العزيز يتعهد في المقابل بحماية التجارة البريطانية ووضع وكيل بريطاني في إحدى مدن الساحل. و لم تر السلطات الهندية في الخليج العربي مفارقة أمر لندن، فلم تجاب السفارة السعودية إلى طلبها. وواصلت هذه السفارة سيرها إلى بوشهر **257** حيث أبرقت للباب العالي بولاء ابن سعود. وتوالت انتصارات عبد العزيزفي سبتمبر 1906 في وسط الجزيرة العربية فأعاد كوكس، المقيم في الخليج، تقويم الموقف، و أنهى إلى حكومة الهند بأن وضع عبد العزيز في الجزيرة العربية قد تبلور و أصبح أمر إعادة صياغة جديدة تجاهه أمرا فرضا. و أشار كوكس إلى أن أهل شبه الجزيرة ساندوا ابن سعود الذي ربما يتجه بكل ثقله إلى قوّة دولية أخرى غير بريطانيا ما سيؤثر في المصالح و الأهداف البريطانية في المنطقة. و رأى كوكس أن إقامة صداقة بين الحكومة و بين ابن سعود ستحمي النفوذ البريطاني في الساحل العربي في مناطق الشيوخ المهادنين. و تبنّت الهند هذه الرأي و رفضته وزارة الخارجية البريطانية التي أشارت بوجوب الإلتزام بسياسة عدم التدخل **258**.

اتصل ابن سعود مع نهاية عام 1906 م بالبريطانيين في الخليج مُجدّدا ليقول لهم بأن الحروب استنزفت إمكانات نجد، و لا سبيل له للخلاص من مشاكله الاقتصادية المتفاقمة إلا بضمّ الاحساء. و أشار ابن سعود إلى عرضه السابق من أنه على استعداد لاستقبال وكيل بريطاني. كما

أشار إلى أنه يمكن أن يدخل في اتفاق سري مع بريطانيا على نمط الشيوخ المهادنين إذا استجابت الحكومة لحماية سواحل الاحساء من هجوم عثماني مضاد. و أشا ر عبد العزيز بأنه سيضمّ الاحساء، و أنه قد بنى خطّته على أن يطلب إلى الباب العالي أن ينيط به حكم الاحساء، فإذا أجيب إلى طلبه فإنه سيعلن استقلاله بعد ذلك، و إذا رفضوا طلبه فإنه سيرمي الاحساء بجنوده و سيجلي عنها العثمانيين بالقوّة، و هو يرغب، في كلا الحالين، إلى البريطانيين كي يكفوه تحرك القوة العثمانية بحرا.و علّقت حكومة الهند بأنها لاحظت أن الصحافة الفرنسية تدعو إلى إقامة إمبراطورية عربية تحت شعار القومية و ذلك كي تقف بهذه الدعوة في وجه التطلعات الألمانية التي تسعى لفرض الحماية على الدولة العثمانية. و رأت حكومة الهند أنه إذا كانت هنالك إمبراطورية عربية في المخاض فعلى لندن " يجب أن تقع اللمسة السحرية التي ستخرجها إلى الوجود و ذلك حماية للمصالح و التطلعات و الآمال البريطانية ". و أضافت حكومة الهند بأن أمر إحياء القومية العربية ليس من السياسة في شيء. و رأت الهند أن قوّة عبد العزيز في داخل الجزيرة تبحث لها عن منفذ إلى الخليج العربي، و ستكون الاحساء منفذه. و طالبت الهند في ختام مذكرتها لندن لترسي لها سياسة ثابتة تجاه هذه المستجدات، واضعة في اعتبارها بأن عبد العزيز لن يستطيع أن يتحدّى الحكومة البريطانية لأنه لا يملك الإمكانات للقيام بذلك. واقترحت المذكرة أن يُمدّ في حبل الصداقة لعبد العزيز دون مساندته، و أن يكون ثمن تلك الصداقة التزام ابن سعود بترك الشيوخ البحريين و شأنهم [259]. و ردت لندن بعدم الموافقة على التدخل البتّة.

هدأت الاتصالات السعودية البريطانية حتى ربيع عام 1911م حين التقى شكسبير، وكيل المقيمية البريطانية في الكويت، ابن سعود الذي انتهز فرصة اللقاء ليجدّد طلب الحماية. سرد عبد العزيز تاريخ علاقة البيت السعودي بالبريطانيين، و جاء من سرده أن جدّه تركي بن سعود أعاد الدولة الوهابية بعد جلاء المصريين عن نجد، إلى سابق عهدها، و امتدّ بحدوده في الأرض السعودية التي ضمّت الاحساء و القطيف و جزءا كبيرا من ساحل عمان في المنطقة الممتدة من قطر إلى مسقط. و ذكر عبد العزيز أن الامام تركي عقد اتفاق صداقة مع الحكومة البريطانية، وإن فيصل بن تركي، حين آل له الأمر، جدّد اتفاق أبيه مع البريطانيين، و أن الحكومة البريطانية عبّرت له عن حسن نواياها له حين أرسلت المقيم لويس بيلي (1862-1872م)إلى الرياض ليجدد مواثيق الصداقة القديمة غير المكتوبة. " و يذهب تقرير شكسبير إلى أن عبد العزيز ذكر له أنه وهابي، وهو بصفته هذه، لا يعترف بالسلطة الدينية للعثمانيين، و لا بالخلافة الإسلامية. و أفاد شكسبير أن عبد العزيز يناهض اتجاه النظام الجديد في استانبول لأنه يعمل على عثمنة الجزيرة العربية. "

وأنهى عبد العزيز إلى شكسبير، كما جاء في التقرير، بأنه يزمع غزو الاحساء و يرجو حماية البريطانيين له بحرا، وأنه في المقابل، لن يمانع من اعتماد وكيل بريطاني على الساحل لخدمة التجارة البريطانية التي ستزدهر مع الداخل حيث ساد الأمن في الطرق التي خفرها. و يذهب التقرير إلى أن ابن سعود رفض طلبا تلّقاه من شيخ دبي يطلب إليه أن يدخله في حمايته، لكنه رفض ذلك حرصا منه بأن لا يخل بالنظام التهادني.

قام المقيم كوكس بإرسال تقرير شكسبير إلى حكومة الهند و اقترح بأن تظل حبال الصداقة ممدودة لابن سعود " ليستعان به عند الحاجة ". و درست لندن التقرير، و أشارت بعدم التدخل.

كتب شكسبير مرّة أخرى في أوائل عام 1913م أنه التقى ابن سعود و قضى في معسكره أربعة أيام.و يشير شكسبير إلى أن ابن سعود غدا يتمتع بأكبر سلطة في شبه الجزيرة العربية، و لم يعد له في شيوخها منافس آخر عدا شريف مكة، و أن ابن سعود يزمع طرد العثمانيين من الاحساء و ذلك خوفا من أن يصير بين فكى " كماشة " متمثلة في الوجود العسكري للعثمانيين في الاحساء شرقا، و شريف مكة الذي انحاز إلى العثمانيين (خوفا من الوهابيين في رأي ابن سعود) في الغرب. و يذهب شكسبير إلى أن ابن سعود يسعى كي يمتد إلى الاحساء حيث المناطق الغنية و الموانئ التي تُمكنَه من الانفتاح على التجارة. و يذكر التقرير أن عبد العزيز عاد ليُذكّر باتفاق لويس بيلي مع جدّه تركي بعد ضرب الدمام في عام 1865م، و ان بيلي اعترف بالسعوديين حكاما علي القطيف. و اختتم شكسبير بأن ابن سعود يتعهد في مقابل حمايته بمراعاة" الوضع الراهن "**260**.

علّق المقيم كوكس على هذه الرسالة بأن خطاب المقيم لويس بيلي في 6 يناير 1866 جاء فيه إشارة للحاكم الوهابي على القطيف. و اقترح كوكس في خطابه الذى أرسله في19 جمادى الثانية 1331/ 26 مايو 1913 بأنه يمكن أن يُعترف بابن سعود حاكما مستقلا استقلالا (أتونوميا) تحت التبعية العثمانية. و دافع كوكس بأن هذا الاعتراف لا يتعارض مع الاعتراف البريطاني بنجد أرضا عثمانية، و أنه يمكن لبريطانيا أن تضع لها وكيلا في المنطقة، بموافقة الباب العالي، و أن " يتولى الوكيل البريطاني عبء حظر تجارتي السلاح و الرقيق، و محاربة القرصنة و كافة ما يتعلق بمهامنا في الخليج بصفة عامة ". و علّق هارنج، نائب الهند، على خطاب كوكس بأنه " لا ينبغي أن نثير أمر تحديد شكل الحكم في نجد في اللحظات التي تبدو المفاوضات فيها و قد شارفت نهايتها. عموما على لندن أن تقرّر، و علينا أن نحتفظ بعلاقات الصداقة مع ابن سعود، و ننتظر ما تجيء به الأيام " **261**.

تمكن ابن سعود في مايو 1913 من الاحساء و طرد منها حامية العثمانيين العسكرية التي ظلت تعسكر في المنطقة منذ عام 1872 م. وانتقلت هذه الحامية إلى البحرين التي وفد إليها القائد

العثماني نوري بيه ليتولى قيادتها.و قصد نوري القطيف لكنه ارتدّ عنها. و تولى عبد الجابر بيه[262] بعد نوري، قيادة الجند العثماني القليل العدد و العدّة من البحرين إلى العقير، لكنه لم يفلح في النزول إلفى الساحل فعاد أدراجه إلى البحرين. و احتجّ عبد العزيز لدى سلطات الخليج البريطانية على التحركات العثمانية في مياه البحرين التي كان كوكس حريصا مثل عبد العزيز على إبعاد العثمانيين عنها تنفيذا للسياسة المقرّرة الثابتة لدى حكومة الهند. طلب كوكس موافاته بالإجراء الواجب اتخاذه، و أجابته لندن بلسان باركر (الخارجية) " لا تهتم و لا ينبغي أن تقوم بأي عمل، فالمفاوضات مع الأتراك تسير سييرا حسنا. و يمكن أن نحتجّ إذا دعت الضرورة " [263].

جاء في خطاب آخر لنائب الملك في الهند بتاريخ13 رجب 1331/ 18 يونيو 1913 أن ابن سعود أرسل إلى الوكيل المقيمية في الشارقة و إلى شيخ دبي، ينهي إليهما أنه استعاد أرض أجداده دون أن يهرق دما، و أنه قد أقام الأمن فوق ربوعها. و يذكر النائب أن ابن سعود أرسل في 13 يونيو إلى وكيل البحرين خطابا يفيد بأنه ضمّ الاحساء و يدعو إلى إقامة علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية.و جاء من الخطاب الذي أرسله عبد العزيز في هذا الشأن: " أنه نظرا لعلاقات الصداقة التي تربط بيننا و بينكم، و إشارة إلى الاتفاق السابق الذي أبرم منذ عهد جدّي فيصل – رحمه الله – و الذي انقضت من أجل الاتفاق المعقود معه خمسة وخمسون عاما و تبقّت من فترة سريانه خمسة وخمسون عاما أخرى، فإني أحبِّذ أن أقيم معكم اتفاقا جديدا على النمط الذي ربط بينكم و بين أسلافي. و أني لواثق – في البدء – أنه لن يكون بيننا شيء يجافي روح الصداقة و التعاون. و أود أن أخطركم بأننا قد سيطرنا على أرض أجدادنا و أسلافنا المتمثلة في الاحساء و القطيف و توابعهما. و أني بهذا أرغب في أن أقيم معكم شروطا كتلك التي وقعت بينكم و بين أسلافي حيث إني أرغب في استمرار تلك العلاقة"[264]. و أرسلت الهند بهذا الخطاب و برأي سلطاتها في الخليج التي تنادي بصداقة ابن سعود" لأن رفض هذه الصداقة" – كما جاء على لسان شكسبير – " سيكسبنا كراهية تنعكس ظلالها على المصالح البريطانية فوق الساحل العربي ".

أجاب إدوارد جراي، وزير الخارجية(1905-1916م) برد قاس على سلطات الهند من خلال وزارة الهند. ذكر الوزير جراي بأنه زاهد في أن يتحرّى صدق نبوءة شكسبير، لكنه واثق من أن نتاج الكراهية التي أشار إليها لن يساوي شيئا بالقياس إلى النتائج التي يمكن أن تحدث إذا أقامت الحكومة البريطانية لها علاقات مع ابن سعود. و أكد جراي على ضرورة الابتعاد عن التعامل مع ابن سعود، وعن سائر شيوخ العرب غير المرتبطين بعلاقات مع بريطانيا، و التمسك بعدم إقامة أية علاقات معهم إلا ما كان ضروريا على أن يتمّ هذا بصفة غير رسمية، فالخط الأساسي للسياسة البريطانية مبني على اعتبارات ليست كلها إقليمية، " إن هذا الخط يقتضي الحفاظ على ممتلكات تركيا في آسيا"[265]. و ردّدت وزارة الهند هذا الرأي فوصل إلى كوكس عبرحكومة الهند. و أبلغ القيم كوكس ابن سعود في 9 يوليو بأنهم ملتزمون الحياد حيال صراعه مع العثمانيين. و في 11

يوليو أبرق كوكس بأن ابن سعود أرسل بعض رسله إلى البحرين في طريقهم إلى البصرة حاملين برقية سيرسلونها من هنالك إلى الباب العالي يعبر فيها ابن سعود عن الولاء له.[266] و رأى كوكس أن يُفوّض في الإتصال بابن سعود ليخطره بأنهم " عرفوا بما أعلنه من الولاء لتركيا و أنهم يباركون هذا الاتجاه و يساندونه. كما يمكن للحكومة في لندن أن تخطر الباب العالي بهذا المسلك الذي يتبعونه مع ابن سعود ". و تبنّت حكومة الهند ووزارتها هذا الإقتراح، و رفضته وزارة الخارجية إصرارا منها على الحياد التام حتى لا يتسبب أي سوء فهم من قبل العثمانيين في عرقلة المفاوضات التي تسعى بريطانيا من خلالها إلى احداث تسوية شاملة لمسألة الخليج العربي.[267]

وقّعت بريطانيا و الدولة العثمانية في 29 يوليو 1913 بالأحرف الأولى على الاتفاق، ووصلت في تلك الأيام التقارير من الخليج العربي تفيد بأن ابن سعود قد خاطب من القطيف شيخ قطر يحثّه على طرد الحامية العثمانية من البدع، كما عُرف أن شيخي أبوظبي و دبي يخشيان تحركات ابن سعود في تلك الأرجاء و، انهما يعملان على مناهضتها. و جاء رد لندن بإخطار ابن سعود كي " يبعد أي نشاط له عن تلك المنطقة، و أن يفهم بوضوح بأننا سنقاومه بالقوّة إذ اقدم على شيء من هذا ". كما خوّلت لندن المقيم في الخليج العربي كي يُطمئن شيخ قطر و يطلب إليه عدم التحرك ضدّ العثمانيين. و في 7 اغسطس كتب المقيم في الخليج إلى حكومة الهند بأن ابن سعود يرابط في الساحل، و هذا أمر جديد يجب على السياسة البريطانية أخذه بعين الاعتبار [268]. و تبنّى هاردنج رأي المقيم مشيرا إلى ضرورة سنّ سياسة خاصة بابن سعود، إما لاستقطابه أو لمواجهته. و يضيف النائب بأن " ابن سعود صار و بالتدريج، عنصرا يدخل في نطاق مصالحنا و نفوذنا. إن السياسة التي تُنادى بتجاهل ابن سعود ما قصر نشاطه على الاحساء، هي سياسة خرقاء لا نطمئن إليها لأنه ربما يتدخل في قطر، أو ربما يتعامل مع الشيوخ المتصالحين، أو ربما يتدخل في عمان التي تعطيه مجريات الحوادث فيها فرصة لاكتساب أرض تابعة لمسقط ". و خلص هاردنج إلى أنهم إذا لم يتوصلوا إلى تفاهم مع الأمير عبد العزيز يضمنون به صداقته، خاصة و أنه لم يزل طيب النوايا بالنسبة للبريطانيين، فإنه قد ينقلب إلى خط سياسي معاد يحسّ إداريو الهند البريطانية وقعه على شيوخ الساحل. و يحثّ النائب بأن تبقى اليد ممدودة إلى عبد العزيز يشيرون بها صداقته ما حافظ على عدم التدخل ضذ حكام الساحل المهادن. و يرى النائب أن هذا الأمر يمكن أن يتمّ علانية على مرأى من العثمانيين الذين يمكن أن يُقال لهم " أنه بالرغم من اعترافنا بتبعية المنطقة لتركيا إلا أنه لا ضير من التعامل مع عبد العزيز ". أما الشيوخ المتصالحون فيرى هاردنج أن تقوم سلطات الخليج العربي بطمأنتهم و تثبيط هممهم في العمل ضدّ عبد العزيز، فإخطارهم بتأكيد الحماية البريطانية عليهم في هذا الوقت يمكن أن يشجعهم ويجعلهم يتحرشون به، و لن ينجم من هذا سوى المشاكل و الاضطرابات. " أيمكن أن يُقال لهؤلاء الشيوخ بأن علاقة الحكومة البريطانية بعبد العزيز حسنة، و أن مخاوفهم منه لا تعدو أن تكون مجرد هواجس غير مبرّرة "[269].

اتصلت حكومة لندن في18 رمضان 1331/ 21 اغسطس 1913 بحقي باشا، السفير العثماني في لندن، بعد اقتناعها بوجاهة رأي هاردنج. ذكرت الخارجية للسفير حقي أن ابن سعود أصبح ظاهرة سياسية في الخليج العربي لا يستطيعون انكارها، و أنهم يخشون " من أن يتدخل عبد العزيز في قطر التي تُوفي شيخها حديثا " و تخشى بريطايا من أن يؤدي عدم تعاونها مع عبد العزيز إلى اضطراب "الوضع الراهن "و الإضرار بما تم الاتفاق عليه بين الدولتين في 29 يوليو. و أشارت الخارجية للسفير العثماني أنها يجب أن تتعامل مع عبد العزيز بشكل ما، صداقة أو عداء، و لما كانوا " لا يحتملون أن يجعلوه عدوا we cannot afford to make him an enemy فإنهم سيسعون إلى خطب صداقته". و أشارت الخارجية إلى أنهم يمكن أن يتوسطوا بين عبد العزيز و العثمانيين. و أجاب حقي بأنه سيستطلع رأي حكومته في هذا الصدد. **270**

اتصل ابن سعود في أوائل سبتمبر 1913 مرّة أخرى بالسلطات البريطانية في الخليج يستجلي نوع العلاقة التي يحرصون على سيادتها معه. و رد كوكس مأذونا من لندن و الهند كليهما على عبد العزيز في 11 سبتمبر يذكر بأن حكومته خوّلته لينهي إليه بأنها قد اخذت علما أنه تعهد من جانبه بالإبتعاد عن أي عمل من شأنه أن يهز "الوضع الراهن ", أو أن يخلق اضطرابا في المشيخات العربية التي لبريطانيا ارتباطات مع حكامها، بما في ذلك تعهده بضمان استقلال شيخ قطر، و أن الحكومة البريطانية من جانبها ستحافظ على علاقات الصداقة معه، كما كان دأبها في الماضي، بشرط أن لا يحيد عن تعهده السابق.

التقى في يومي 15 و 16 ديسمبر شكسبير و تريفور Trivor، وكيل البحرين السياسي، مع ابن سعود في العقير. وجاء في تقرير الرجلين أن عبد العزيز طلب الحماية البريطانية كي يحافظ بها على حقوقه الموروثة في السيادة، و أنه يتعهد في مقابل هذا بأن يلتزم بمنع تجارة السلاح، و أن ينأى عن التحرش بشيخ قطر وشيوخ مناطق ساحل عمان التي هي كما يقول عبد العزيز مناطق تابعة له لكنه لم يسع إلى استردادها لرغبته في أن لا يذهب بحسن النوايا البريطانية. وجد هذا التقرير طريقه إلى لندن بعد أن مرّ بالطريق المعتاد من بوشهر إلى الهند. و رأت لندن أنها يمكن أن تعالج ذلك بأن تعمل على خلق صيغة تفاهم بين ابن سعود و الدولة العثمانية، كما رأت أن تلتزم بالخط الذي أشار به مقيم الخليج العربي من أنه يجب العمل على أن لا تقوم الدولة العثمانية بأية عمليات بحرية ضدّ الاحساء إلا بعد أن تطلب الوساطة البريطانية، ثم تعمل استانبول بعدئذ بالتشاور مع بريطانيا في هذا الصدد. و كان من رأى الحكومة البريطانية الذي كونته سلفا بأن أية عمليات حربية للعثمانيين على ساحل الاحساء لابد لها من أن تخرق "حياد " مياه البحرين. فاحتلال الاحساء بحرا، في رأي الأدميرالية، لا يتمّ إلا من خلال البحرين لأن الساحل الاحسائي شمال البحرين، مثله مثل ساحل قطر، مزروعا بالشعاب المرجانية. و صرّحت الحكومة البريطانية للعثمانين في أكثر من مناسبة بأنها لن تسمح بخرق حياد مياه البحرين. و رفض السفير العثماني في لندن الحقيقة

الجيومورفولوجية التي تقول بعدم إمكانية غزو الاحساء إلا من خلال البحرين، لكنه وافق على أن يؤكد لبريطانيا بأنهم لن يخرقوا حياد مياه البحرين [271].

كتب ابن سعود إلى تريفور في 26 فبراير 1914 يستفسر عن سبب عدم الاتصال به بعد لقاء العقير " لعل الداعي خيرا ". و كان الداعي في الحقيقة هو ما كتبه هرتزل في 2 ابريل من أن وزارة الخارجية رجعت إلى أسلوبها القديم في التصرف على أساس أن ابن سعود غير موجود [272].

أ سعى العثمانيون في هذه الفترة إلى مصالحة ابن سعود و أرسلوا له عن طريق مبارك الصباح يخطرونه بعزمهم على ارسال بعثة عثمانية تفاوضه في شأن حكم نجد و الاحساء. و دارت المفاوضات بعدئذ في قرية الصباحية في الفترة من 2 إلى 4 ابريل. و يشير خطاب أرسله وكيل الكويت البريطاني بتاريخ 6 مايو 1914 إلى فشل المفاوضات [273]. و يكتب بعد هذا كييس Kays، وكيل البحرين السياسي البريطاني، في 30 يونيو لينهي إلى حكومته أن ابن سعود وصل إلى اتفاق مع الحكومة العثمانية تأكد بفرمان[274]. و في أوائل يوليو كتب وكيل الكويت البريطاني يؤكد أن اتفاقا قد وقع بين ابن سعود و العثمانيين[275].و يثور تساؤل عن ماهية هذا الاتفاق السري و كنهه، و نرجح أن الحقيقة هي فيما رواه شكسبير على لسان ابن سعود حين التقاه [276] في يناير 1915. ذكر ابن سعود أنه تسلم من مبارك ما يفيد بوساطته في النزاع القائم بينه و بين العثمانيين، و أن مباركا حثّه على لقاء المفاوض العثماني و العمل على حل المشكلات العالقة بينه و بين الدولة العثمانية. و عندما تقدم ابن سعود إلى الصباحية وجد هنالك خطابا من مبارك ينهاه عن التعامل مع المبعوث العثماني، و يخطره بأنه يرفض أن يشهد هذه المفاوضات التي وعد سلفا بحضورها. و أخطر مبارك ابن سعود بأنه علم من الوكيل البريطاني في الكويت أن الحكومة البريطانية زاهدة في مساندة ابن سعود لأنها أحدثت مع الحكومة العثمانية اتفاقا يحفظ لهم مصالحهم التي لا تريد الحكومة البريطانية تعريضها للخطر بالتعامل معه، خاصة و أن الحكومة العثمانية رفضت عرض البريطانيين في التوسط بينه و بين العثمانيين. و قد أدى هذا الموقف و مواقف أخرى شابت علاقة مبارك و ابن سعود إلى أن يشكّ ابن سعود في نوايا مبارك. و لهذا عمل ابن سعود أن يحتفظ بالمفاوضات و نتائجها سرّا عن مبارك. و يروي ابن سعود أن المفاوضات تمخضت عن اتفاق رفضت استانبول التصديق على بعض بنوده و أصرّت على رأيها في أعمال بنودها المقدمة إليه بحذافيرها. وحين توسط بعض أهل الرأي عند عبد العزيز عاد و وافق على صيغة استانبول لأنه أدرك أن استانبول لن تجرؤ على وضعها موضع التنفيذ لكنها وضعتها لحفظ ماء الوجه، ليس إلا. ووردت بعد هذا إلى ابن سعود الفرمانات و خطابات و برقيات التهنئة من الباب العالي و الوزراء و مختلف الوجهاء في استانبول.

عقد هذا الاتفاق في 15 مايو 1914 سُمي ابن سعود بموجبه حاكما عاما، و قائدا لنجد.[277] و ضمن الإتفاق لابن سعود كل السلطات المنوطة بالوالي بما في ذلك تجنيد المليشيات لحفظ الأمن و النظام في نجد. و لم يحرم الاتفاق ابن سعود من التعامل مع الاجانب لتسيير أمور المنطقة. و قضى الاتفاق على أنه ليس من حقّ ابن سعود ابرام الاتفاقات أو التعهدات مع القوى الأجنبية، و ليس له حقّ منح الإمتيازات، كما أنه مُقّيد باحترام كافة الاتفاقات ذات العلاقة بالمنطقة التي أبرمتها الدولة العثمانية مع الدول الأجنبية. كما أعطى الاتفاق للحكومة العثمانية حقّ الاحتفاظ ببعض الحاميات العثمانية في الساحل يُزاد في عددها إذا طلب ابن سعود ذلك. كما عمل الاتفاق على تنظيم العلاقة المالية بين ابن سعود و بين الحكومة العثمانية. و روى ابن سعود أنه عقد مع العثمانيين هذا الاتفاق تمهيدا للتخلص من ربقتهم [278].

لم تكن السلطات البريطانية تدرك من أمر هذا الاتفاق شيئا حتى تسرّبت أخباره. كتب ماليت، السفير البريطاني في استانبول، إلى إدوارد جراي، وزير الخارجية، في 12 مايو يطلب إليه عدم تشجيع سلطات الخليج البريطانية للاتصال بابن سعود حتى لا يُغذّي الشكوك العثمانية. و علّق جراي على هذا الخطاب [279]:" يرجى وضع تعليمات تنصّ على أننا اعترفنا في الاتفاق الذي أبرمناه مؤخرا بالأرض التي عليها ابن سعود أرضا تركية، و أن ابن سعود خاضع لتركيا، و عليه يجب أن يعامل بصفته هذه، و لا يجب أن تكون هنالك اتصالات معه خارجة عن هذا الإطار. يجب التعامل مع ابن سعود على ضوء أنه موظف تركي أو عليهم ألا يتعاملوا معه البتّة."و إذا كان الوكلاء البريطانيون الذين يتعاملون مع ابن سعود تابعين لهذه الوزارة فتُرسل لهم التعليمات رأسا، و إذا لم يكونوا تابعين لنا فسنطلب إلى حكومة الهند إرسال هذه التعليمات لهم مباشرة ". و يعود ماليت بعد ثلاثة أيام من خطابه هذا ليكتب خطابا آخر[280] في 15 مايو يشير فيه إلى أن السيطرةالعثمانية " لن تُعاد على سواحل الخليج العربي، و ان اقامة علاقات مع ابن سعود هي شيء عملي و أمر طبيعي و حتمي ". و يشير ماليت بإرجاء التعامل مع ابن سعود حتى يتم اعتماد الإتفاق. و على هذا الأساس يخفف الوزير جراي من لهجته السابقة، و يكتب إلى وزارة الهند في 4 يونيو بوجوب أن لا تكون لسلطات الخليج العربي السياسية أية علاقة بابن سعود " إلا إذا كان لا بد من ذلك ". و أرسلت وزارة الهند في 5 يونيو هذه التعليمات إلى حكومتها [281].

كتب في 26 يونيو شكسبير الذي كان في إجازة بانكلترى إلى هرتزل مذكرة بالتطورات التي تكتنف شبه الجزيرة العربية. أشار فيها إلى تفاقم أمر ابن سعود الذي يسعى لجمع شيوخ شبه الجزيرة العربية في سياسة مُوحّدة ضدّ العثمانيين. و يشير شكسبير كذلك إلى " أن أمر الأتراك في تلك المنطقة قد غدا أمرا ميؤسا منه خاصة إذا أصروا على سياستهم الحالية ".

أخطرت حكومة لندن في أوائل اكتوبر شكسبير كي يغادر لندن حالا إلى ابن سعود ليمنع وقوع أية اضطرابات في وسط الجزيرة العربية و طلبت إليه أن يتأكد أن الدولة العثمانية لن تظفر بأي تأييد هنالك إذا حدث أن دخلت تركيا الحرب. و قبل بلوغ شكسبير إلى مقصده دخلت الدولة العثمانية الحرب. و أبرقت لندن إلى الهند تطلب إليها إخطار ابن سعود أن شكسبير في طريقه إليه، و أن الحكومة البريطانية تعترف له بما حازه من أرض في الاحساء و نجد، و أنهم يضمنون له سلامة أرضه ضدّ أي هجوم بحري أو بري، و ذلك في حالة أن ينجاز ابن سعود في الحرب إلى جانبهم ضدّ المعسكر التركي[282]. و اتصلت الدولة العثمانية في نفس الوقت بابن سعود تطلب إليه أن يدافع عن البصرة، و أن لا يعارض ابن رشيد في حملته المزمعة تجاه مصر [283]. و أبرقت الدولة العثمانية للسيد طالب النقيب كي يعمل على إحداث مصالحة بين ابن سعود و ابن رشيد بينما كان السيد طالب في هذا الوقت يفاوض عن نفسه من خلال الشيخ خزعل و قنصل المحمرة بريطانيا كي يدخل الحرب إلى جانبها. غير أن البريطانيين لم يوافقوا على شروط طالب الطموحة التي لم يستطع خزعل أن يؤثر فيه ليخفف منها. و في هذه الاثناء دخلت الدولة العثمانية الحرب ففرّ طالب من البصرة عن طريق الزبير إلى ابن سعود يفاوضه كي يلزم جانب العثمانيين. و أجابه ابن سعود أنه لا يملك جندا يمكن أن يحارب بهم في العراق، و إن ذلك لن يتوفر له إلا إذا اتخذ ابن رشيد وضعه القديم عاملا تابعا للسعوديين. أما بالنسبة للبريطانيين فقد أجاب ابن سعود، في الوقت ذاته، على اتصالاتهم مُرحِّبا بالتعاون معهم، لكنه كان حصيفا حين أضاف أن هذه البنود التي أرسلتها بريطانيا غير واضحة، فهو لا يدري إذا كانت تلك الشروط رهنا بفترة الحرب فقط أم أنها ذات طبيعة دائمة. و أشار ابن سعود إلى أن الخطاب المرسل إليه من قبلهم ليس له قوّة الاتفاقية، و لا يمكن الاعتداد به في المستقبل في علاقة بين دولتين. و طلب ابن سعود إلى البريطانيين إرسال مبعوث كي يفاوضه في شأن إرساء العلاقات على أسس متينة [284]. و لعل في هذا ما يدل على أن ابن سعود كان أكثر زعماء العرب وقتها وعيا سياسيا، إذ اكتفى جميعهم، مضطرين و غير مضطرين، بقبول خطابات البريطانيين و اعتبروها وثائق تقوم مقام الاتفاقيات أو في حكمها، و برهنت الأيام بعدها كذب الوعود البريطانية.

وصل شكسبير إلى ابن سعود الذي كان وقتها في الخفجي Khufsha، و بدأت فور وصول ذلك المبعوث البريطاني في 31 ديسمبر المفاوضات. و يمكن اعتبار محادثات الخفجي هي الأساس الأول لاتفاق دارين. سعى ابن سعود في هذه المفاوضات إلى أن تضمن له بريطانيا الإستقلال الكامل في مقابل التعهد بأن لا يدخل في أية علاقات مع أية دولة أجنبية أخرى إلا بموافقتها.و لعل في سعي ابن سعود لضمان الإستقلال الكامل، ثم طلبه أن تكون بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي يدخل في علاقات معها و لن تكون له علاقات بغيرها إلا باذن منها، انعكاسا للفكر السياسي الاسلامي السائد على تلك الأيام حيث لم يفهم حكام الوطن العربي بعد طبيعة العلاقت الدولية و لا

خطورتها. فاستانبول، و هي أرقى صورة يعرفها العرب للدولة الكاملة السيادة و الإستقلال، كانت تعترف بنظام الامتيازات الذي قد لا يختلف في معناه الدقيق عن التنازل لدولة معينة أو لمجموعة دول عن قسط من الإرادة الوطنية. فالدولة العثمانية لا تستطيع بحكم قوانين الامتيازات مثلا، رفع أو خفض الرسوم و الجمارك إلا بموافقة القوى صاحبة الإمتيازات مما ينجم عنه بالضرورة تدخل هذه القوى في تسيير علاقات الدولة العثمانية بغيرها و توجيه سياسة الدولة الوجهة التي ترضاها تلك القوى.

طلب شكسبير إلى حكومته أن تعقد مع عبد العزيز اتفاقا توثقه، و ستضمن بريطانيا باتفاقها الموثق السيطرة على الساحل الغربي للخليج العربي كله، كما ستضمن التحكم في إغلاق وسط الجزيرة العربية بكامله عن التدخل الأجنبي " خاصة و أن لابن سعود من قوّة الفكر الديني ما يستطيع أن يُحيِّد به قوّة القكر الديني لدولة الخلافة وسط القبائل ". و أشار شكسبير إلى أن ابن سعود يضع العثمانيين بديلا ثانيا Second best يتجه لهم في حالة تعذر اتفاقه مع بريطانيا. و علّق المقيم كوكس على هذه الرسالة بأن على بريطانيا أن تتعامل مع ابن سعود و تسانده، وأنها لن تثير بذلك غيرة أية قوّة دولية من قوى الحلفاء إذ ليس في سعيها ما ينمّ عن محاولة منها لضمّ أية أراض في وسط شبه الجزيرة العربية. كما اننا " لا نجد أية تطلعات لقوى الحلفاء في تلك المنطقة، وهذا ما سيخدم وضعنا جميعا ". و على هذا وافقت حكومة الهند على صيغة اتفاق يقوم على خطوط عريضة فحواها **285**:

أولا: أن تعترف بريطانيا بابن سعود حاكما مستقلّا على نجد و الاحساء و القطيف. و أن تضمن له وراثة الحكم في أسرته من بعده بشرط أن يقبل شيوخ القبائل هذا الترتيب، و توافق عليه بريطانيا.

ثانيا: في حالة حدوث اعتداء على حدود ابن سعود لم يكن له أي يد في إثارته فإن الحكومة البريطانية تتعهد بمساعدته و ذلك إلى الحد الذي يتطلبه الموقف و بالأسلوب الواجب لمعالجته.

ثالثا: يوافق ابن سعود على أن لا تكون له أية علاقة بأية قوّة أجنبية فيما عدا بريطانيا إلا بناء على نصيحة الحكومة البريطانية.و على ابن سعود أن يبذل كل ما في وسعه لاتباع نصيحة بريطانيا.

رابعا: توافق الحكومة البريطانية كما يوافق ابن سعود على عقد اتفاق تفصيلي لمعالجة المسائل التي تهمّ الجانبين التي لم يجر ذكرها، و ذلك في أقرب فرصة ممكنة.

أرسلت هذه الصيغة إلى وزارة الهند التي تدارستها مع وزارة الخارجية البريطانية و أقرّتها[286]. و أرسلت هذه الإقتراحات إلى ابن سعود لإقرارها، و لم يوافق ابن سعود على ما ورده، و قام بصياغة الاتفاق من جديد [287]. و كان أهم الخلافات بين الصيغتين البريطانية و السعودية أن ديباجة صيغة الإتفاق البريطاني قد عرّفت ابن سعود بأنه حاكم نجد و الاحساء و القطيف، أما النصّ السعودي فقد عرّف ابن سعود بأنه حاكم نجد و الاحساء و القطيف و جبيل و المدن و الموانئ التابعة لهم. ونجد كذلك أن ديباجة النصّ الإنكليزي تذكر أن ابن سعود بصفته حاكما مستقلا للقبائل في المنطقة. و أضافت ديباجة النصّ السعودي إلى النصّ البريطاني: و شيخ شيوخ قبائلها. و كذلك جرى النصّ السعودي على حذف أمر موافقة بريطانيا على خلافة الحكم في السعودية. و حذف النصّ السعودي كذلك من النص الذي تناول حدوث الإعتداء على حدود ابن سعود جملة " و لم يكن له يد في إثارته ". و أضاف النصّ السعودي في هذه المادة " على الحكومة البريطانية أن تساعد ابن سعود تحت كل الظروف، و في أي مكان ". و أضاف النصّ السعودي كذلك في البند ثالثا الذي ينصّ بعض ما جاء فيه " و على ابن سعود أن يبذل كل ما في وسعه لاتباع نصيحة بريطانيا " أضاف النصّ السعودي لهذه العبارة " عندما يكون ذلك في مصلحته ". و لم توافق حكومة الهند بطبيعة الحال بهذه التغيرات السعودية التي نسفت أسس النصّ البريطاني و طلبت رأي لندن في هذا الصدد. و ردت لندن بالموافقة على الالتزام برأى الهند من وجوب التمسك بالاطار الذي اقترحوه ما أمكن الحال، و فوّضت الحكومة شكسبير لدفع ابن سعود في ذلك الإتجاه. و انتهت ذكرى شكسبير في معركة جراب، و لم ترسل الحكومة البريطانية وكيلا آخر ليفاوض ابن سعود. و أرجئ الوصول إلى اتفاق محدّد بين الطرفين إلى " أقرب فرصة ممكنة ". وحين بدأت المفاوضات مرّة أخرى توصل الطرفان إلى تفاهم انتهى إلى اتفاق بين عبد العزيز و كوكس في 26 ديسمبر 1915، في قرية دارين الواقعة بالقرب من القطيف، و اعتمدته حكومة الهند في 17 رمضان 1334/18 يوليو 1916. [288] ربما يمكننا القول بأن هذا الاتفاق الذي يشبه في مبناه اتفاقات بريطانيا مع شيوخ الساحل العماني يُعدّ مفارقة للسياسة الهندوبريطانية المقررة منذ زمن طويل في الخليج العربي. ففي كل الاتفاقات التي أبرمتها الهند باسم بريطانيا سابقا تعهّدت الحكومة بحماية المشيخات من البحر فقط دون أن تلتزم بحمايتها من الأخطار الواردة عن طريق البر. حتى في الكويت حيث كان البرّ شيئا اساسيا في تحوير سياسة حكومة الهند نجد أن الضمان البريطاني لحماية المنطقة لا يوغل في اليابسة كثيرا إنما أقتصر على المنطقة المجاورة لخليج الكويت فقط

تعدّى الإتفاق الهندوبريطاني السعودي حدود السياج البري الرقيق الذي وضعته الهند على الساحل الغربي للخليج، ووصلت الحماية إلى النجاد المترامية في وسط شبه الجزيرة. و على هذا يمكن القول بأن هذا هو أول اتفاق بريطاني مُوثّق يدخل البر في حسبانه. كما أن الإشارة في اتفاق دارين (البند الخامس) على أن يحترم ابن سعود وضع بريطانيا في المشيخات ذات العلاقة الخاصة

مع بريطانيا ووضع قطر أيضا، يُشكل أول محاولة هندوبريطانية للتدخل في العلاقات بين العربية Inter – Arab بصفة شاملة في شبه الجزيرة العربية لتضمن حدودا لم تُرسم بعد. و قد وعدت بريطانيا بتخطيط الحدود مستقبلا. و لعل في هذا ما يدل على أن بريطانيا قرّرت أن تتولى خلال فترة الحرب الامساك بخيوط إدارة الشؤون العربية في المنطقة بصفة تامة.

أرادت بريطانيا من ابن سعود أن يشاركها في الحرب بصورة واضحة ," لكنه لم يفعل بالرغم من أنه لم يكن مُحايدا. أدّى ابن سعود للبريطانيين خدمة كبرى حين "أقعد ابن رشيد عن المشاركة في معارضة حملتنا على بلاد ما بين النهرين مع اننا دفعنا الثمن باهظا بهلاك شكسبير [289]". كما إنه أفسد خطة الأتراك في العمل العربي المشترك[290] الذي كانوا يأملون فيه، كما استفادت الهند كذلك من تحييد القوى السعودية تجاه المشيخات العربية على الساحل[291] التي أرادت الهند لها أن تحتفظ بوضعها المرسوم سياجا لحزام الأمن الهندي. أما ابن سعود فقد أفاد من الدعم البريطاني المنظور و غير المنظور في تدعيم أركان البيت السعودي. و لعل أهم ما قادت له دبلوماسية عبد العزيز الذكية أنها مكّنته من وضع حزام الأمن الهندي سدا دون وصول أية قوّة دولية إلى دياره, و تفرغ بكل ثقله لمعالجة الوضع في شبه الجزيرة العربية.

حماية السلام البريطاني إبان الحرب العالمية الأولى:

في 8 جمادى الأولى 1332/ 4 ابريل 1914 طلبت وزارة الهند [292] إلى الأدميرالية البريطانية أن تؤكد لها بأن الإتفاق الذي تزمع بريطانيا عقده مع شركة البترول الفارسية البريطانية ليس في بنوده ما يضع مسؤولية الدفاع عن مصالح بريطانيا النفطية في منطقة الخليج العربي على عاتق حكومة الهند. فالهند، إذا وقعت الحرب، تحتاج إلى كل قوّتها للدفاع الذاتي، و ليس لديها وفرة تدافع بها عن التزامات خارج دائرة اختصاصاتها. و في معرض مناقشة احتمالات العمل العسكري البريطاني في الخليج العربي أكّد جراي، وزير الخارجية، مرتين في البرلمان الإنكليزي و ذلك في 17 و 29 يونيو 1914 أن إرسال " حملة هندية للدفاع عن عبدان هو أمر مستحيل، كما نعلم ". و في 7 شعبان 1332/الأول من يوليو 1914 رفض كريوي، وزير الهند، أن يلتزم بشيء أمام مجلس الوزراء البريطاني بشأن إرسال حملة هندية للدفاع عن عبدان [293]. و تأكد رفض الوزير كريوي بخطابين للنائب هاردنج في " 17 يوليو و 12 اغسطس عبّر فيهما عن هذا المعنى. جاء في خطاب هاردنج في 17 يوليو أنه لن يستطيع حتى " مجرد التفكير في أمر إرسال حملة هندية تحمي عبدان إذا وقعت الحرب " [294]. كما جاء في خطابه بتاريخ 12 اغسطس بأن ارسال حملة عسكرية هندية إلى الخليج العربي " هو أمر خطير منه لما قد ينجم عنه من هياج وسط الجمهور المسلم في الهند."

و رأى هاردنج أن أمر إثارة الأتراك يزيد في خطورته عن الحماية التي تسعى الحكومة لفرضها على منطقة البترول في عبدان [295]. ويبدو أن نائب الملك في الهند كان متأثرا بما تمثله قوّة حركة الجامعة الإسلامية في الهند التي استثارتها الحرب العثمانية الايطالية في البلقان (1911 - 1913 م) و التي قدّم الهنود المسلمون خلالها للدولة العثمانية الدعم الذي استطاعوه و أهمّه ذلك المتمثل في البعثة الطبية الهندية التي سافرت إلى تركيا برئاسة الدكتور أنصاري في أواخر عام 1912م تحت رعاية الهلال الأحمر في دلهي. و خطب أنصاري في بعض مناطق من الهند عند عودته بعض الانتهاء من مهمته معلنا أن أهم نتائج بعثته " تمثلت في " تكوين رابطة إتحادية بين الأمة التركية و الأمة الهندية ". كما شهد عام 1913 م نشاطا اسلاميا بارزا في الصحافة الهندية حيث كان الصحافي محمد علي يكتب في صحيفتى كومريد و همدارد Comrade و Hamdard يتحدث عن الإمبراطورية العثمانية و المسألة الإسلامية. كما خطب محمد علي في اجتماع لاهور في19 صفر 1331/ 28 يناير 1913 و نعت المسألةالعثمانية " بأنها مسألة حياة أو موت بالنسبة للإسلام و المسلمين [296]". و غير أن هاردنج بدل من موقفه هذا حين نادى المقيم كوكس في 20 أغسطس بضرورة ارسال حملة من الهند إلى الخليج العربي. [297] و أدرك هاردنج أن الأمر لم يكن هنديا كله، فهناك استراتيجية بريطانيا في الحرب، بل و هناك من موظفى الهند جماعات، غير النائب الملك، ترى ضرورة إرسال حملة إلى رأس الخليج العربي. كتب هاردنج إلى الوزير كريوي في 4 سبتمبر 1914 معلقا على خطاب كوكس بأنه اقتنع بفكرة إرسال حملة هندية إلى الخليج العربي " لأن استراتيجية الحرب تقتضي القيام بذلك. و أشار هاردنج إلى أن هدف هذه الحملة يتمثل في استثمار صداقة العرب في المنطقة للعمل على حماية المصالح الأوروبية و الحفاظ على أرواح الأوربيين من خطر تمرد العرب على العثمانيين. و يرى هاردنج أن هذا " التمرد " سيخلق نوعا من الفوضى ما لم تكن هنالك قوّة بريطانية لحفظ الأمن و النظام في الخليج العربي. و في الأول من أكتوبر ذكر الوزير كريوي أنه يوافق على ارسال حملة هندية إلى الخليج العربي و ذلك بهدف ما ستحدثه هذه الحملة من " تأثير معنوي على العرب، و ليس بهدف حماية آبار البترول ". كما أيد هرتزل إرسال الحملة الهندية إلى الخليج العربي معتمدا على ما كتبه بورو Borrow، أمين الشؤون العسكرية في حكومة الهند، من أن الدولة العثمانية ستنضم إلى دول الوسط، و أن الأمر لا يعدو أن يكون مسألة وقت حتى تعلن الدولة العثمانية موقفها صراحة. و ركّز هرتزل في مذكرته على أنه من الخطورة ترك أعالي الخليج العربي دون تأكيد لسيطرة البريطانيين في تلك المنطقة، " فإغفال ذلك سيؤدي إلى نجاح الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا في إثارة مسلمي الهند و أهل الخليج العربي كلهم ضدّ الوجود البريطاني برمّته "[298].و في 2 اكتوبر ناقش مجلس الوزراء البريطاني هذا الرأي و أقرّ إرسال حملة بريطانية إلى شطّ العرب لحماية المصالح البريطانية هنالك، و طلب المجلس إلى الهند تنفيذ الخطة المقترحة و ذلك بإرسال الفيلق السادس (بونا) إلى الخليج العربي [299].

لم يعترض هاردنج بالطبع على ارسال الحملة إنما اعترض على وجهتها، "فإرسال هذه القوّة إلى منطقة عبدان يمكن أن يثير الأتراك بدعوى أن البريطانيين يخرقون حياد فارس ". و رأى هاردنج أنه من الأنسب للمصالح البريطانية أن تنزل الحملة في باسيدو عند أسفل الخليج العربي[300]. كما حذّر بياكومب دوف Doff, القائد العام للقوات الهندية، من أن نزول هذه الحملة بالقرب من عبدان أو من أية منطقة قريبة من الأرض العثمانية " هو فخّ نصبه لنا الألمان و سنقع فيه "[301]. و لهذا عاد هاردنج ليدافع مرّة أخرى بأن تلتزم الحملة منطقة بعيدة عن الأرض العثمانية. و أخيرا استقرّ الرأي على نزول الحملة في البحرين[302]. و قد تولى المقيم بيرسي زكريا كوكس، بناء على توجيه من هاردنج، كافة المسائل السياسية الخاصة بقوّة الحملة الهندية في الخليج، و ذلك " لأن كوكس ذو معرفة ثرّة بالخليج العربي و بشيوخه ". و أشار هاردنج إلى أن سياسة الخليج العربي " هي من الأعمال ذات الطبيعة الخاصة التي لا يستطيع إدارة خيوط مسرحها إلا من كان في خبرة كوكس " [303]. وصلت الحملة إلى البحرين قبل إعلان العثمانيين الحرب بيومين، و استطاعت عند اعلان الحرب أن تسيطر على مدخل شط العرب. و تقدمت الحملة من الفاو إلى البصرة التي احتلتها في3 المحرم 1333/ 21 نوفمبر [304]1914, و أصبح همّ حكومة الهند بعد احتلال البصرة تقوية رأس هذا الجسر بالانتشار في ظهيره. فهذه الحرب هي في نظر الهند " حرب حدود يحب على القوات التي تجريها أن تتقدم في المنطقة ما أمكنها ذلك حتى تخمد أية ثورات قد تنشأ و تضرب كل تحرك مناوئ". أما لندن فقد كانت، على العكس من هذا، تسعى لقصر الأمر في هذه المرحلة عند البصرة، و ترى أن ترابط قواتها في تلك المنطقة في " انتظار ما تأتي به الأيام ". و تغلّب الرأي الهندي في النهاية، و تقدمت الحملة صوب بغداد، كما سارت في جنوب فارس لصالح البريطانيين بعد أن تغلّبوا على المقاومة الوطنية الجادة التي كان الألمان من ورائها "[305].

يهمنا هنا الأثر الذي أحدثه سير الحرب في السياسة الهندية في منطقة الخليج العربي الذي نكاد نجمله في أن الحكومة الهندية نبذت سياستها القديمة التي تقوم على عدم التدخل في الظهير المجدب، و دخلت منذ بداية الحرب في نسيج السياسة الداخلية للإمارات و المشيخات العربية.ويمكن ان نلاحظ هذا التغيير في اتفاقهم مع الأمير عبد العزيزبن سعود، و في الكويت، وفي قطر، و مناطق الشيوخ المتصالحين، وفي مسقط و عمان. ومع ذلك فقد كانت حكومة الهند ترى في هذا التدخل وضعا مؤقتا. كتب النائب هاردنج في27 ربيع الثاني 1333/ 14 مارس 1915 عن تصوره للجزيرة العربية في مرحلة ما بعد الحرب [306], فرأى أن يستمر دعم البريطانيين لتقوية سلسلة التعهدات التي تربط الساحل العربي على طول الشريط الممتد من عدن حتى الكويت. و أشار هاردنج أن في استمرار هذا الوضع أهم ضمان لتأمين الوضع البريطاني في الخليج العربي، و تأمين طرق المواصلات إلى الهند."أما فيما عدا هذه المنطقة الساحلية فإننا لا نجد سببا يدفعنا

للدخول في علاقات مع القبائل الداخلية أو يقحمنا في شؤونها، إذ ليس لنا في الداخل أية علاقات من أي نوع، و لم يأت اتفاقنا مع ابن سعود إلا نتيجة لأنه يسيطر على القطيف ". و يخلص هاردنج إلى أنه:" ليس لدينا الرغبة و لا القوّة للتدخل في الشؤون الداخلية للظهير "، و ذكر النائب أنه يهمهم أن يكون هذا الظهير تحت حكام لهم مواصفات كالتي ذكرها شكسبير في ابن سعود ," رجل نشط تدفعه وطنية صادقة لخدمة وطنه، و احترام عميق لدينه، و رغبة حقّة و عزيمة لا تنثني في السعي من أجل مواطنيه"[307]. و يستطرد هاردنج ليقول أنه يريد نوع هذا الرجل بدرجات متفاوتة. و يرى هاردنج أن الدعوة التي انطلقت منادية بأن أرض العرب للعرب لن تؤثر عليهم سلبا، فلن تكلف هذه الدعوة بريطانيا " إلا ضمان عدم الهجوم على هؤلاء الشيوخ من ناحية البحر، و بذل كافة مساعينا للحفاظ على استقلالهم في تسويات ما بعد الحرب ". و يستعرض هاردنج الاتفاق المعقود بين الهند و الادريسي في عسير [308], و طموح الحسين و ابن سعود، و يعتقد أن الخلافة الإسلامية ربما صارت للحسين لأن الوهابيين – كما يرى – لا يعترفون إلا بالخلفاء الراشدين الأربعة (؟). و يخرج هاردنج من كل هذا إلى أن مسائل وسط شبه الجزيرة العربية لا تهم حكومة الهند في شيء كثير[309]. و قد برهنت كافة الإدلة بعد هذا على سيادة هذا الرأي و تحكمه في سير السياسة الهندوبريطانية بصفة خاصة، و البريطانية بصفة أشمل. و أرسل كوكس جون فيلبي إلى ابن سعود، و كانت مهمته تتركز في أمور أهمها [310]: ضرورة دفع ابن سعود للعمل العسكري ضدّ ابن رشيد فورا، و العمل على تنقية الأجواء بين ابن سعود و شريف مكة الذي أصبح، في هذا الوقت، ملكا على الحجاز باعتراف البريطانيين.كما اوكل كوكس لفلبي مهام أخرى أقل أهمية من مثل سك عملة نحاسية خاصة بنجد و ما إلى ذلك، لم تجد من فيلبي اهتماما بإثارتها. فقد كان الهدف الرئيس لبعثة فيلبي هو إثارة العداء تجاه حائل " و قد وجدنا في ابن سعود الرغبة الصادقة لتنفيذ ما نريد بل أكثر من ذلك ".

ما أن سقطت القدس للبريطانيين، و ما أن اعتبرت الحرب منتهية بالنسبة للعثمانيين في المنطقة حتى كتبت السلطات السياسية العسكرية في بغداد إلى فيلبي تستقدمه، و إذ لم يعد يهمّ الحكومة البريطانية من أمر العلاقة بين الرياض و حائل شيئا، ولم تعد بريطانيا ترغب في أن تدفع لابن سعود مالا أو تمدّه بسلاح تعينه به على حرب ابن رشيد. و هدّد ابن سعود، إزاء هذا الوضع الجديد بأنه سيرسل احتجاجا للحكومة البريطانية ضدّ هذا التصرف. ووعده فيلبي بأنه سيحاول اقناع السلطات البريطانية للسير قدما في دعم موقفه. و طلب ابن سعود إلى فيلبي عدم الرجوع إليه إذا فشل في مسعاه. و حين وصل فيلبي إلى الكويت عرف أن الحرب مع الدولة العثمانية قد انتهت، و ليس ثمّة داع لعودته للرياض مرّة أخرى. و كانت خيبة أمل ابن سعود في السياسةالهندوبريطانية كبيرة [311].

أما الكويت فقد ضمنت حكومة الهند لشيخها استقلالا لم يشهد عليه نصّ خطيً صريح. اتصل المقيم البريطاني في14 ذي الحجة 1332/ 3 نوفمبر 1914 بالشيخ مبارك الصباح، حاكم الكويت، و أنهى إليه بموجب خطاب رسمي[312] بأن بريطانيا تعترف بأنه ليس له أية علاقة البتّة بتركيا وذلك في مقابل تعاون الشيخ مع الحملة البريطانية المزمعة على المنطقة السفلى في منطقة ما بين النهرين. جاء في هذا الخطاب:" بالاشارة إلى خطابي السابق الذي ألمحنا فيه بخبر الحرب بين الحكومة البريطانية و تركيا فقد أمرتني الحكومة البريطانية أن أنقل عنها لسموكم امتنانها لولائكم لها، وشكرها لما عرضته عليها من مساعدة. و تطلب الحكومة إليكم أن تهاجموا أم القصر و صفوان و بوبيان و احتلال هذه المناطق. و سنحاول بعدئذ بالتنسيق مع الشيخ خزعل خان، و الأمير عبد العزيز بن سعود، و الشيوخ الآخرين الذين يُعتمد عليهم " تحرير البصرة" من التبعية للأتراك. و إذا كان هذا التكليف يفوق استطاعتكم فعليكم أن تتخذوا من التدابير – إذا أمكن الحال – ما تمنعون به وصول الإمدادات التركية من أن تبلغ البصرة، أو ربما القرنة، حتى تصل القوات البريطانية التي سنرسلها، إن شاء الله، بأسرع ما يمكن ". كما أنيط بمبارك الصباح و بالتجمع المقترح حماية التجار البريطانيين و ممتلكاتهم في البصرة. " إننا إذا انتصرنا في الحرب، و سوف ننتصر بإذن الله، فلن نرد البصرة للحكومة التركية أبدا. أما بالنسبة لكم فإن بساتين النخيل التابعة لكم في المنطقة الواقعة بين الفاو و القرنة ستظل في ملكيتكم و ملكية من يخلفكم دون أداء ضرائب أو رسوم. و إذا عملت على أن تهاجم سفوان و أم القصر و بوبيان، فإن الحكومة البريطانية ستحميكم من أية تبعات تنشأ عن عملكم هذا ". ورغم غموض هذا الخطاب إلا أن الدبلوماسية الهندية كانت قد تمكّنت من مبارك و ما عاد يستطيع سؤالهم لتوضيح الغموض المقصود في هذه الرسالة فقد أصبح ذلك الشيخ في معسكرهم على نحو مفضوح صريح، و كان انكسار البريطانيين في الحرب يعني الذهاب بكل طموحاته و تطلعاته. وهكذا أصبح ارتباط مبارك بسلطات الهند مصيريا، و بهذا اختلف وضعه عن وضع ابن سعود.

كتبت السلطات البريطانية في الخليج خطابا مماثلا للشيخ خزعل، حاكم المحمرة. جاء في الخطاب أن الحكومة البريطانية ستقدم للشيخ في علاقاته بإيران " حلّا يرضيكم و يرضينا معا إذا تجاوزت الحكومة الفارسية حدود اختصاصاكم، و تعدّت على حقوقكم المعترف بها، أو على أموالكم الموجودة بفارس ".[313] و منحت حكومة الهند بعض الضمانات الأخرى لهذا الشيخ و من يخلفه. و رغم عدم وضوح الرؤيا إنساق خزعل وراء الوعود البريطانية. و هكذا فقد ظلّ شيخا الكويت و المحمرة على ولائهما للسلطات البريطانية، و عملا على تحقيق أهدافها. و برهنت أحداث الحرب على أن شيخ المحمرة لم تكن قبضته على قبائل منطقته قوّية حيث استطاع رجال القبائل أن يقطعوا خطوط البترول، و أن يتصلوا بالعثمانيين كما استجاب الكثير منهم للدعاية الألمانية النشطة التي عمت الاحواز. و لم تستمر ثورة هؤلاء الرجال طويلا فقد أدى اندحار العثمانيين إلى تراجع حماس الثوار و الامتثال لشيخهم الموالي للبريطانيين. و أصلح البريطانيون بعد هدوء الأحوال خط أنابيب

البترول و استأنفوا الضخ مرّة أخرى [314]. و تضيف التقارير البريطانية هذه الفترة أن أهل الكويت لم يكونوا متحمسين للدخول في الحرب إلى جانب البريطانيين " و لم يبرز في الكويت عداء صريح للبريطانيين [315] إلا حين " أراد مبارك إرسال بعض جماعاته لمناصرة الشيخ خزعل في وجه الثورة "[316].

يمكننا النظر بعد ذلك في وضع منطقة ساحل عمان في هذا التاريخ. أرسلت سلطات الخليج إلى كل شيخ من الشيوخ المتهادنين خطابين متتاليين تخطرهم بدخول بريطانيا الحرب ضدّ العثمانيين، و لم يبدر من أي من الشيوخ ما ينمّ عن شيء يمكن ان يضايق البريطانيين. و جاءت التقارير من البحرين تقول بأن الشيخ و ابنه قدّما كل مساعدة ممكنة للحملة " لكن فإن البريطانيين مكروهين تماما في غير محيط بيت الشيخ و أقاربه ". و يبرر التقرير ذلك بأن في البحرين كراهية عميقة للروس، انسحبت على البريطانيين كذلك [317]. و إذا كان هذا موقف أهل البحرين من البريطانيين في بداية الحرب فقد استمروا في موقفهم المعارض هذا في عام 1916م كذلك حيث تشير التقارير البريطانية أيضا أنه ليس في البحرين من يرغب في أن يكون تحت الحكم العثماني "إلا أننا نجد تيارا تحتيا ينساب بين أهل السنة متعاطفا مع الأتراك و ذلك لأن تركيا هي دولة الخلافة ". و ذكر وكيل البحرين السياسي أنه يكافح للتقليل من قوّة هذه المزية التي تخدم تركيا في البحرين [318]. و في الحقيقة فقد أصبح مقاومة الدعايةالعثمانية عملا رئيسيا من أعمال الوكلاء البريطانيين [319] في الخليج العربي في فترة الحرب خاصة بعد أن تأسس منذ ديسمبر 1915 ما سمي بالمكتب الشرقي في القاهرة و ذلك كي يعمل بصفة رئيسية في مكافحة الدعايةالعثمانية و الألمانية. و غدت القاهرة، في فترة الحرب، مركزا لهذا المكتب الذي كان يديره من تلك العاصمة رئيس مصلحة الاستخبارات السودانية تحت رئاسة المندوب السامي البريطاني في القاهرة. و نشط المكتب بصورة رئيسية في مكافحة الدعاية الألمانية والعثمانية و ذلك بالتعاون مع مجموعة من رجال الاستخبارات العربية و الاسلامية الذي نشطوا في تجهيز المادة الدعائية التي تنشر في الصحف الهندية و البريطانية، و الفرنسية، والعربية. كما عمل المكتب على اعداد الدراسات اللازمة حول بعض المناطق واتجاهات الشخصيات [320]. وكانت تقاريرالمكتب ترسل إلى لندن حيث يلتقي أمين الشؤون السياسية بوزارة الهند مع رئيس المكتب الشرقي في اجتماع يومي لفحص و دراسة التقارير الواردة من الشرق الأوسط.

كان على مكتب القاهرة أن يتصل رأسا بوزارة الخارجية البريطانية في لندن من خلال المندوب السامي بالقاهرة و عليه ان يتواصل في الوقت ذاته مع قوّة الحملة الهندية .E.I.F في منطقة ما بين النهرين. و أرسلت وزارة الهند و حكومتها فورد A.B.Forde ليكون مندوبا مباشرا لتمثيل المصالح الهندية. أما فرع هذا المكتب في منطقة ما بين النهرين فقد كان تابعا لرئاسة قوّة

الحملة الهندية تمثله هنالك المدعوة جرترود بل Bell التي عملت ضابطة اتصال تحت الاشراف المباشر لبيرسي كوكس. و تحددت مهام مركز البصرة في ما يلي [321]:

أولا: خلق و تشجيع الشعور المضاد للألمان في الخليج العربي و جنوب شرق الجزيرة العربية و ذلك بواسطة الموظفين السياسيين و الوكلاء المحليين " الوطنيين ".

ثانيا: إرسال التقارير إلى رئاسة المكتب بالقاهرة، و إلى الادارة السياسية للحملة و إلى لندن، و ذلك فيما يتصل بالأمور التالية:-

أ- الحركات الدينية خاصة تلك التي تمتزج بالسياسة

ب- ما يتصل بعلاقة بريطانيا مع سلطان مسقط، ومع شيوخ الكويت و الزبير، و المحمرة، و البحرين، و قطر، و الساحل المهادن و ذلك في كافة المسائل المتصلة بالسياسة العربية.

ج- نقل أفكار الشيوخ المستقلين من أمثال ابن سعود و ابن رشيد و التفاوض معهم.

د- دراسة الأوضاع القبلية في العراق و شبه الجزيرة العربية.

ه – دراسة شخصيات الشيوخ المتنفذين في المنطقة و دراسة اتجاهاتهم السياسية.

برهنت المعلومات الواردة في بداية الحرب أن مسقط ظلت تكتنفها الثورات الداخلية التي كانت تعتمل فيها قبل قيام الحرب بسنتين و ذلك في محاولة لرجال هذه القبائل للاطاحة بالسلطان الذي اتهموه – كما تقول الوثائق البريطانية – بفساد الدين و ذلك للصداقة التي تربط بينه و بين الحكومة البريطانية في الهند، و لما قام به من تنظيم لتجارة السلاح. و كانت الهند قد أرسلت بعض جنودها لرد هجمات القبائل عن مسقط و مطرح " و ذلك لضرورة الدفاع عنهما ". و تراجعت إثر ذلك حدّة الثورة التي ما لبثت أن اشتعلت مرّة أخرى حين أججتها مع بداية الحرب الأوربية الدعاية الألمانية المنطلقة من بوشهر و شرق أفريقيا [322]. و نصح نائب الملك في الهند الذي زار الخليج العربي في فبراير برأب الصدع بين سلطان مسقط و قبائل ظهيرها. و أمر النائب الوكيل السياسي البريطاني بمسقط أن يحثّ الطرفين للوصول إلى اتفاق، و لم تسفر اتصالات الوكيل بالجانبين عن شيء يذكر، لكننا نستطيع أن نعتبر تلك الاتصالات مقدمة لاتفاق السيب[323] لعام 1920م. و لعل في اتجاه النائب للوساطة بين السلطان و القبائل ما يؤكد اندفاع السياسة الهندية للخوض في السياسة القبلية في الظهير، و ربما يرجع عدم حرص البريطانين على وصول الوساطة إلى اتفاق سريع إلى الانكسار العثماني المريع في المنطقة ما اعاد السياسة الهندوبريطانية للرجوع إلى البحر مرّة أخرى

و ترك القبائل و السلطان على ما هم عليه من خلاف ونزاع. واستمر الوضع على ذلك الحال حتى جدّت عوامل أخرى عجّلت بعقد الاتفاق.

أما قطر فلم تسع السياسة الهندية في فترة الحرب فيها إلا إلى تثبيت وضع قطر السابق كدولة حدود عازلة بينها و بين العثمانيين لكنها عزلت هذه المرّة بين المناطق التابعة للسعودية و منطقة البحرين بعد أن دخلت الدوحة في حيز المشيخات المتصالحة[324]، و تعهد ابن سعود في 3 نوفمبر 1916 بمراعاه وضعها الجديد.

أما منطقة ما بين النهرين (العراق) فقد اختلف فيها الوضع جدا، إذ كانت قبل الحرب جزءا من الإمبراطورية العثمانية فلم تجد الهند أو لندن، قبل الحرب، طريقة لإنكار تبعيتها لتلك الدولة. أما و قد حاز البريطانيون المنطقة بالحرب فقد سعت حكومة الهند إلى دفع رعاياها الهنود إلى أرض ما بين النهرين للإفادة من عطاء تلك الأرض الخصبة و مياهها الوافرة. و سنرى أن حكومة الهند، مع رغبتها الجامحة، في دفع رعاياها إلى المنطقة لكنها مع ذلك لم تساورها الرغبة في الخوض في سياسة الظهير الصحراوي لشبه الجزيرة العربية حيث عملت على الابتعاد عنه خوفا من أن تختنق بحرِّه أو تُقبر في رماله.

كان للهند منذعام 1903م، مع بدء فترة ولاية كيرزن في الهند، محاولات للتغلغل السلمي في بلاد ما بين النهرين إذ تشير بعض الوثائق [325] العائدة إلى مايو من تلك السنة إلى أن أرض ما بين النهرين الخصبة يمكن أن تستوعب الزيادة السكانية في الهند. و لم تر وزارة الخارجية البريطانية هذا الرأي و طلبت إلى وزارة الهند توخّي الحذر إزاء هذا المشروع.و تجدّدت هذه الدعوة من بعض الدوائر في وزارة الهند في عامي 1906 و 1908م و رفضتها حكومة الهند في فترة ما بعد الكيرزنية مشيرين إلى أنه ليس للهند " أدنى رغبة في تحمل نفقات هذا المشروع، و أنه ليس لدى الهند التفكير في إدخال عنصر جديد في سياسة المنطقة يخلّ بتوازن القوى السياسية في منطقة ما بين النهرين ". و لم يبد ممثلو بريطانيا في منطقة ما بين النهرين حماسا للمشروع بل أنهم رأوا فيه زيادة غير مبرّرة لأعبائهم. و رفضت وزارة الخارجية البريطانية المشروع مُجدّدا في عام 1909م حين أثير مرّة أخرى ووصفته بأنه " مشروع مزعج" سيزيد من متاعبها. و رقد المشروع و لم تجر مناقشته مرّة أخرى إلا مع الحرب [326] في عام 1914م. و كان رأي نائب الملك في الهند الذي ضمّنه مذكرته المؤرخة في 23 ربيع الثاني 1333/10 مارس 1915 التي حوت دراسة جيولوجية و جغرافية وتاريخية و أثنولوجية مُفصّلة شغلت عددا من الصفحات [327]. بدأ نائب الملك بقوله أن المنطقة التي تحتلها القوات البريطانية في هذا العام هي قطعة صغيرة فقط من ولاية البصرة " و علينا في نهاية الحرب المُظّفرة أن نتعامل مع هذه المنطقة كجزء من كل متكامل. هذا

الكل المتكامل هو أمر قديم يمكن أن نلاحظه فيما عرف بمقاطعة الجزيرة عند العباسيين أو العراق العربي ". و بعد أن يقدم التقرير وصفا وافيا للأرض و الأعراق التي تقطنها يخلص إلى أن ضرورة توحيد هذه المنطقة يؤكدها تواؤم سكانها، فهم تقريبا كلهم عرب إلا ما كان من أمر منطقة صغيرة بين دجلة و الحدودالعثمانية شمال جبل حامرين ووجود بعض الاقليات من الأكراد الذين يسكنون المدن في بغداد و البصرة. و بعد أن يعدد التقرير الطرق في المنطقة و اتجاهاتها و أعمال الري، و الأراضي الصالحة للإستصلاح يخلص إلى أهمية تسيير مواصلات في المنطقة و إلى ضرورة التنظيم الإداري فيها و إقامة مشروعات للري. و يرى النائب ضرورة قيام خط سكة حديد بديل لفرع برلين بغداد و ذلك لربط المناطق الخصبة القابلة للإستصلاح بالساحل على أن يسير إنشاءالخط السكة الحديد زمنيا مع سير أعمال تنظيم الري. كما يُحرّض النائب على ارسال خبراء في الملاحة لدراسة المواصلات النهرية في شطّ العرب و العمل على تنشيط الملاحة هناك. " إنه مما لا شك فيه أن من يسيطر على بغداد يسيطر على التجارة البريطانية مع فارس التي تربو قيمتها على المليون جنيه سنويا ". و يرى النائب أن من يسيطر على شطّ العرب يسيطربالتالي على أعمال الري إلى الشمال منه. كما يرى النائب أن بريطانيا بما لها من ريادة في السيطرة على البحر فإنها " إذا سيطرت على البصرة و الإسكندرونة فقد وجدت طريقها إلى الرفاهية ". و يرى النائب أن المنطقة سوف لن تفي بالعمالة التي تتطلبها لأراضي المستصلحة ". فبالرغم من أن قوّة العمالة في الشرق عامة مرنة و سهلة الانتقال، و بالرغم من أن بعض الجماعات ستفد إلى المنطقة مع استصلاح الأرض و ضبط المياه إلا أن منابع العمالة في المنطقة ليست كبيرة خاصة و أن الجماعات التي تسكن المناطق المرتفعة من آسيا الصغرى لا تحبذ الاستقرار في مناخ الجنوب غير الملائم لهم ". و لذلك أقترح عليكم اقتراحا يُرجى التفكير فيه بعمق و هو: أن نستعمر ما بين النهرين من الهند to colonise Mesopotomia from India [328]، و هنالك العديد من الأمور التي ترجح صحّة هذا الرأي و هي:

أننا يمكن أن نرسل إلى المنطقة جماعات من مناطق السند و البنجاب مؤهلين للعمل في تطوير النشاط الزراعي الذي سيجعله الري ممكنا، و نكون قد أثبنا الهند مكافأة ملموسة نظير خدماتها لنا في الحرب. و يمكن أن نجعل للهند من خلال ذلك مصلحة مباشرة في الحرب ما سيزيل بعض الكراهية التي يكنّها المسلمون الهنود. و بهذا يمكن للهنود أن يشعروا بأنهم قد شاركوا البريطانيين في اقتسام الممتلكات العثمانية. يضاف إلى ذلك اننا عندما نخلق مستعمرات هندية في ما بين النهرين فإن السبب الذي يجعل الهنود يهاجرون إلى مستعمرات الرجل الأبيض ستنتفي. و أخيرا فإن مستعمرة هندية في تلك المنطقة، و بصفة خاصة إذاكانت المستعمرة بنجابية، فإن ذلك ستساعد في تكوين قوّة الجيش اللازمة للدفاع عن المنطقة ".

ينفي نائب الملك في الهند في مذكرته أن تلاقي هذه الخطة أية مشاكل محسوسة " فذهاب الهنود إلى الحجّ يجعلهم مألوفين لدى العرب الذين يسكنون المنطقة، فإذ إذا لم يرغب العرب في امتهان الزراعة فان الهنود يجب أن يأتوا، بطبيعة الحال، للقيام بالمهمة ". و يُعدّد النائب المشكلات المحتملة و يرى أنه من الممكن التغلب عليها.و تتلخص هذه المشكلات في أن أغلب سكان هذه المنطقة من الشيعة فيما الهنود من السنة." كما يرى النائب أيضا وجود عدد من المشكلات في طبيعة المناخ و في التواصل و لغة التعامل. و يذكر النائب أنه يدرك " أن هنالك اعتراضات يمكن أن تثار بالطبع، لكن تبقى حقيقة لا تمارى رغم الإعتراضات، و هي أنه دون العمالة الأجنبية التي يجب أن تأتي من الهند، فلن يتمّ أيّ استثمار في تلك المنطقة ".

يأتي النائب إلى القسم الثاني من تقريره ليتحدث في شأن السياسة الادارية التي تحبذّها الهند لحكم منطقة ما بين النهرين. **329** ويوصى النائب القيام بذلك من خلال استقدام بعض الموظفين من الإنكليز، و تشجيع التعليم الابتدائي، و قيام قوّة شرطة ذات كفاءة يمكن أن تقوم على العنصر الكردي، و تبني النظام القضائي الحالي لما بين النهرين مع اصلاحه، و إصدار قوانين للملكية الزراعية، و الإصلاح الضريبي. و أشار النائب أنه يمكن قيام نوع من نظام البلديات تحت اشراف البريطانيين. و يرى النائب أنه " من السهل جدا حكم العرب، فهم قد اعتادوا على حكم الولاة العثمانيين و طغيانهم، و عليه يمكن أن يُساس العرب إداريا بمجموعة قليلة من الموظفين الإنكليز (الأوربيين)". و يرى النائب أنه يجب أن يحال بين الأتراك و البصرة، فلا يجب أن تُعاد إليهم البلدة في تسويات ما بعد الحرب و ذلك لأسباب أخلاقية ! فالأتراك حوّلوا بسوء حكمهم (هكذا) هذه المنطقة التي هي من أخصب البقاع في العالم إلى خلاء خاو، و حافظوا على هذا الخراب لقرون طويلة، و لم يكن لديهم الأمانة الإدارية و لم تتيسرلهم القدرة الضرورية لإصلاح هذا الخراب ". و يخلص النائب إلى أن:" القوّة التي ستؤول إليها هذه المنطقة(بريطانيا؟) ستكون مسؤولة أخلاقيا أمام الإنسانية و الحضارة للعمل في الاستصلاح و التطوير ! و ينظر النائب إلى المنطقة (موصل - بغداد - بصرة) ككل متكامل عرقا و ثقافة و أرضا، لا يستثني منها إلا كردستان بين دجلة و الحدود الفارسيةالعثمانية، و ربما كان من الأحسن: أن ننظر إلى منطقة كردستان ككل متكامل يوكل حكمه إلى أسرة كردية ". و يستطرد النائب ليذكر أن المشكلة ليست بهذه البساطة لأنه " ليست هنالك أسرة كردية مناسبة لتولي الإدارة وشؤون الحكم ". و يستعرض نائب الملك في الهند الوضع الذي يمكن أن ينشأ عند تخطيط الحدود إذا أضيفت منطقة الأكراد إلى روسيا، و يحرض على رفض هذا الاحتمال.

يستعرض نائب الملك في الهند سياسة الحكم في تلك المنطقة و يبدأ بما يقوله وكيل الكويت السياسي من أن الرأي العام العربي في المنطقة منقسم " إلى ثلاثة أقسام:

1/ هؤلاء الذين يرتاحون إلى أسلوبنا و يريدون أن يدخلوا في حمايتنا من مثل شيخ الكويت مثلا.

2/ هؤلاء الذين يرتاحون إلى أسلوبنا و يسعون إلى انشاء علاقات سياسية وثيقة بنا مع الرغبة في إدارة شؤون أنفسهم بأنفسهم و يمثل هذه الطائفة أمير نجد مثلا

3/ هؤلاء الذين لا يرتاحون إلى أسلوبنا و ليس لديهم أدنى رغبة في التعامل معنا".

يرى النائب أن القسم الثاني هو الغالب في الأوساط العربية و يضرب مثلا بعزيز المصري الذي كان يمكن له أن يتعاون مع البريطانيين " إلا أنه عبّر عن قلقه تجاه نوايانا و صرح بأنه إذا كان في سياستنا العمل على ضم الأرض فإنه سوف لن يساعدنا ". و قال النائب أن صحافة الهند المسلمة عبّرت عن هذا الرأي أيضا، و يذكر أن صرخة الجهاد المسلمة قد أصابت صدى واسعا ما يجعل دخول المسلمين تحت الإدارة السياسية لكافر أمرا متعذرا و غير وارد خاصة بعد أن أزاحوا عن كواهلهم الحكم التركي " هذا بالرغم من اعترافي فيما سبق بأن حكم العرب أمرا سهلا لتعودهم على التغيرات الفجائية و العنيفة، لكن يبقى هذا أمر نسبي ". و يرى النائب الملك في الهند أنه ليست لدى أية قوّة أوروبية، فيما عدا ألمانيا، أية إدعاءات على أرض ما بين النهرين " لكن فإن طموح روسيا كبير في امتلاك أرض، لكن فبما أن تطلعاتها لحيازتها أراض في مناطق أخرى كبيرة، فيمكن إبعادها عن هذه المنطقة بمساومتها بأراض أخرى. ومع ذلك فربما تطلب منا ضمانات للإبحار في شط العرب".

يستطرد نائب الملك في الهند ليذكر أن هنالك ثلاثة بدائل يمكن أن تحكم هذه المنطقة بواحدة منها، و البدائل هي:" **330**

أولا: خلق دولة مستقلة في المنطقة.

ثانيا: خلق دولة تحت نوع من أنواع الحماية.

ثالثا: إضافة هذه الأرض للأرض الفارسية.

ينظر النائب في الاحتمال الأول و يصل إلى أنه ليس هنالك " مادة " لتصنع دولة مستقلة للعرب. فالعرب في رأي النائب لم يظهروا أبدا أنهم قوّة متماسكة. و يرى النائب أنه ليس هنالك أية أسرة أو أي شخص جدير بأن تسند له الرئاسة في منطقة ما بين النهرين ليسوس المواطنين بالقوّة و

يجبرهم على النظام. و يذكر النائب أن شيخي المحمرة و الكويت قد نال منهما الكبر، و أن أبناءهم لا يعتمد عليهم لتولي حكم المنطقة. أما ابن سعود و شريف مكة فيفصلهما بون شاسع عن المنطقة. و يضيف النائب أن التنافس الأسري بين زعماء منطقة شمر و بين ابن سعود يمنع الهند من التفكير في ابن سعود. و ينظر النائب في أن يناط حكم المنطقة بواحد من نقباء الأشراف في البصرة و بغداد ويستبعد ذلك إذ يرى فيهما رجلي دين ليس لديهما أي نوع من النفوذ السياسي. أما صرخة العروبة المنطلقة من مصر فيرى نائب الملك في الهند فيها أضغاث أحلام و أراجيف لا معنى لها. و ينتهي النائب إلى عدم جدوى الإحتمال الأول.

و يستعرض النائب البديل الثاني و يرى في الحماية المقترحة ثلاث درجات:

أولا: " أن تقوم بريطانيا بعقد اتفاقات مع الشيوخ المحليين مثل تلك الاتفاقات التي بدأنا المفاوضات بصددها مع ابن سعود. وفي هذه الحالة يمكن أن تُمنح المنطقة الحماية ضدّ الإعتداء من قبل أية دولة أخرى. و يتعهد الشيوخ، في مقابل، هذا أن لا يكون لهم أي تعامل مع أية قوّة أجنبية أخرى، و أن لا يمنحوا أية امتيازات في أرضهم إلى أية دولة أخرى إلا بعد إشارة موافقة من الحكومة البريطانية، كما يجب أن يتعهد هؤلاء الشيوخ بحماية الطرق التجارية ". ويخلص النائب إلى أن بغداد هي المركز الرئيس لتوزيع التجارة في المنطقة، " فالبصرة كميناء ليست لها أية شخصية لولا ارتباطها ببغداد، ولولا أنها مدخل إلى منطقة ما بين النهرين.و يذكر النائب أن عقد اتفاقات مع شيوخ الداخل هو أمر يصعب ضمانه لأنه مرتبط بعمليات عسكرية في الظهير ستكون باهظة التكاليف في حد ذاتها و لن تدر عائدات تكافئ التكاليف، و ستكون القبائل تحت رحمة أية قوّة تريد أن تعبث بهم من خلفهم إذا لم يتم التدخل.

ثانيا: تأسيس دولة على نمط دول الهند الوطنية بمعنى أن يقوم شيخ من الشيوخ الوطنيين أو المستوردين و معه مقيم بريطاني له سلطات استشارية - بالحكم في هذه المنطقة. و يرى النائب أن المشاكل المحتملة في هذا البديل هي ذات المشاكل المحتملة في البديل السابق، بالاضافة إلى وجود مقيم بريطاني سيضع على عاتق الحكومة بعض المسؤوليات التي يصعب القيام بها.

ثالثا: " أن نقيم ملكا صوريا Puppet نضع إلى جانبه إدارة بريطانية ذات ثقل. لكن أين لنا أن نجد الشخصية التي تقوم بهذا الدور خاصة أننا حين ننظر إلى ما يحدث في تاريخ الحكم في مصر سنرى أن هذا النظام غير مجد كثيرا ".

يشتكشف نائب الملك في الهند جدوى البديل الثالث الذي يقضي بالحاق منطقة ما بين النهرين بالدولة الفارسية. 331 و يرى أن " الحكومة الفارسية عاجزة عن إدارة المنطقة التابعة لها أصلا، و هذا من الحقائق المؤكدة لكل ذي عينين، فكيف إذا أضيفت إلى الأرض الفارسية أراض أخرى ؟" و يجيب النائب أنه يمكن تجاوز هذه العقبة بوضع منطقة ما بين النهرين تحت السيادة الفارسية على أن تقوم الحكومة الفارسية بعد ذلك بتأجير المنطقة لبريطانيا إلى الأبد بإيجار معقول. و يرجح النائب هذا الرأي الأخير و يرى أنه جدير بالتفكير والتدبر لأنه سيبعد كل إدعاءات القوى الدولية الأخرى عن المنطقة. و يضيف النائب أن تطبيق هذا البديل لن يكون عمليا إلا بشرط واحد و هو أن يكون الإيجار البريطاني للمنطقة نهائي absolute و سرمدي perpetual، و أن لا يكون فيه من جانب بريطانيا أية تأكيدات أو أية تعهدات تعطي لفارس أي حقّ في أرض ما بين النهرين مهما كان ذلك الحقّ طفيفا (كالظل) أو أن تتدخل فارس بأيّ صورة من الصور في المنطقة المؤجرة " يجب أن يكون هذا الإبعاد لفارس تاماو ناجزا " لأن فارس في رأي النائب لو قُدّر لها أن تستمر كأمة واحدة، فإنها ستدخل بالتدريج خطوة بعد خطوة تحت سيطرة الروس. و يتساءل النائب هل سيشبع هذا الوضع المقترح خيلاء الطاووس الفارسي peacock vanity و يرى أنه سؤال جدير بالدراسة. و يذكر النائب أن هذا الوضع سيكون في كثير من جوانبه شبيه بوضع السودان بعد إعادة إحتلاله عن طريق مصر، و يرى أن وجه الخلاف الوحيد هو أن لمصر تبعات معينة في السودان ليس لفارس مثلها في ما بين النهرين، و ان امتلاك ما بين النهرين لها ليس إلا قصة من نسيج الخيال Fiction الفارسي.

يختتم النائب مذكرته بالنظر في السياسة الدفاعية فيرى أن الدفاع عن منطقة ما بين النهرين يجب أن ينطلق من قاعدته في الهند، فللهند صلة وثيقة ببلاد ما بين النهرين، و للهند اتصال وثيق حتى في مجال السياسة المحلية في المنطقة و ذلك عن طريق تعامل المقيم السياسي البريطاني في بغداد مع السلطات الحاكمة. يضاف إلى ذلك إن المسائل السياسية التي تنتظر الحلول الناجعة إداريا في منطقة ما بين النهرين في "الوقت الراهن" هي من المسائل التي يرى النائب أنها مسائل " تدرك حكومة الهند طبيعتها جيدا، و تعرف كيف تحل عقدها ". و يرجع النائب ليؤكد أن الادارة الهندية متخمة بما فيه الكفاية حتى أنها لترى في بورما " إبنا للهند من زوج آخر ". فكيف بها حين يُناط بها إدارة الدفاع عن أراض شاسعة ذات عطاء ضخم يفصلها عن الهند امتداد الخليج العربي كله طولا ؟ و أكد النائب ايضا أن إلحاق حكومة ما بين النهرين الجديدة بحكومة تابعة في الهند، أمر لا يتحمس له لأن سنوات الحرب هذه ربما تؤدي بالهند إلى تطورات دستورية ذات نتائج بعيدة مما يضرّ بكفاءة إدارة مستعمرة في بداية عهدها بالتطور الاستعماري.

ساد في الدوائر المسؤولة في لندن في عام 1917م الرأي الداعي إلى اقامة وحدة إدارية في المنطقة الخليجية بكاملها مسؤولة لحكومة لندن مباشرة، إلا أن تطور الأحداث الدولية في المرحلة التالية لم يُمكِّن هذا الرأي من الصمود. حرصت حكومة الهند أن تبعد المناطق العربية في الخليج التي دخلت تحت تبعيتها منذ أمد بأرض العراق التي خطت لها السياسة الإستعمارية خطا مغايرا لما كان يراه نائب الملك في الهند في الهند. يرى مارلو[332] أن المكتب الشرقي في القاهرة كان يفكر بمنطق إقامة دولة عربية متحدة أو دولة عربية كومفدرالية تحت الحماية البريطانية و ذلك بهدف مزاحمة، بل و طرد التطلعات الفرنسية في الليفانت بالدرجة الأولى، و للإبقاء على هذا الخط الحيوي للأمبراطورية، بينما كانت حكومة الهند تهزأ من فكرة الوحدة العربية و تخشى من تأثيرها على المشيخات العربية في الخليج، وعلى منطقة ما بين النهرين. أو بمعنى آخر، فقد درج المكتب الشرقي في القاهرة على أن ينظر إلى مشيخات الساحل المهادن ومنطقة ما بين النهرين حدا شرقيا للإمبراطورية البريطانية التي تُدار من القاهرة، بينما كان موظفو الراج ينظرون إلى المنطقة حدا غربيا للإمبراطورية البريطانية التي تُحكم من الهند.

ربما صحّ هذا الرأي أو ذاك في حالة الغياب التام للعرب في تقرير مصيرهم. و يبقى أن نشير إلى أن خبرة الهند بالأساليب السياسية للتعامل مع شؤون الخليج العربي جعلتها تتمسك بالتزاماتها السابقة في حماية سياج الأمن الهندي و تترك مسائل التعامل مع الظهير لغيرها من الدوائر البريطانية الأخرى في حكومة لندن التي هي أقدر منها على التعامل معها، فلا ضير أن أصابت خطة المكتب الشرقي قصب السبق.

الفصل الخامس

أثر الطيران و النفط في السلام البريطاني

في الخليج العربي(1918-1947م)

- العالم الجديد في مواجهة العالم –

- الطيران و دوره في تطوير السياج الأمني للهند
- العالم القديم في مواجهة الالم الجديد في الخليج العربي
- الباب المفتوح..... للأمريكيين
- بترول الخليج حتى عام 1935م
- النفط في العربية السعودية
- نفط الكويت
- إمتيازات التنقيب في قطر و الساحل العماني
- النفط و الحرب العالمية الثانية

أثر الطيران و النفط في السلام البريطاني في الخليج
1918 – 1947م

بعد الحرب العالمية الأولى بدأ الخليج العربي و كأنه بحيرة بريطانية يحكمها السلام البريطاني، و اختلطت، في بداية هذه المرحلة، في السياسة، استراتيجية أمن الهند بالاستراتيجية الامبريالية البريطانية. فلا ريب إن كان الاهتمام الهندوبريطاني بالخليج، بحره و ظهيره، اهتماما صادقا. و تميزت هذه الفترة بتغلب الاستراتيجية الامبريالية التي تُصاغ في بريطانيا وفق موازين السياسة الدولية و محاولة العمل على خدمة المصالح البريطانية في ذلك الخضم المتلاطم وليس وفق الاستراتيجية الأمنية التي لا تتعدى في اعتباراتها حدود أمن الهند. و انقضى بهذا عهد كانت فيه لندن تعمل لخدمة أهداف الراج المباشرة في الخليج العربي ليبدأ عهد آخر يعمل فيه الراج الهندي لخدمة أهداف لندن المباشرة في الخليج. بمعنى آخر، بدأ في هذه الفترة الاهتمام بالخليج العربي من أجل الهند يتقلص حتى انتهى تماما مع الحرب العالمية الثانية ليصبح الاهتمام بالخليج من أجل ذاته.

سبح الحلفاء منذ الحرب العالمية الأولى إلى النصر فوق بحر من بترول الخليج، و هذه حقيقة امبريالية جعلت الخليج مهما في ذاته.

استعمل الحلفاء الخليج العربي لنقل الامدادات في الحرب العالمية الثانية، و هذه حقيقة استراتيجية جعلت الخليج مهما في ذاته.

يفصل الخليج العربي بين ألمانيا و اليابان و لا ريب في غدا نقطة بارزة الحساسية في العصب الذي يربط الشرقين الأوسط و الأقصى، و هذه حقيقة جيو استلراتيجية تجعل الخليج مهما في ذاته.

استعملت بريطانيا الخليج العربي همزة وصل في مواصلاتها السلكية و اللاسلكية و للطيران الحربي و المدني بين بريطانيا و مصر و العراق من جهة، و بين الهند و الشرق الأقصى من جهة أخرى، و بهذه الحقيقة الباقية أصبح الخليج مهما في ذاته.

لم تكن الهند قبل هذه الفترة تهتم بظهير الخليج إلا بالشريط الهامشي لترقب من خلاله تحركات القوى الأخرى لتحبسها حتى لا تبلغ البحر. جهدت الهند في سد كل المنافذ البرية التي توصل إلى ساحل الخليج الذي تقود مياهه إلى الهند. حاربت الهند وصول الوهابيين إلى سواحل الخليج، و أوصدت الباب أمام الاباضيين من داخل عمان كيلا يبلغوا الخليج. و جابهت الهند العثمانيين لابعادهم عن مياه الخليج العربي، ووقفت تسد بالكويت كوّة أراد منها خط برلين بغداد أن يعبر إلى الخليج. غير أن الطيران أحدث بعد هذا أمرا.

لم تعد للبحر مع ظهور الطيران تلك الاهمية الاستراتيجية القديمة، إذ لم يعد هو السبيل الوحيد أو الأوحد لبلوغ الهند. و بدأ من ثمّة الاهتمام ببرالخليج الذي ما عادت استراتيجية حكومةالهند القديمة في تجاهل ما يعتمل بداخله صالحة للتعامل معه.يضاف إلى ذلك أن الطيران جعل الظهير المستعصي بشجاعة أهله و قسوة بيئته شيئا طيِّعا إلى حد بعيد إذ لم يعد في مقدور الظهير الشجاع مغالبة ما ترسله عليه السماء. و بدأ في هذه الفترة أيضا استثمار البترول و ما عادت للظهير المجدب الذي كان فقيرا قوّة مغالبة ما يدره البترول من فيئ. أضاف تطور الطيران و استثمار البترول مهام جديدة للمنطقة حين مكّن الطيران للبريطانيين من التدخل في البر، و أكد البترول وجوب التدخل فيه. و في خطاب لنائب الملك في الهند في عام 1928م جاء أنه إذا كان الخليج العربي قبل عام 1904م بحيرة مغلقة لا تقود إلى مكان فإنه قد صار الآن قناة اتصال في مواصلات الامبراطورية، و أصبح له أهمية قصوى لخدمة الطريق الجوَي، و أعطى استثمار النفط له وزنا كبيرا. و يضيف النائب أنه إذا كانت أهمية الخليج العربي للهند قبل عام 1904م تكمن في ضمان أمنهما و حفظ مساراتها خالية من الأخطار تحقيقا للأهداف الامبرالية، فإن مهمته الامبرالية قد تضاعفت الآن بالطريق الجوي و بالاستثمارات البترولية. و يرى نائب الملك أنه إذا كان لانسدون قد أعلن منذ عام 1903 م عدم موافقة الحكومة البريطانية على أن تتخذ أية قوّة لها قاعدتها أو ميناء بحري في الخليج العربي، فإن على الحكومة البريطانية الحالية أن تثبت على سياسة لانسدون تلك، وأن تضيف إليها إعلانا بعدم السماح لأيّة قوّة أن تقيم قاعدة طيران في أي منطقة يصل مدى الطيران منها إلى الخليج العربي[333].

لم يكن الطيران من أعمال حكومة الهند، و لا البترول من شؤونها، فللأول وزارته في لندن، و كان الثاني من نصيب الادميرالية رعت شؤونه حتى عام 1933م وزارة المستعمرات. غير أن حكمومة الهند وجدت نفسها تخدم هذين الجانبين وهما ليسا من مسؤولياتها. فإذا أرادت، وزارة الطيران إنشاء مطار في المنطقة كانت سلطات الراج في الخليج العربي هي قناة الأتصال بالشيوخ و الأمراء للتفاوض للحصول على الموافقة. و كانت أساليب حكومة الهند في الترغيب و الإرهاب هي الأساليب الأمثل التي يمكن ان تتحقق بها المتطلبات الطارئة. و إذا أرادت لندن استثمار بترول في أرض إمارة من الامارات كان المقيم هو الذي يصيغ تعهدات المفضية إلى الاتفاق على نمط ما درجت عليه الهند التي وقع عليها ان تمنع الشيوخ من منح امتيازات لقوى غير بريطانية، أو ربما أتى المقيم للشيخ بصيغة الامتياز المطلوب للتنقيب عن البترول و قرأ عليه النصّ الذي لا يستطيع الشيخ غالبا إلا أن يضع ختمه عليه. و إذا كان لابد من وضع حدود بين الأمصار و الإمارات الخليجية فقد درجت لندن للاستعانة بسلطات الهندالبريطانية في الخليج العربي و بوثائقها و بمكتبتها السرية. لم تلعب حكومة الهند بذاتها دورا بارزا في وضع الحدود في ظهير المنطقة إذ تمّ معظم هذا الأمر في ظل غيابها السياسي عن الخليج العربي حيث تولت وزارة المستعمرات عنها في هذه الفترة تلك المسؤولية. غير أن وزارة المستعمرات ما كان لها إلا أن تستعمل على المنطقة موظفين رضعوا الهندية بدءا بالسير بيرسي كوكس و انتهاء بأصغر الجنود الهنود الواقفين على باب كوكس. و كان دور الهند أساسيا في " توزيع" السيادة على جزر الخليج العربي بعد أن تولت المسؤولية السياسية في الخليج العربي بعد عام1933 م. و ظلت حكومة الهند منذ عام 1933م و حتى انتهاء أجلها في عام1947م تحرس الخليج نيابة عن لندن، تراقب فيه كل نشاط اقتصادي و سياسي و ثقافي للقوى الدولية الأخرى، و ترسل بملاحظاتها إلى لندن و تشير بالنصح، و تحاول أن تجعل نصحها ملزما للندن، و تنجح في غاياتها تلك في معظم الأحيان. و لم تكن حكومة الهند تراقب و تنصح و توجه انطلاقا من المصالح الهندية التي كانت تحكمها سلفا، إنما انطلاقا من المصلحة الامبريالية التي غدت تلك الحكومة الممثل لها في الخليج العربي.

أدى الطيران إلى تطور وظيفة السياج الهندي و تبديل ملامحه التي ما لبثت أن تبدلت تماما حين درّت الصحراء بترولا جذب إليه قوى دولية أخرى. و جاءت الولايات المتحدة الأميريكية إلى الخليج العربي في فترة الحرب العالمية الثانية لتنقل من خلال الخليج الامدادات إلى روسيا السوفيتية. و لم تخرج الولايات المتحدة الأمريكية من الخليج بعدئذ بل ظلت فيه خوفا على مصالحها المتزايدة من أن تنتهك من قبل روسيا السوفيتية شانها في ذلك شان حكومة الهند التي كافحت روسيا

القيصرية ومنعت وصولها إلى المياه الدافئة عبر الخليج العربي. و مع التطور الدستوري في الهند الذي أخرجها من ربقة الاستعمار البريطاني في عام1947م تولت الولايات المتحدة الأمريكية دور حكومة الهند الذي كان ممثلا في الخليج بالمقيم و مكاتبه و ما عاد ذلك يحدث إلا عن ذكرى لدولة غبرت.

الطيران و دوره في تطور وظيفة السياج الأمني للهند: -

في ربيع الأول 1337/ ديسمبر 1918 تمت أول رحلة جوية بين العراق و الهند. و استخدمت هذه الرحلة الأجواء الفارسية حيث لم تكن قبضة الحكومة الفارسية على أجوائها في جنوب فارس قويّة بعد. و في عام 1920م أصبحت فارس عضوا في ميثاق الملاحة الجوَية، و أعلنت الحكومة الفارسية" أنه يجوز لفارس عندما يكون ذلك في مقدورها تنفيذ شروط هذا الميثاق ". و كان هذا الإعلان عائقا للطيران الحربي البريطاني الذي لا يمكن له أن يطير وفق خطوط جوية ملاحية معلومة في أجواء دولة ذات سيادة. و على ذلك اتجه التفكير إلى استخدام الساحل العربي الواقع – في أعمه – تحت النفوذ أو السيطرة البريطانية. و باتت المشكلة الرئيسية التي تواجه الطيران البريطاني، حربيا كان أم مدنيا، المتجه في طريقه للهند، هي أن المسافة بين مسقط و جوادر تبلغ مئتين و ست و عشرين ميلا فوق البحر، و لم يكن الطيران وقتها يقوى على قطع هذه المسافة الطويلة دون هبوط، خاصة إذا صادفته ريح معاكسة، و عليه كان لابد من ان تعقد الحكومة البريطانية اتفاق مع فارس يبح لها الهبوط في بعض مواقع من أرضها[334].

زار مدير الطيران المدني البريطاني في خريف عام 1925م فارس، و استطاع بيرسي لورين، الوزير البريطاني في طهران، من خلال علاقته الطيبة برضا شاه أن يُعين مدير الطيران على توقيع اتفاق مع الحكومة الفارسية سمحت بوجبه فارس للطيران البريطاني أن يحلق فوق أرضها مرّة كل أسبوعين. و تعهّد البريطانيون في مقابل هذا أن يشيدوا المباني و المخازن و الإنشاءات اللازمة لمحاط الهبوط و ان يقدموها هدية لفارس نظير أقساط شهرية ميسرة. و برغم الضغط البريطاني المتواصل لإجازة هذا الاتفاق من مجلس النواب الفارسي إلا أن الحكومة تباطأت في عرضه على المجلس. و مضت بريطانيا في تنفيذ بنود الاتفاق و أخذت في إقامة المباني اللازمة غير ان الحكومة الفارسية اصدرت في ديسمبر 1926 أمرا بوقف العمل فيها، و شجبت تلك الحكومة الاتفاق المبرم. و وصل مدير الطيران المدني البريطاني إلى فارس مرّة أخرى في يناير

1927 و فاوض حكومتها مدعوما بكلايف R.Clive الذي وصل لتوّه وزيرا بريطانيا لدى طهران. ووعدت الحكومة الفارسية بالنظر مرّة أخرى في أمر التصديق لدخول الطيران البريطانية الأجواء الفارسية م. و حقيقة الأمر أن الحكومة الفارسية لم تكن جادة في الدخول في اتفاق مع الحكومة البريطانية إذ كانت تخشى توافد الفنيين البريطانيين إلى أرضها، كما كانت - من ناحية أخرى - تخشى أيضا مغبّة أن تتولى بنفسها هذه المسؤولية، فهي لا تملك الكادر الكفء للقيام بهذا العمل. و كانت الحكومة الفارسية تخشى ازدياد النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي حين تقدم له التسهيلات، كما كانت تدرك أن الطيران البريطاني لن يخدم لها هدفا[335].

توصل البريطانيون بعد جهد إلى اتفاق مع فارس سمحت الحكومة الفارسية بموجبه للطيران البريطاني أن يسلك طُرقا مرسومة عبر الأجواء الفارسية و ذلك اعتبارا من رجب 1347/ يناير 1929، و على أن لا تحط الطائرات البريطانية في ارض فارس إلا في مطارين محدّدين هما الجاسك و بوشهر، كما سمحت لهم أيضا بمطار للهبوط الاضطراري في لنجة. و نصّ الاتفاق بين الطرفين على أن تتولى فارس كل ما يتصل بتشغيل هذا الطريق الجوي، على أن يُعاد النظر في هذا الاتفاق بعد ثلاثة سنين، خاصة فيما يتصل بتشغيل خطوط جوية جديدة. و ضمّ الاتفاق مجموعة استثناءات ما جعل الحكومة البريطانية غير راضية عنها.

أما الساحل الغربي للخليج، فبالرغم من الصعوبات الأمنية التي تجابه الطيران و منشآته من قبائل المنطقة، و برغم صهوبة الطيران المتصل بين مسقط و جوادر فوق البحر، فقد عمل البريطانيون على إرساء قواعد طيرانهم فيه. يخلو هذا الساحل من المشكلات السياسية التي تكتنف الساحل الشرقي.عمل البريطانيون أن يؤسسوا محاط هبوط في الساحل العربي على مسافات يفصلها عن بعضها البعض مسافة مئتي ميلا، و محاط أخرى للهبوط الاضطراري لا يفصلها عن بعضها سوى ثلاثين إلى خمسين ميلا، كما عملوا على تزويد بعض هذه المحاط بخزانات وقود [336].

تمكن سلاح الجوّ الملكي البريطاني من إقامة محطة هبوط في عام 1920م خارج مدينة الكويت. و قام في هذا العام أيضا هذا السلاح بالقاء منشورات من الجوّ على معسكرات الأخوان النجديين يحذّرهم فيها من الهجوم على الكويت. و أحدثت المنشورات المتناثرة من الجوّ فعلها على الاخوان، فلا ريب إذا أن رحّب شيخ الكويت بالتعاون مع هذا السلاح. و حدث أن اضطرت أحدى طائرات هذا السلاح التي كانت في رحلة للبحرين في عام 1924م أن تهبط هبوطا اضطراريا في الكويت فأرسل الشيخ سيارته و بعض أتباعه للمساعدة والدعم. و في عام 1928م استنجد شيخ

الكويت بهذا السلاح ضدّ الاخوان النجديين الذين هدّدوا بالهجوم على الكويت مجددا. و أرسلت سلطات العراق الجوية بعض طائراتها و بعض العربات المصفحة التابعة لسلاح الجوّ البريطاني إلى الكويت، فأبطلت هذه الإجراءات هجوم الاخوان.

أما في الاحساء فقد تأخر إجراء المسح الاستطلاعي نتيجة لصعوبة الحصول على إذن بذلك من ابن سعود. أراد البريطانيون إقامة مركز وقود لتموين الطائرات في رأس الصفانية، كما أرادوا أن يشيدوا في الاحساء محطتين للهبوط الاضطراري. و اتصل البريطانيون في عام 1927م بابن سعود في هذا الشأن بواسطة جلبرت كليتون. و طلب ابن سعود معلومات أوفى زوّدوه بها عن طريق القنصلية البريطانية في جدّة. ووعد ابن سعود بارسال مندوب إلى الاحساء لينظر في الأمر على ضوء الظروف المحلية السائدة. و اعتذر ابن سعود بعد ذلك بعدم موافقته على المسح الاستطلاعي في الاحساء بأن قبائل الاحساء الحريصة على الاستقلال قد أثار هواجسها ما رأوه من نقاط عسكرية حربية بريطانية في جنوب العراق، فهم لا يريدونها فوق ارضهم. و كان الرأي أن يثير مقيم الخليج العربي الأمر مع ابن سعود مرّة أخرى حين يزوره في جماد الأول 1346 /نوفمبر 1927 لكن هجوم الاخوان على نقطة شرطة عراقية [337] على الحدود ألغى الزيارة المزمعة. غير أن البريطانيين تمكنوا من التغلب على هذه المسألة في عام 1928م.

لم تبدأ الرحلات الجوية إلى البحرين إلا في عام 1924م.أشترت فارس في هذا العام بعض الطائرات. و أثار هذا الأمر مخاوف الرأي العام في البحرين فأرسلت الحكومة البريطانية سربا من طائراتها الحربية للاستعراض فوق الجزيرة و إظهار هيمنة العلم البريطاني على الجوّ ليطمئن الرأي العام.وقد وصلت هذه الطائرات البريطانية إلى البحرين في شوال 1342/مايو 1924 بعد أن سبقها فريق من المساحين جهّزوا لها أرض الهبوط. و لاقت الطائرات الحربية البريطانية حين نزلت في البحرين استقبالا وُصف بأنه كان رائعا. و اعتلى الشيخ صهوة إحدى هذه الطائرات أخذته في رحلة فوق الجزيرة.و لم يقم هذا السلاح برحلات أخرى إلى البحرين إلا في عام 1927 م حيث قام في ذلك العام برحلتين من العراق.هبطت الرحلة الأولى في الاحساء بإذن من الشيخ عبد الرحمن القيسي، الذي عرّف نفسه بأنه أحد مستشاري ابن سعود، و لم يكن الرجل في الحقيقة صادقا. أما الرحلة الثانية فقد عبّرت مثلها مثل الرحلة السابقة في عام1934 م، من الكويت إلى البحرين بمحاذاة سواحل الاحساء.

قامت في مارس 1927 بعثة استطلاع من سلاح الجوّ البريطاني لإجراء مسح استطلاعي في الساحل العماني. وجد الفريق رفضا مطلقا من الشيوخ الحريصين على استقلالهم الداخلي " بالرغم من أنهم في أبوظبي و الباطنة يدركون أنهم كانوا تحت رحمة أي عمل يمكن أن نقوم به من البحر ". أما سلطان مسقط فقد رحّب بالطيران البريطاني فيما عارضه شيوخ الداخل العماني. أعترض شيخ البريمي على بعثة المسح الاستطلاعي و طردها من أرضه محتجّا أبن الأرض تابعة لابن سعود، وعليهم أن يأتوه بإذن منه. و لم تنجح محاولات الوزير البريطاني في طهران الذي كان يرافق بعثة المسح في إثناء شيخ البريمي عن عزمه فاضطرت البعثة أن تفارقه في اتجاه الشمال إلى الشارقة. واعترض شيخ قطر، من جانبه كذلك، على تشييد محطة هبوط في أرضه " واعتذر بأن اتباع ابن سعود كثيرا ما يقصدون مينائه، و ربما سببوا له القلاقل. غير أنه أشار إلى أن هذه القلاقل قد يمكن تلافيها ببذل بعض المال لهم " [338].

استطاعت حكومة الهند أن تكسر مقاومة شيوخ الساحل المهادن و تتغلب على خشيتهم من نتائج الطيران على استقلال مناطقهم. وتمكن الطيران البريطاني من أن يقيم له عدة انشاءات في الشارقة و كلبا في ساحل عمان، كما كان قد حاز سلفا على محطة هبوط اضطراري في جزيرة ياس، و محطة أخرى لسلاح الجوّ الملكي في أبوظبي.

أعطى الطيران للكويت وظيفة اتصالية لربط لندن بالشرق، و تغيرت وظيفتها الانفصالية التي كانت لها في الاستراتيجية الهندية في الفترة السابقة حين استخدمت حاجزا لمنع القوى الدولية غير البريطانية من الاتصال عبرها بالشرق. ففي اجتماع جرى في لندن في21 جمادى الثانية 1352/ 11 اكتوبر 1933 لبحث أمر العلاقة البريطانية الكويتية ساد الرأي بأن الكويت ليست هي المنطقة التي تستطيع أن تقف بذاتها كيانا اقتصاديا أو سياسيا، و أن قدرها هو الاعتماد على قوّة أخرى. [339]و ظهر في الاجتماع الرأي الذي رسّخته حكومة الهند من أن على الحكومة البريطانية أن تعارض ذوبان الكويت في أي من جيرانها لما لها من أهمية جيواستراتيجية. و خلص هذا الاجتماع الذي ضمّ ممثلين عن وزارتي الخارجية البريطانية الهند، بالاضافة إلى فاولي Fowle، مقيم الخليج، إلى أن أهمية الكويت الجيواستراتيجية قد زادت عما كان عليه الأمر سابقا، " بل أن أهميتها أصبحت تفوق أهميتها عندما ظهرت كنهاية لطريق بغداد، و ما ذلك إلا لتطور الطريق الجوي للهند و أستراليا. لقد جعل تطورالطيران للخليج أهمية امبريالية من وجهة نظر سلطات الطيران البريطاني لا تقل عن الأهمية التي تضعها الأدميرالية البريطانية لقناة السويس ". و خلص الاجتماع

إلى أنه نظرا لنهاية الانتداب البريطاني على العراق، و نظرا لعدم وضوح الرؤيا في العلاقات البريطانية العراقية، فقد أصبح للكويت وضع جيو سياسي خاص. " ففي كل الفترة التي كنا نسيطر فيها على العراق لم يكن للكويت أهمية تذكر لكننا ظللنا نحتفظ بها في قاع الجراب. و مع استقلال العراق ظهرت الأهمية الكبيرة للكويت. فالكويت من الناحية الجيوستراتيجية، بموقعها المسيطر على أعالي الخليج، يمكن جرّها إلى جانبنا في حالة الحرب لتصبح مركزا للعمليات. كما نجد أيضا أنه مع تطور استخدام الطيران على خط الساحل الغربي من الخليج تبرز الكويت كأهم محطة من محطات هذا الطريق [340]، خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أنه إذا ساءت علاقاتنا بالعراق فلن نستطيع استعمال المطارات العراقية ". أما المقيم فاولي فقد رأى أنه بالنسبة لما هو حادث في فلسطين، فيمكن أن يحتاج الطيران في يوم ما أن يطير من فلسطين مباشرة إلى الكويت ويتجنب الهبوط في أي مطار من مطارات العراق. ووافق ممثل وزارة الخارجية على رأى المقيم في الخليج لكنه لفت النظر إلى وضع الكويت الجيو بولتيكي، فهي ليست بالبلد المستقل استقلالا طبيعيا، لا من وجهة النظر الجغرافية و لا من وجهة النظر الاقتصادية. " فالكويت عبر تاريخها ميناء لا ظهير له يعتمد على التجارة التي تمر عبره إلى السعودية و العراق. أما و قد قامت الحدود بين الكويت و السعودية ووبين الكويت و العراق، و تمّ إنشاء ميناء رأس تنورة السعودي الذي تشرف عليه شركة الزيت الأمريكية، فقد أصبح وضع الكويت حرجا. و زاد في حرج الموقف أن مصادر مياه الكويت ليست في أرضه إذ تعتمد في هذه المادة الحيوية على العراق ". و تنبأ راندل، ممثل وزارة الخارجية، بأن السعودية و العراق سيمارسان ضغطا على الكويت، و سيزداد تنافس هذين البلدين في تلك المنطقة. و ربما ينتهي هذا التنافس في صالح العراق في حال إذا ما تفكّكت المملكة العربية السعودية. و اقترح راندل تشديد القبضة البريطانية على الكويت لئلا تصير لغير بريطانيا لما للكويت من ميزات استراتيجية للطريق الجوي. و نصح راندل بالنظر في الاقتراحات الداعية إلى تحويل الاتفاق الحالي الذي يربط الكويت ببريطانيا إلى نوع من أنواع الحماية الصريحة. أما مندوب وزارة الهند فقد رأى أن الحماية الصريحة تمثل مشكلة لما ينجم عنها من تبعات سياسية و لكن يمكن أن تكون هنالك حماية مستترة دون الاعلان عنها رسميا. و نبّه مندوب وزارة الهند إلى أن رباط التعهد الذي يجمع بين بريطانيا و الكويت أضعف قوّة من التعهدات الأخرى التي تشدّ مشيخات عربية أخرى في الخليج العربي إلى بريطانيا. فالكويت، على سبيل المثال، لم توقع اتفاقا لمحاربة تجارة الرقيق. و عاد هذا المندوب لينصح بتشديد القبضة البريطانية على الكويت و ذلك من خلال ملء الثغرات في الاتفاقات الموقعة سابقا و تضمين الاتفاقات في التعهدات السابقة. و أشار هذا المندوب إلى أن

التسهيلات التي يمكن أن يحصل عليها الطيران البريطاني في الكويت، بحسب منطوق التعهدات المنتظرة، يمكن أن يجعل الجوّ الكويتي، وكل مايتصل به، مدنيا كان ذلك أم عسكريا، في أيدي البريطانيين. و أشار مندوب وزارة الهند كذلك إلى الأمر المجلسي الذي سيصدر بشأن الكويت الذي سيتمكن البريطانيون بعده من تولي شؤون القضاء فيهاعلى كل الاجانب غير المسلمين فيها سيساعد على تحقيق هذا الهدف. ووافق المقيم فاولي على ما ذكره مندوب وزارة الهند مضيفا بان شيخ الكويت سيرفض قبول الحماية المعلنة، و أكد فاولي على اقتراح تشديد القبضة البريطانية على الكويت من خلال التعهدات االسابقة و اللاحقة. و استعرض الاجتماع بعدهذا شؤون النفط في الكويت و تطرّق الاجتماع بعد ذلك لمناقشة ما يتصل بالبحرين.

استطاعت حكومة الهند و سلطاتها في الخليج العربي أن تثبت لنفسها بالطيران على الساحل الذي ظل سياجا للأمن الهندي حتى منتصف الثلاثينيات من هذا القرن [341] قبل أن تتغير وظيفته بظهور البترول ثم تنتهي تماما باستقلال شبه القارة الهندية. و استطاعت الحكومة البريطانية من خلال اتفاقات الطيران التي عقدتها مع شيوخ الساحل العربي، مختارين أو مرغمين، و من خلال محطات الهبوط التي أقامتها، و ما استلزم ذلك من حماية هذه المحطات من قبل الشيوخ في الظروف العادية، و من قبل بريطانيا في أوقات الطوارئ، أن تؤثل لنفسها في هذا السياج، و أن تفرض الهيبة البريطانية، وأن تصل بالطيران إلى أعماق هذا السياج، وأن تُلقي بمنشوراتها تحذر و تنذر حين تستدعي الحاجة القيام بمثل هذا الاجراء. كما جعل الطيران و استثمار البترول تخطيط الحدود فوق الرمال العربية أمرا ضروريا. جاء في خطاب لوزارة الهند في سبتمبر 1934 أنه قد حان الوقت (حتى في الجزيرة العربية) الذي يجب أن تنتهي فيه الحدود " الشخصية " لتبدأ عنده الحدود " الوطنية ". إن صيغة الحدود الشخصية لم تعد ممكنة التطبيق سياسيا و ذلك بفضل ما أحدثه الطيران من تغيير، و بفضل ما أحدثه أيضا استثمار النفط و المعادن. و دعا الخطاب أن تُقام الحدود(السياسية) الجغرافية في جنوب شرقي الجزيرة العربية حتى في الأماكن الخالية من السكان، لتحديد مناطق النفوذ. و أشار الخطاب إلى أن عمق الحدود في الظهير و مقدار مسافتها من البحر ستتحكم فيها اعتبارات عديدة أهمها الاعتبارات الخاصة بسلاح الطيران. و يتعرض هذا الخطاب لمناقشة رأي سلاح الطيران من وجوب اقامة الحدود في الأرض العربية بصورة قطعية مع الوضع في الاعتبار أن تكون هنالك مناطق بينية لا سيادة عليها لأحد No mans land حتى تستطيع طائرات سلاح الجوّ أن تجرى منها طلعاتها الجوية دون أن تلقى اعتراضا من احد. و أكد خطاب وزارة الهند على ضرورة أن توغل الحدود " الصناعية " الجديدة في الصحراء من الناحية

التي تلي الخليج العربي في اتجاه الداخل و ذلك حتى يتمكن الطيران من أداء دوره في مسح المنطقة دون أن يخترق أرض ابن سعود[342].

عارضت حكومة الهند في هذه الفترة الباكرة من عمر انطلاق الطيران وجود طيران غير بريطاني في المنطقة. و نجد أثر هذا في خطاب أرسلته وزارة الهند إلى وزارة الخارجية البريطانية في17 رجب 1357/ 12 سبتمبر 1938 جاء منه[343]:" أنه من سياستنا و لسنوات طويلة مضت أن لا نشجع الطيران المدني على السواحل العربية للخليج." و لتحقيق هذا الهدف استطاعت حكومة الهند أن تحصل على تعهد من شيخ البحرين بتاريخ 12 اغسطس 1933، وعلى تعهد آخر من شيخ الكويت [344] في 29ديسمبر 1933 أبديا فيهما صراحة معارضتهما لاستعمال أجواء المناطق التابعة لهما لأيّ طيران أجنبي غير بريطاني.

كتبت في الأول من شوال 1355/ 15 ديسمبر1936 وزارة الخارجية [345] إلى وزارة الهند بأن المدعوة اير هارت Earhart، الأمريكية الأصل، تزمع أن تطير إلى الهند، و ستنزل بطائرتها في بعض مناطق مسقط. و يضيف خطاب وزارة الخارجية أنه يمكن لوزارة الخارجية، بعد موافقة المقيم في الخليج، أن تخطر سفير الولايات المتحدة بلندن بأنه من غير المسموح به أن يقوم أيّ طيران أجنبي بالتحليق في مناطق مسقط و المناطق العربية الأخرى دون الحصول على إذن مسبق من سلطان مسقط، و أن وزارة الخارجية البريطانية تعرف تماما أنه ليس ثمّة أمل في ان يصدر سلطان مسقط موافقته على هذه الرحلة. ووافق المقيم بالطبع على اقتراح الخارجية.

حركت هذه الحادثة سلطات الخليج البريطانية لتحاول الحصول على تعهد من سلطان مسقط شبيه بتعهدات شيخي الكويت و البحرين في هذا الصدد. [346]و رفض السلطان أن يقدم التعهد المطلوب إلا إذا وافقت الحكومة البريطانية على أن " يستثني السلطان بعض الأقطار التي لا يعترض على السماح لطيرانها في أجواء بلاده. و" لذلك تركنا هذا الموضوع، مع كامل معرفتنا بأن سموه سيرفض الإذن بالتحليق للطيران الأجنبي في معظم الحالات "[347].

خاطبت وزارة الخارجية البريطانية وزارة الهند في8رجب 1357/ 3 سبتمبر 1938 بأنها تلقّت في 28 يوليو خطابا من سفارتها في الاسكندرية يشيرأن حسن أنيس باشا يزمع القيام برحلة جوية حول الجزيرة العربية. [348]و تفيد هذه الرسالة بأن حسن أنيس " يعتبر، من حيث أهميته الشخصية الثالثة عشر في مصر، لكنه" ليس من رجالنا جدا و ذلك نظرا لارتباطاته المشبوهة مع

هيئة الطيران الوطني N.F.C. و هي شركة يقوم بها حسن أنيس بالاشتراك مع النبيل عباس حلمي.و ربما كان لهذه الشركة ارتباطات معينة مع ألمانيا. كما يُخشى من قيام هذه الشركة لما قد يسببه من مضايقة لشركة مصر للأعمال الجوية Misr Airwark. و اقترحت وزارة الهند أن يُرد على هذه الرسالة " بأن تقوم السفارة في مصر بإخطار وزير الخارجية المصري، بصورة عامة، أنه نسبة لرغبة الحكام العرب من عدم السماح للسفريات الجوية الخاصة من أن تنزل في أراضيهم فإنه لا يمكن إصدار إذن بالرحلة التي يزمع أنيس باشا القيام بها في المنطقة التي تشمل مناطق تقع حول الخليج. و إذا رأيتم أن نرسل لكم رفضا مُحدّدا بخط السلطان فيمكن أن نرسل للسلطات السياسية في الخليج لكي تُحدِّث سموه في هذا الشأن ".

تمثل نهاية الثلاثينات و بداية الأربعينات من القرن العشرين تضخم شكل القوّة البريطانية في الساحل العربي للخليج العربي و ذلك لأن بريطانيا كانت قد فرغت في هذه الفترة من إحكام قيد المنطقة بمختلف التعهدات و الأساليب التي فرضتها على السياج الأمني للهند. و غير أن هذا التضخم، رغم حقيقة وجوده، كان – في تقديرنا -انتفاخا غذّته أنفاس قوى الاستعمار الهندي في الخليج العربي أكثر من كونه حقيقة تمثل الواقع. لم تعد بريطانيا، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، عظمى كما كانت تُوصف سابقا. رسمت شبه القارة الهندية دربها المؤدي إلى الاستقلال، و ما عاد للخليج العربي دوريُؤدّى في خدمة سياج الأمن الهندي. تغيرت طبيعة هذا السياج بعد استثمار بترول البحرين، و بترول الاحساء، و انقلبت استراتيجية الأمن العسكري للهند إلى استراتيجية أمن طاقة ما سُمى بالعالم الحُر. و لم تكن بريطانيا، برغم مغالاه سلطات الهند في الخليج، بما تعاني من مشاكل خارجية و داخلية، تستطيع أن تقوم بدور الجندي في الخليج العربي لحراسة طاقة العالم الغربي، كما لم يعد في مقدورها مجابهة الشيوعية العالمية المنطلقة من الاتحاد السوفيتي، و وقف تزايد المد القومي القوي في فارس و الخافت في المنطقة العربية. و كان من الطبيعي أن تتولى الولايات المتحدة الأمريكية هذا الدور الذي ورثته فعلا عن حكومة الهند في الخليج العربي رغم أن الوجود البريطاني استمر بعد حكومة الهند لفترة، اكتشف بعدها حقيقة أمره، فوضع هراوته الغليظة على كتفه و رحل.

العالم الجديد في مواجهة العالم القديم في الخليج العربي:

كتب جوزيف شمبرلين، وزير المستعمرات، لرئيس الوزراء سالسبري في عام 1896م بأنه ناقش مع أصدقائه الأمريكيين فكرة " أن نأتي بالعالم الجديد لإصلاح العالم القديم. و أقصد بذلك

التعامل الأمريكي بصورة مباشرة مع الأتراك ". أحال سالسبري خطاب شمبرلين إلى آثر بلفور، زعيم الأغلبية في مجلس العموم، مُعلقا عليه " لقد قرأت هذا الخطاب بانقباض عظيم. و أعتقد أن أكثر المعتوهين بلاهة لن يقدم اقتراحا يتسم بالجنون أكثر من ما ورد في هذا. إني أخشى أن تكون السيدة شمبرلين قد زجّت بنفسها بدهاء في الشؤون السياسية ". غير أن بلفور نفسه كان له في الأمريكيين أصدقاء، و صديقات أيضا.و كتب بلفور في نهاية عام 1895 م(قبل أن يكتب شمبرلين) يرد على ما جاء في مذكرة كلايفنلاند من أن مشاكل الحدود في أمريكا الجنوبية قد تقود إلى حرب مع إنكلترى بأنه: " من المستحيل أن تكون هنالك حروب بين الناطقين بالانكليزية "[349].

لا مراء أن الوضع في نهاية القرن التاسع عشر، الذي كان في حقيقته قرنا انكليزيا بامتياز، كان يإذن بأفول نجم الامبراطورية البريطانية و بزوغ نجم دولة الولايات المتحدة الأمريكية. و استشعر شمبرلين هذه الحقيقة في ذلك الوقت و غمطها كثير من الساسة الانكليز حتى كانت الحرب العالمية الأولى. دفعت أمريكا في هذه الحرب مالا و عتادا و رجالا و انتظرت قسمتهافي الغنيمة خاصة في نفط الشرق. كان الأسطول الأمريكي قد تحوّل إلى العمل بالنفط و كانت حاجته من النفط تساوي حاجة الأسطولين البريطاني و الياباني مجتمعيّن[350]، و لا سبيل لنا للخوض في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية و النفط الأجنبي إلا في إشارات عابرة تتصل بالتاريخ العام لمنطقة الخليج العربي. تطلعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1906 م إلى استثمار البترول خارج حدود أرضها خشية من نضوب ا حتناطي الدولة من الطاقة. و تطلعت الأنظار الأمريكية إلى الشرق و منطقة الخليج العربي بصفة خاصة منذ عام1920م حين أعلن فارش W.S.Farish، رئيس شركة ستاندار أويل اوف نيوجيرسي، أن بترول تكساس و اوكلاهوما في طريقه إلى النضوب و أن على امريكا ان تجد لها مصادر أخرى. و أيّد المساح الجيولوجي ديفيد وايت White هذا الرأي مؤكدا بأن النفط الأمريكي لن يفي بالاحتتاجات القومية لأكثر من الثمانية عشر عاما التالية. و لهذا بدأت وزارة الأسطول الأمريكي تهتم اهتماما مباشرا بنفط ما وراء الحدود لتضمن تسيير أسطولها[351].

من عجب ان ينفي بعض المؤرخين العرب المستغربين أو المترجمين بلا وعي من المصادر الأجنبية اهتمام حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى ببترول الشرق الأوسط و يذكرون أنه اهتمام جاءلاحقا لاهتمام الشركات الأمريكية، و هذا قول مغلوط. جاءت الحكومة الأمريكية يدا بيد مع الشركات الأمريكية و لم تأت بعدها. جاء الاستعمار البريطاني

في ثياب الشركة الإنكليزية و جاء النفوذ الأمريكي إلى الشرق متغلغلا في دثار الشركات أيضا، و ربما اختلف الأسلوب. خلقت الحرب العالمية الأولى في القوى الكبرى وعيا نفطيا و خشيت الولايات المتحدة الأمريكية من أن يقع احتياطي البترول التي تتطلع إلى استثماره في العالم تحت أيدى انكليزية. و قد حذّر السناتور هنري كابوت لودج من هذا منذ3 شعبان 1339/ 12 ابريل 1921. [352]

كتب جون باستت مور، المستشار القانوني لشركة ستاندر أويل أف نيوجيرسي، ينبه إلى أن فرنسا و إنكلترى متفقتان على استبعاد الولايات المتحدة الأمريكية عن أن يكون لها حصّة في بترول الشرق الأوسط. و تعجلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، منذ دخولها الحرب و قبل قيام مؤتمرات السلام، استثمار نفط المنطقة العربية. احتجّ السفير الأمريكي في لندن لدى حكومتها بخصوص عدم السماح لمواطنى الولايات المتحدة الأمريكية من أن يفدوا منطقة الشرق الأوسط ليصيبوا فيها الامتيازات و العمل على استمار نفطها [353]. و أجاب كيرزن، وزير الخارجية البريطاني (1919-1924م) في نوفمبر 1919 على احتجاج السفير الأمريكي يستمهله و يؤكد منع المواطنين الأمريكيين عن زيارة الشرق الأوسط للحصول على امتيازات و ذلك بدعوى أن الشخصية المؤقتة للاحتلال العسكري لا تسمح للسلطات المحلية بأن تصدر قرارات تتعلق بمستقبل الاقتصاد في المنطقة و لا بطبيعة الاستثمارات فيها. و يمضي خطاب الوزير كيرزن ليضيف بأن اندفاع الشركات للحصول على استثمارات لا يتسق و طبيعة الاحتلال العسكري.

استمر الجدل في هذا الموضوع بين حكومتى لندن وواشنطن طويلا ممتدا يخرج عن موضوعنا. و يكفي أن نشير إلى معارضة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية للاتفاق الخاص بالبترول الذي تمّ بين فرنسا و إنكلترى في يومي 25، 26 ابريل ضمن اتفاقات مؤتمر سانت ريمو (19-26 ابريل) و الذي قضى بقسمة بترول المنطقة بينهما بشكل أو بآخر. أعرب السفير الأمريكي، بناء على أوامر من حكومته، عن اعتقاد حكومته أن بريطانيا قد عمدت إلى تشجيع مصالحها النفطية في المنطقة و لم تعمل على مدّ هذا التشجيع ليشمل الشركات الأمريكية. و اتهم السفير بريطانيا بأنها قامت في فترة الحرب بتطوير صناعة النفط و تشغيل بعض آباره في المنطقة. و فسرّت بريطانيا في ردها على هذا الاتهام بأن ذلك كان لضرورة حربية استراتيجية. و يمضي السفير ليضيف بأن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لها من حسن النوايا قدرا يجعلها تثق بأن حكومة بريطانيا ستمضي في تنفيذ التأكيدات التي صدرت في فترة سابقة عن وزير خارجيتها في أن طبيعة سلطة

الاحتلال لا تبيح للقوّة المحتلة اتخاذ قرارات اقتصادية في الشؤون الاقتصادية المتعلقة بمستقبل المنطقة. و طالبت مذكرة السفير الأمريكي الحكومة البريطانية بأن تضمن لمواطنى و رعايا جميع الأمم معاملة متساوية، واقعا و قانونا، للمعاملة و الضمانات التي تُمنح لمواطنى و رعايا الدول المنتدبة. و تعتقد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن لها الحقّ في التداول في كل الأمور التي تدور حول الامتيازات الممنوحة سابقا من قبل الدولةالعثمانية. " ان هذا الحقّ الذي تنادي به الحكومة الأمريكية لا يدعوإلى تطبيق الحقوق المتساوية للمواطنين الأمريكيين مع الآخرين فقط إنما ينطلق من ضرورة تطبيق المبادئ العامة التي تهمّ الحكومة الأمريكية أيضا. إننا نعتقد أن مصالح العالم بصفة عامة، و مصالح الدولتين بصفة خاصة، يخدمها التعاون المشترك، أو التنافس الذي تشوبه روح الصداقة بين مواطني القطرين كليهما و مواطنى الجنسيات الأخرى كذلك ".

الباب مفتوح..... للأمريكيين: -

في28ربيع الأول 1342/ 8 نوفمبر 1923 كتب الوزير هجس Huges إلى الرئيس الأمريكي كوليردج[354] " بأننا مستعدون لمساندة مواطنينا بكل الدعم في سعيهم وراء فرص التعامل مع العالم الخارجي إلا أننا لا نتعهد بجعل الحكومة طرفا في المفاوضات التي تقود إلى هذا التعامل أو أن نبذل أي ضغط سياسي لنوصل به هذه الشركات إلى أهدافها الخاصة. إننا مصرون على سياسة الباب المفتوح التي هي المساواة في إتاحة الفرص التجارية، إلا أنه ليس في نيتنا أن يعود هذا بارتباطات معينة تقع على عاتق الحكومة.. إ في العديد من أصقاع العالم يرحب الناس بالمصالح الأمريكية بصورة خاصة لأنهم يدركون أنه يمكن التعامل مع الأمريكان دون الخوف من التعقيدات السياسية ".

إن مبدأ الباب المفتوح مبدأ قديم في سياسة الاستثمار الرأسمالي لا جديد فيه إلا اسمه. و هو مبدأ في السياسة الأمريكية و يعني بالتحديد عدم مساندة شركة أمريكية بعينها دون شركة أخرى لحيازة كسب معين. و حركت وزارة التجارة الأمريكية نيابة عن شركات النفط وزارة الخارجية الأمريكية للمطالبة بسياسة الباب المفتوح للضغط على الحكومة البريطانية كي لا تساند تلك الحكومة شركة بعينها باعتبار جنسيتها أو هويتها. و لما لم يكن للشركات النفطية الأمريكية وجود في المنطقة يمكن أن نقول أن سياسة الباب المفتوح الأمريكية هدفت إلى أن تفتح بريطانيا باب مناطق نفوذها لتدخل منه الشركات الأمريكية. أما ما جاء من أن الحكومة الأمريكية لا تتدخل في الشؤون السياسية

للدول المضيفة لشركاتها، فذلك بالرغم من أنه كان أمرا مؤقتا جدا، إلا أنه لا يعني أكثر من أنه اختلاف منهجي في أسلوب التعامل، إذ فتحت الولايات المتحدة الأمريكية الباب أمام شركاتها في المنطقة لكنها لم تحملها إلى هناك على الأساطيل أو الطائرات المقاتلة. حافظت الولايات المتحدة الأمريكية على مبدأ الباب المفتوح حتى أصابت به شركاتها حصّة في بترول الموصل، و انتهت هذه السياسة حالا ما ان بلغت اربها حين أغلقها الخط الأحمر المرسوم في 31 يوليو 1928. قضى الخط الأحمر بأن يعمل المساهمون في شركة الزيت التركية (مجموعة الشركات الأمريكية و الانجليزية و الفرنسية) بشكل جماعي في المسائل التي تتصل باستكشاف و إنتاج النفط في المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانية المباشرة و التي حُددت بموجب الخط الأحمر [355]، و بهذا انتهت تلك السياسة الأمريكية المرحلية غير الأصيلة سياسة الباب المفتوح للأمريكيين.

بترول الخليج حتى عام 1935م:

بدأت المحاولات الأولى لاستكشاف النفط في فارس منذ عام 1872م حين أعطى الشاه نصر الدين امتيازا لدى رويتر للتنقيب عن المعادن بما في ذلك البترول لمدة خمسة و سبعين عاما، و ألغى الامتياز بعد ذلك. و في عام 1901 م أعطى مظفر الدين امتيازا للتنقيب عن البترول في بعض مديريات فارس إلى وليام دارسي مدّته ستين سنة. و بدأ دارسي في عام 1906 م يعمل في مقاطعة خورستان بعد أن كوّن شركة نفط البختياري[356]. و في 24 ربيع الثاني 1326/26 مايو 1908 أصابت الشركة أكبر حقول البترول في العالم [357]. و بدأ البريطانيون يفاوضون الشيخ خزعل خان، الحاكم العربي للمنطقة، في أمر تشييد أنابيب النفط عبر أرضه إلى المياه العميقة في شط العرب. و تمّ لهم هذا بالطبع، و أمكن تشييد مصفاة النفط في عبدان في عام 1913م.

و في 17 يونيو اشترت الحكومة البريطانية 51% من أسهم شركة النفط الانجلوفارسية. و كان من رأي وزارة الخارجية البريطانية التي أثبتته منذ 30جمادى الأولى 1336/14 مارس 1918 أن أمر النفط هو من الأمور التي لا يمكن معالجتها على اعتبار انها استثمار اقتصادي خالص، ولكن يجب أن ينظر إليه باعتباره مسؤولية قومية لا تعترف بانصاف الحلول، و لا تُعالج بالعمل المتسرع دون رؤية و تدبر [358]. و قضت المسؤولية القومية و الروية و التدبر من البريطانيين و سلطات الخليج أن تضطر إلى فتح بابها بقدر لتدخل منه الشركات الأمريكية.

ترتبط امتيازات بترول الخليج العربي في العشرينات بالمدعو هولمز. اكتفت الشركات الأمريكية بالمساهمة مع الشركات البريطانية و الفرنسية من خلال الخط الأحمر و لم تتعداه حتى جرّها هولمز، مندوب شركة ايسترن اندجنرال سندكيت (E.G.S. LTD) و هي شركة جعلت همّها الحصول على امتيازات من الشيوخ لبيعها لشركات النفط العالمية[359].

دلف هولمز إلى السعودية في شتاءعام 1922م في الوقت الذي كان كوكس يقوم بمفاوضات العقير لرسم الحدود بين السعودية و الكويت. و حصل هولمز على امتياز الاحساء في مايو 1923 مدّته سنتان قابلة للتجديد. واحتجّت شركة النفط الانجلوفارسية لوزارة المستعمرات البريطانية على منح ابن سعود لهذا الامتياز باعتبار ان ابن سعود هو الوريث للدولة العثمانية, و عليه يجب أن يلتزم بحقّ الشركة الذي نالته في تلك المناطق بموجب امتياز سابق من سلطات البصرة في عام 1913 م للتنقيب عن النفط في الاحساء. و أرسلت الشركة أرنولد ويلسون ليفاوض ابن سعود الذي اعتذر بأن مجلس الأعيان برئاسة والده الامام قد أقرّ الامتياز، و لا سبيل إلى الغائه. و تمكن هولمز من أن يصيب امتياز المنطقة المحايدة بين السعودية و الكويت و ذلك بعد أن وافق الشيخ احمد الجابر، شيخ الكويت، على هذا في مايو 1924. و حصل هولمز أيضا على امتياز من الشيخ حمد بن عيسى في البحرين في أواخر عام 1925م. اشترت شركة جلف أويل كوربوريشن في 12 جمادى الثانية 1346/7 ديسمبر 1927 حقوق التنقيب من شركة ايسترن اندجنرال سندكيت لكنها رفضت شراء حقوق التنقيب في الاحساء و المنطقة المحايدة التي عرضتها الشركة نفسها[360]. و لما أصبحت شركة جلف أويل كوبوريشن محكومة باتفاق الخط الاحمر الذي عقد في صيف عام 1928, و لا يمكنها الانفراد باستثمار الامتياز، قامت بعرض هذا الامتياز على المجموعة التي وقّعت على اتفاق الخط الأحمر. و رفضت هذه المجموعة استثمار الامتياز، و كان على هذه الشركة التزاما منها بالاتفاق ان تترك العمل في البحرين لسواها. و بهذا تمكنت استاندرد اويل كاليفورنيا في أواخر 1928 من شراء هذا الامتياز[361].

لم يكن لحكومة الهند و لا لوزاراتها دور كبير في هذه المرحلة إذ لم تكن مسؤولة عن الاستثمارات البريطانية في المنطقة. و اقتصر كل الذي فعلته حكومة الهند في هذا الصدد على أنها كانت قد أخذت على شيخ الكويت تعهدا في 26 ذي القعدة 1331/27 اكتوبر1913 يبدي فيه استعداده لتسهيل اطلاع من سيرسله المقيم كوكس على[362] " المكان الذي به القار في البرقان ". كما تعهد هذا الشيخ بأنه لن يمنح امتيازا لاستخراج النفط إلا لمن توافق عليه الحكومة البريطانية.و

استطاعت سلطات الهند البريطانية في الخليج أيضا أن تحصل في عام 1914م على تعهد من شيخ البحرين على غرار التعهد الخاص بشيخ الكويت. و لم يكن هذا التعهد خاصا بمنع اتباع القوى الدولية الأخرى من استغلال الزيت فحسب، بل و بحرمان الرعايا الانكليز الذين لا توافق عليهم الحكومة البريطانية من التعامل في هذا المجال. وزاد تعهد الشيخ عيسي بن خليفة، حاكم البحرين، بأنه لن يقوم باستغلال الزيت بنفسه، أو بأي صورة من الصور دون موافقة الحكومة[363] البريطانية. و قد كتب عيسى في هذا الصدد إلى كوكس، " أنه إذا كان هنالك أي أمل في الحصول على زيت الكروسين في منطقتي فإني لن أقوم باستثماره بنفسي، و لن أقبل أي عرض من أي جهة حوله دون استشارة الوكيل السياسي في البحرين. و دون موافقة الحكومة السامية البريطانية ". كما أخذت سلطات الخليج البريطانية تعهدات مشابهة من حاكم قطر في عام 1916م. و كانت هذه التعهدات جميعها من ضمن الأعمال الروتينية التي يقوم بها المقيم و مكاتبه لمنع أيّ استثمار لأيّة جهة أجنبية في منطقة الخليج العربي. و كانت حكومة الهند تخشى الاستثمار الذي يمكن ان تقوم بهه القوى الدولية الأخرى، لأسباب سياسية كانت أهم في تقديرها من الأسباب الاقتصادية، فمن شأن تلك الاستثمارات أن تدخل أجانب من قوّة دولية أخرى غير بريطانية إلى منطقة الخليج. و لم تقم الهند بعقد هذه التعهدات التي تحظر على الشيوخ العرب منح امتيازا استثمار النفط في بلادهم، مدفوعة إلى ذلك بشركات بترول انكليزية. و في الحقيقة فإن هولمز حين وفد الخليج وحصل على امتيازات فيه، كان ذلك في غيبة حكومة الهند عن الخليج إذ لم يعد لها في الفترة منذعام 1922م و حتى عام 1933م أي نفوذ سياسي هناك، إنما كان نفوذها إداريا بحتا. و تمّ تسرب الشركات الأمريكية إلى الخليج العربي في فترة كانت فيها شؤون الخليج العربي السياسية في يد لندن. و ربما دفع امتياز هولمز الذي ناله في الاحساء سلطات الخليج العربي لتحصل على تعهد من سلطان مسقط يقصر فيه امتياز التنقيب عن الزيت على البريطانيين فقط.

اعترضت الحكومة البريطانية على امتياز ستاندر أويل أوف كاليفورنيا في البحرين و أبرزت اتفاقات عام 1880م و اتفاق عام 1892م و غيرها من الاتفاقات التي تعطي لبريطانيا الحقّ في إدارة الشؤون الخارجية للشيخ و تحرمه من الاتصال و عقد اتفاقات مع جهات دولية أخرى.[364] و رأت الحكومة البريطانية أن امتيازا كالذي نالته الشركة الأمريكية لا يجب أن يصدر عن الشيخ إنما عن وزارة المستعمرات المسؤولة عن تسيير علاقة الشيخ بغيره من القوى الدولية غير البريطانية. و اجتازت ستاندرد أويل هذه العقبة من وراء البريطانيين بذكاء و ذلك حين سجلت في كندا شركة لها تحت اسم شركة نفط البحرين المحدودة (بابكو) تملكها هي ملكية كاملة. و قد

استفادت هذه الشركة من إعلان بلفور بشأن مجموعة الكمونولث الذي جاء منه أن الشركات الكندية تتمتع بوضعية بريطانية تامة. و طلبت الشركة بعد هذا إلى وزارة الخارجية الأمريكية كي تطلب إلى وزارة المستعمرات البريطانية التصديق لها بالعمل في البحرين. و لم تستطع الحكومة البريطانية، و قد وُجهت بقوانينها، إلا أن تمنح هذه الشركة تصديقا بالعمل في البحرين.

بهذا استقرّت في الخليج العربي شركة بابكو المتفرعة من استاندرد أويل كومباني و غدت بذلك أول شركة أمريكية تعمل في استثمار النفط، في مجال جيواستراتيجي لحكومة الهند البريطانية كان لا يزال حتى ذلك الوقت، يشكل الحزام الأمني للهند. لم تكن الشركة البريطانية في الخليج العربي تسعى لاستثمار البترول في البحرين أو في الاحساء أو في المناطق الأخرى التي لم يكن ثمّة ضمان لوجود النفط بها.و كان هولمز على استعداد لأن يبيع الامتيازات التي حصل عليها لكنه لم يجد إلا بعد لأي شركة أمريكية ترغب في الشراء، بل ان امتياز الاحساء قد سقط عنه في عام 1928م دون ان يجد له مشتر. و لعل في هذا دلالة على زهد الشركة الانكليزية في الاستثمار في تلك المناطق، و على أن احتجاج السلطات البريطانية لم يكن إلا انطلاقا من سياسة حجب المنطقة عن كل قوّة دولية أخرى، حتى و لو كانت هذه القوّة هي الولايات المتحدةالأمريكية

تمّ اكتشاف النفط في البحرين في يونيو 1932، و كان ذلك حدث كبير تعدى حدود المشيخة لأنه كان أول مؤشر محسوس لوجود الزيت بكميات تجارية في منطقة جنوب الخليج العربي.

النفط في العربية السعودية: _

في محاولة لبدء الاستثمار الأمريكي في الجزيرة العربية جاء مهندس المعادن الأمريكي كارل توتشيل إلى السعودية في عام 1931م عاملا بالانابة عن المليونير كرين C.R.Crane، و رحب به ابن سعود و شجعه للبحث عن البترول. و لم يتحمس توتشيل للعمل بالعربية السعودية لكنه عاد إلى بلاده بتكليف من عبد العزيز بدعوة الشركات الأمريكية للعمل في بلاده. و عرض توتشيل الأمر على الشركات الأمريكية، ولم توافق نفط تكساس على الاستثمار في السعودية، و اعتذرت جلف كوربوريشن لارتباطها بالخط الأحمر. و مع بدء تشغيل آبار النفط في البحرين قرّرت ستاندرد أويل أوف كالفورنيا أن تجازف بالعمل في السعودية. و كانت المجازفة من طبيعة الشركات الأمريكية الشابة و لم تكن تستطيعها الشركات البريطانية العجوز. أرسلت هذه الشركة لويد هملتون

مع كارل توتشيل إلى جدة في مارس 1933، و لهثت شركة نفط العراق في أثرها فأرسلت المدعو لونجرج للتفاوض في جدة نيابة عنها[365]. و تمّ عقد اتفاق في7 محرم 1352 /2 مايو 1933 بين هملتون و عبد الله السليمان، وزير مالية ابن سعود، يعطي للشركة الأمريكية امتيازا في الاحساء مدّته ستين سنة. ووعدت السعودية الشركة بالمعاملة التفضيلية في المناطق الأخرى. و تكونت كاسوك (كاليفورنيا اربيان أويل كومباني) في نوفمبر 1933. يبقى سؤال يتردد و هو واضح الإجابة بل إن ابن سعود نفسه أشار إلى إجابته: لماذا فازت الشركة الأمريكية دون البريطانية بامتياز السعودية. يقول ابن سعود[366]" نحن لم نقصر، إنما الذي قصر هو الحكومة البريطانية و شركاتها. و لما انقضى الأمر أخذ بعض الموظفين البريطانيين يقول أن ابن سعود قاومنا و عمل عمل و ندموا على ما فات، فأرادوا اقتطاع واحة البريمي من أملاكنا ". و يدل هذا على أن: -

- الشركات البريطانية لم تكن جادة في الحصول على امتياز، إنما كانت تقصد التعطيل انطلاقا من المبدأ المعروف في السياسة الهندية من " أننا لا نريدها و لكننا لا نريد ان يظفر بها الآخرون ".و يؤيد عدم الجدية هذا عدم الثقة التي كان البريطانيون حتى في جدة ينظرون بها تجاه استمرار البيت السعودي. فقد جاءت الكثير من التقارير في هذه الفترة تقول بأن العربية السعودية ربما ترجع إلى حالة التفكك و الفوضى إذا توفي عبد العزيز أو قتل. و لم تكن عروض الشركة الانكليزية بالتالي في مثل العروض الأمريكية. و لعل سبق مندوبي الشركة الأمريكية في الوصول إلى جدة و مجيء مندوبي الشركة الانكليزية بعدهم، يؤيد أن الشركة لم تقصد إلا لتعطيل أعمال الشركة الأمريكية التي سعت لحيازة الامتياز.

-جاء على لسان جون فيلبي لبن جوريون أن ابن سعود شخص ذكي و حذر و مستقيم وواقعي،[367] و المتتبع لسياسه ابن سعود لن يقول – كما نرى – بغير هذا. أدرك ابن سعود التناقض التاريخي الحاد بين بريطانيا و بين البيت السعودي، و عرف أن الانكليز لن يكونوا متعاطفين معه إلا في الحدود التي تتطلبها خدمة مصالحهم التي كان لها اتصال مع غيره من زعماء المنطقة.و كان ابن سعود يخشى ان تقوم بريطانيا باستعمار دولته خاصة و ان وزارة المستعمرات البريطانية كانت في هذه الفترة هي المسؤولة عن تسيير الشؤون البريطانية معه ولم توكل لندن هذه المهمة لوزارة الخارجية. و على ذلك سعى ابن سعود ان يستدرج الولايات المتحدة الأمريكية للتعامل مع دولته الناشئة لتحييد بريطانيا. و هو – كما سبق القول – واقعي يدرك أنه لن يتغلب بقوّته الذاتية على البريطانيين. كما تكشف اللقاءات التي أجراها بن جوريون مع بعض موظفي و أصدقاء ابن سعود

[368] "ربما بعلم ابن سعود أو بغير علمه " عن مدى المقت المتأصل الذي يكنه ابن سعود لانكلترى لأنها تساند البرنامج الصهيوني. و بهذا يمكن القول بأنه قد تلاقت أهداف ابن سعود في الاستثمار و توسيع دائرة المنافسة الدولية للتغلب على السيطرة البريطانية المستحكمة في وطن عربي ليس فيه أي حاكم لا يأتمر بأمر المستعمر قسرا أو رضاء مع رغبة الأمريكيين الصادقة في الاستثمار فنالوا حقوق الامتياز من السعودية.

- أما الدوائر البريطانية فتردد أن العصبة التي حول ابن سعود هي عصبة أمريكية [369]، و في هذا صدق إذا أضفنا أنها لم تكن أمريكية الاتصالات، إنما كانوا من المثقفين المتأثرين بمبادئ ويلسون البراقة، تلك المبادئ التي لم تتم صياغتها من أجل الشرق العربي حيث كان الاتفاق شاملا بين القوى المختلفة منذ مؤتمرات السلام، و نظّنه إلى الآن، من أن الشعب العربي الذي يشغل هذه المنطقة من قلب العالم هو غير جدير بها و لا أهل لها.

عموما لم تعمل إنكلترى على الحصول بشكل جاد على امتياز نفط السعودية ولم تستبن " أن المستقبل هو للجزيرة العربية بفكرها الديني ذي العجلة الواحدة المتحدة ضدّ السياسة الامبرالية في فلسطين" [370] إلا في عام 1938م و ذلك بعد أن استفحل أمر الشركة الأمريكية، و فازت بضخ النفط.

نفط الكويت: -

حصلت ايسترن اندجنرال سيندكيت على امتياز نفط الكويت من شيخ الكويت و تنازلت عنه لجلف أويل كوربوريشن الأمريكية أيضا. و حاول الانكليز تعويق هذه الشركة بشرط الجنسية غير البريطانية، و بالتأثير على الشيخ [371] و بأساليب أخرى غير مباشرة أوصت حكومة لندن سلطات الخليج للعمل بها. [372]و رأت لندن في الأساليب المباشرة بالمنع (نعني منع الشركات الأمريكية من العمل في الكويت)، ما يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تعوق عمل شركات النفط الانكليزية في مناطق أخرى من العالم[373]. و اضطر البريطانيون ان يصلوا مع الأمريكيين أخيرا إلى قسمة الامتياز بينهما. وتم توقيع هذا الامتياز في عام 1934م و تكونت بذلك شركة نفط الكويت [374]. و قد أجاب المقيم عندما سئل عن كيفية تمكن الشركة الأمريكية من الشيخ، و عما إذا تمّ ذلك لأن القبضة البريطانية لم تكن جادة على الكويت، قائلا بأن تعليمات لندن دعت إدار الخليج إلى

التعاون مع الأمريكيين و عدم مجابهتهم صراحة " و إذا لم يكن الأمر كذلك لكنا قد أمرنا شيخ الكويت بعدم منحهم الامتياز، و لنفّذ الشيخ الأمر "[375]. و جاء في وثيقة أخرى أننا لم نمنع الشيخ من التفاوض مع الأمريكيين[376].

إمتيازات قطر و الساحل العماني: _

قامت سلطات الخليج التابعة لحكومة الهند منذ عام 1922م نتيجة لتعليمات وزارة المستعمرات التي كانت تدير علاقات الخليج العربي السياسية وقتها بأخذ تعهدات على الشيوخ المختلفين في قطر و مشيخات الساحل العماني و سلطنة مسقط و ذلك بهدف إبعاد شبح المنافسة الأمريكية في استثمار البترول في تلك النواحي. جاء في تلك التعهدات: " أكتب هذه الرسالة بمحض إرادتي لأتعهد لسيادتكم أنه إذا كان ثمّة أمل في وجود البترول في الأراضي التابعة لي فلن أمنح امتيازه لأحد من الأجانب اللهم إلا للشخص الذي تُعيِّنه الحكومة البريطانية السامية.. و هذا ما وجب تقريره "[377]. ضغطت السلطات الهندية في الخليج على شيوخ هذه المناطق لتبدو معارضة عدم منح الامتيازات للأمريكان محلية و ليست بريطانية. و جاء في خطاب من لندن إلى الهند بتاريخ 3 رمضان 1355/ 17 نوفمبر 1936 بأن الأمريكيين ذكروا بمنتهى الوضوح بأنه إذا مُنعت تلك الشركة (جلف كوربوريشن في الكويت) من المنافسة في امتياز البترول في المنطقة فستُضار المصالح البريطانية في المناطق التي يسيطر عليها النفوذ الأمريكي. و انتهت المسألة في قطر إلى أن تحوز الشركة البريطانية في مواجهة الشركات الأمريكية امتيازالتقيب عن البترول في قطر. حصلت هذه الشركة على امتياز قطر من الشيخ عبد الله بن ثاني في مايو 1935. [378]كما حازت على امتيازات الساحل العماني [379] حين وقعت الاتفاقات مع شيوخ دبي، و رأس الخيمة، و كلبا في عام 1938م، و مع أبوظبي في يناير 1939، كما وقّع عن مسقط سلطانها سعيد بن تيمور في 14 ربيع الثاني 1356/24 يونيو 1937 عقدا مع بترولتوم كونسيشون ليمتد[380] " و بهذا أصبح القسم الأدنى من الساحل العربي للخليج كله في أيدى الشركات البريطانية، و كان ذلك من صنع حكومة الهند و من ترتيباتها.

يقول المقيم مثلا عن امتياز قطر بأنه " لاحظ أن فترة المفاوضات للحصول على الامتياز من الشيخ امتدت أكثر من الوقت اللازم فقام إلى قطر و قرأ على الشيخ النسخة العربية من الاتفاق التي كانت تظفربقبول الشيخ ووقّع الشيخ عليها، و لم يستغرق الأمرمنه إلا لحظات [381]". و بهذا

يمكن أن نقول بأن غياب السلطة السياسية لحكومة الهند في الفترة بين عامي 1922 م و 1933م مهد لإلقاء الخليج العربي في يد الأمريكان حيث كانت لندن، و إدراكها للقوّة المتعاظمة للولايات المتحدة الأمريكية، لا تثبت في معارضة الأهداف الأمريكية كثيرا بل و لا توجه بمعارضتها علانية.

النفط و الحرب العالمية الثانية: _

تعتبر الحرب العالمية الثانية نقطة تحول حقيقية في السياسة النفطية للولايات المتحدة الأمريكية إذ تحولت القيمة الحقيقية للنفط من قيمة اقتصادية نقدية إلى قيمة استراتيجية عالية [382]. صرح وزير الخارجية الأمريكي بعد هذه الحرب بأن أمريكا صممت في هذه ال مرّة أن لا تتراجع إلى سياسة العزلة ": إننا مصممون هذه ال مرّة للحفاظ على السلام"[383]. و هنا يبدأ التناقض الجاد بين السلام البريطاني العجوز و السلام الأمريكي الفتى الذي سُوّى بعد ذلك بروح المنافسة، لصالح السلام الأمريكي.

عانى ابن سعود من تأثيرات الحرب المختلفة حين انقطع مورد الحج، و بدأ ابن سعود في عام 1940م يناور الشركات الأمريكية ويشير إلى أنه قد يستفيد من منافسة الشركات البريطانية. و أوصت أرامكو روزفلت في 19 ربيع الأول 1360/16 ابريل 1941 بأن يدبر مالا لابن سعود، وأقترحت بأن المال يمكن أن يدبر في هيئة قرض يناله عبد العزيز من البرنامج الأمريكي للقروض و الهبات Lend Lease [384]،و ان تقوم الحكومة الأمريكية، نظير هذا القرض، بشراء النفط بأسعار مخفضة من ابن سعود لفترة زمنية تصل إلى ست سنوات. و أوعز الرئيس الأمريكي إلى الحكومة البريطانية أن تدفع لابن سعود القرض من حصّتها التي تنالها من برنامج القروض و الهبات. و بدأ مال القروض و الهبات الأمريكي يتقاطر على السعودية عن طريق البريطانيين، و أوشكت هذه المملكة السعودية أن تقع في نطاق الاسترليني حين فكرت بريطانيا في إقامة مصرف مركزي في البلاد. و خشى الامريكون الضرر على مصالحهم في السعودية خاصة و قد دلت تقارير الجيولوجيين الأمريكيين الذين أوفدوا إلى الشرق الأوسط في عام 1942م بأن مركز الثقل في نفط العالم يبتعد تدريجيا من خليج المكسيك ومنطقة بحر الكاريبي إلى منطقة الخليج العربي[385]. و لهذا قام روزفلت في 12 صفر 1362/18 فبراير 1943 بتوقيع برنامج الهبات و القروض مع السعودية [386]. و ربما لاحظنا أن أمريكا بتوقيعها هذا البرنامج مع المملكة السعودية خرجت عن أسس برنامج الهبات و القروض لأنه، بحكم تقنينه، يقتصر فقط على القوى التي تحارب في المعسكر الأمريكي،

و لم تكن السعودية مشتركة في تلك الحرب بحال. ونرى أن قرار مدّ برنامج الهبات و القروض إلى المملكة العربية السعودية لا يدل على مفارقة لقانون هذا البرنامج فحسب،إنما مفارقة للسياسة الخارجية لأمريكا في الشرق الأوسط حيث تغير الدور الأمريكي في السعودية بصفة خاصة من دور الوسيط الراعي و المحافظ على استثمار الشركات الأمريكية إلى دور التعامل المباشر، حيث رُبطت المملكة العربية السعودية، اعتبارا من هذا التاريخ، إلى خطط الدفاع الأمريكية، و تبنّت الولايات المتحدة منذ ذلك الحين ما يمكن أن نسميه بالدفاع عن السعودية [387] باعتباره مسألة حيوية لاستراتيجيتها العالمية.

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تخطط لتشييد [388] خط التابلاين Trans pipeline حيث أعلن الوزير أكر في11 صفر 1363/ 6 فبراير 1944 أن مؤسسة احتياطي البترول الأمريكية ستقوم بارساء هذا الخط من الخليج العربي إلى البحر المتوسط و ذلك كجزء من معطيات الولايات المتحدة في حراسة أمن المنطقة في فترة ما بعد الحرب. و لقد لقي هذا الموضوع معارضة ضاربة من شركات البترول الأمريكية و معارضة مستأنسة من الحكومة البريطانية.

لم تعد لندن منذ عام 1947م، بعد استقلال شبه القارة الهندية، في موقف المعارض تماما للمصالح الأمريكية حيث تبين لساسة بريطانيا أن أمريكا باتت الوريث لها أو أنها الوجه الآخر للغرب المقبول نسبيا في المنطقة. و على ذلك ما أن آل هذا الخط لشركة التابلاين الأمريكية في نوفمبر 1947 حتى سكتت المعارضة البريطانية.

استطاعت هذه الشركة أن تبني مخارج بترول الخليج العربي إلى البحر المتوسط في نقاط استراتيجية: أما في فلسطين التي صارت بعدئذ في معظمها للصهاينة أو في نقاط تقع على مرمى المدفعية الاسرائيلية التي توّلت بالاسلحة الأمريكية تأديب المنطقة بدلا من بريطانيا التي ما عادت بعد ان فقدت امبراطوريتها تستطيع أن تؤدب. و بدا أن حكومة الهند التي قبرت في عام 1947م و كأنها تسلم مفاتيح الخليج العربي لواشنطن بدلا من لندن.

الفصل السادس

الوجود الدولي في سياج السلام البريطاني في اعقاب الحرب العالمية الأولى

- الوجود السياسي للولايات المتحدة الأمريكية في الخليج العربي
- الاتحاد السوفيتي و الخليج العربي
- اليابان في الخليج العربي
- نشاط القوى الدولية الأخرى في الخليج العربي
- البترول و السيادة على جزر الخليج العربي

الوجود الدولي في سياج السلام البريطاني
في اعقاب الحرب العالمية الأولى

شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تزايدا كبيرا للقوى الدولية المختلفة في الخليج العربي. دلفت إلى الخليج بقوّة في هذه الفترة الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفيتي و اليابان و غيرهما من القوى الدولية الأخرى.و لم يكن تدخل تلك القوى قبيل الحرب العالمية الثانية محسوسا فقد قلّ أو انتهى تماما تدخل بعض تلك القوى من المانية وغيرها في الخليج في تلك الفترة بينما زاد في اثناء الحرب العالمية الثانية و في اعقابها الوجود السياسي للولايات المتحدة الأمريكية زيادة كبيرة . واستمرت تلك الزيادة المضطردة للوجود السياسي الأمريكي التي أخذت تحل بالتدريج مكان الوجود البريطاني فيه أضافة إلى أن بعض القوى الدولية الأخرى وجدت لها في الخليج مكانا .

الوجود السياسي للولايات المتحدة الأمريكية في الخليج العربي:

في أوائل عام 1915 م تلقى القنصل الأمريكي في مسقط رسالة من واشنطن تخطره بأنها تزمع تصفية أعمال القنصلية الأمريكية في مسقط اعتبارا من21 ربيع الثاني 1333 /8 مارس.[3891] و في 7 مارس أخطر محمد بن فيصل الذي كان يتولى أعباء القنصلية الأمريكية، سلطان مسقط بانتهاء أعمال القنصلية الأمريكية كما أخطر القنصل الفرنسي بذلك أيضا.

عبّر سلطان مسقط عن دهشته لهذه المفاجأة و كتب رسالة عن طريق محمد بن فيصل لواشنطن يطلب توضيحا. و أثار هذا الحدث التافه إشاعة في الرأي العام في مسقط فحواها أن أمريكا دخلت الحرب إلى جوار ألمانيا. و قد ساعد على ترويج هذه الاشاعة أن القنصل الفرنسي ساعد في إنزال العلم الأمريكي عن على ساريته.

أبلغ الوكيل السياسي البريطاني في مسقط في 11 ابريل حكومته بأنه علم من محمد بن فيصل أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بتلك الخطوة خفضا للنفقات إذ تقدر تكاليف هذه القنصلية بحوالي ثمانمائة روبية سنويا بينما لا تقوم القنصلية بأي عمل سوى توثيق فواتير التمر الذي يشحن إلى أمريكا في موسم جني التمور. كما ترعى القنصلية أيضا أعمال البعثة التنصيرية لأمريكا هناك و لا يزيد العدد العامل بالتنصير في مسقط، من المواطنين الامريكان، عن شخصين أو ثلاثة. و في 8 شعبان 1333/19 يونيو 1915 أبرق الوزير جراي إلى القنصل الإنكليزي في مسقط بأن بريطانيا ستقوم برعاية مصالح الولايات المتحدة في مسقط. و أحيل الأمر إلى السلطان الذي أبدى موافقته عليه في خطابه بتاريخ 29 يونيو 1915 الذي جاء منه يلي: " من تيمور بن فيصل إلى قنصل الدولة البريطانية في 15 شعبان 1333. ورد خطابكم و ما تضمنته من صورة البرقية إلى جنابكم من حضرة الأفخم وزير خارجية الدولة العلية البريطانية يقلدك الاعتناء بمصالح المملكة (هكذا) الاميركانية المتحدة في عمان عند عدم وجود قنصل لها في مسقط، فجنابك كفؤ لذلك.و قد صرت مسرورا بذلك، و لعمري إنك لأهل للمهمات و المصالح و لا تزال في ترق و أقبال..[390] ".

في الحقيقة لم يكن ثمّة تناقض بين واشنطن من جهة و بين لندن و كلكتا من جهة أخرى إذ لم تكن مصالح الولايات المتحدة حتى ذلك الحين كبيرة في المنطقة, و لم تعمل واشنطن على تنميتها. و لعله من الطريف أن محمد بن فيصل، القنصل الأمريكي في مسقط، كان أحد رعايا الانكليز. و كانت حكومة الهند تتعاطف مع التنصير الأمريكي في الخليج و ترعاه رغم انها كانت ترتاب في اهدافه. كما كان المنصرون الأمريكيون يتعاطفون مع طبيعة الوجود البريطاني في المنطقة. و يكشف القس زويمر هذا التحالف غير المعلن بين التنصير و الاستعمارالبريطاني حين أبدى خوفه من أن يصيب الضمور النفوذ البريطاني مع بداية توافد القوى الأجنبية إلى الخليج العربي. كتب زويمر في نهاية القرن الماضي في كتابه الموسوم: العربية مهد الاسلام، بالانكليزية: " للأسف إننا نلاحظ أن نظر الرأي العام البريطاني مُركّز حول الصين، و بناء على ذلك فهو يعشى عن رؤية الاخطار التي تهدد الإمبراطورية في مكان أكثر حيوية لها من الصين. يجب أن تكون هنالك صحوة على الحقيقة المرّة، و هي أنه ليس في الصين إنما في فارس و في الخليج (العربي) ستكون حلبة الصراع السياسي للتنافس العالمي على آسيا قريبا مع وجود روسيا في الخليج و سياستها تجاه فارس، و مع وجود فرنسا التي تغمط بريطانيا نفوذها في الشرق، و مع وجود ألمانيا التي تبني السكك الحديدية في الممتلكات التركية، في حين أن ايام الدولة التركية قد أصبحت معدودة.. يبقى السؤال ما هو مستقبل المناطق الخصبة في البصرة و في بغداد ؟. و هل ستكون

لانكلترى اليد العليا في مناطق الجزيرة العربية كلها، و هل نجد لورد كرومر آخر في مستقبل الأيام كي يصبح وادي دجلة ووادي الفرات مصرا أخرى.. إن حربا دبلوماسية اشتعل أوارها الآن، و تلعب وزارت الامبراطوريات التي يسندها الرأي العام و الجيوش و الاساطيل، لعبة ذات نتائج بعيدة الأثر. إن مفتاح الموقف هو في يد المسيح عيسى، و أن ملوك الأرض جميعا في قبضته، يعطي القوّة و الميزة لمن يشاء، و سيحقق المجد في النهاية لاسمه، ولمملكته المرتقبة في الأرض كافة و من ذلك في الجزيرة العربية."[391] ويجدر بنا أن نلاحظ أنه لولا الفقرة الأخيرة التي أوردناها لما كان من الممكن أن نميز بين فكر زويمر القس الأمريكي و كيرزن نائب الملك على الهند في تلك الأيام.

جاءت الحرب العالمية الأولى ومعها المتغيرات التي أدخلت أمريكا للمرّة الأولى في نسيج الشرق الأوسط. كتب أحد المسؤولين الإنكليز في سبتمبر 1918.." [392]من ورائنا تتزايد مع كل يوم من أيام الحرب الظلال العاتية لشخص الولايات المتحدة الأمريكية و تعود تلك الظلال لتتبلور حقيقة ماثلة..إن الولايات المتحدة الأمريكية بدت كقوّة كبرى لها سجل نظيف نظافة فوق العادة في عيون الشرقيين. و قد كسبت هذا – جزئيا- من خلال الصداقة التاريخية.. شئنا أم أبينا ستظل هذه حقيقة ماثلة، و ستكسب أمريكا في النهاية إذا لم نتكاتف نحن الحلفاء الأوروبيون". ولعلنا نشير إلى أن هذه النبوءة بدت صادقة في الشرق عامة، لكنها لم تكن كذلك في سياج الأمن الهندي الذي لم يكن فيه من الأمريكان إلا بعض القساوسة و أطباء التنصير الذين كانوا يعملون أيضا بشكل غير مباشر وكلاء سريين للبريطانيين. ورد في تقرير من البحرين بتاريخ 23 رجب 1335/15 مايو 1917 أن طبيب البعثة الأمريكية زار القطيف و عاد منها إلى البحرين في 8 مايو." أخطرني (الطبيب) أن موظفى ابن سعود في المنطقة يبدون ميلا للبريطانيين حتى في المناطق التي يميل سكانها إلى عداء الببريطانيين. و أن سكان القطيف، بصفة خاصة، ميالون للألمان و يبغضون الروس ". و يستمر التقرير الذي وافى الطبيب الأمريكي سلطات الهند في الخليج به ليدّعى أن سكان هذه المنطقة ينظرون إلى دخول الولايات المتحدة الحرب كدليل على عدالة قضية الحلفاء !.

لم تبد للحكومة الأمريكية و لا لمواطنيها أية مصالح في نطاق الأمن الهندي إلا مع امتيازات البترول التي بدأ التافس حولها في فترة غياب الهند البريطانية السياسي في الخليج العربي. و بينما كانت الهند، حين آلت لها الأمور السياسية في الخليج و شؤون البترول في عام 1933 م، تعمل على حصر انتشار الخطر الأمريكي في المناطق التي حازوها، قدّم المواطن الأمريكي كيرنس هاي

Hay في 3 يونيو 1936 طلبا يشرح فيه كيفية زراعة اللؤلؤ صناعيا في اليابان، و أشار إلى أن شركة ميكي موتو Mikimoto تكسب من وراء هذا العمل ما لا يقل عن خمسين مليون دولارا سنويا. و طلب هاي الاذن بالسماح له بالعمل في هذا النشاط في الخليج العربي[393], و رُفض الطلب. كما أبدى الزراعيون الأمريكان اهتماما بمناطق الخليج و الجزيرة العربية وزارت جماعات منهم المنطقة منذعام 1940م[394].

مع الحرب العالمية الثانية و اضطلاع الولايات المتحدة الأمريكية بدور كبير في الخليج العربي حيث كانت تحمل الامدادات عبر الأرض الفارسية، إلى روسيا السوفيتية، أعربت الولايات المتحدة في 27 ذي القعدة 1359 /27 ديسمبر 1940[395] عن رغبتها في ان تضع مراقبا أسطوليا في البحرين[396]. و أحال وزير الخارجية البريطاني الطلب إلى وزير الهند معلقا عليه بأن الولايات المتحدة الأمريكية تدرك طبيعة الارتباط البريطاني بالبحرين المترتب على اتفاق 3 مارس 1892 و الذي نص بعدم السماح لمندوب أية قوّة أجنبية غير بريطانية أن يقيم بالبحرين إلا بموجب الموافقة البريطانية. و تساءل الوزير أيدن هل يمكن اجابة طلب الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الشأن، ثم يعرب الوزير عن أمله في تحقيق هذا الأمر نظرا للعلاقات الخاصة التي تربط بين بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية، و طلب الوزير ايدن إلى وزير الهند أن يولى هذا الأمر اهتماما خاصا. و تضيف مذكرة وزارة الخارجية بأنه إذا شاء وزير الهند أن يستشير حكومة الهند و المقيم في الخليج العربي في هذا الخصوص فعليه أن يُضمّن برقيته لهذه الجهات بأن الحكومة البريطانية تعول كثيرا على تأسيس علاقات وثيقة للغاية بين بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية، و أنها تسعى جاهدة لتأسيس تعاون انكليزي امريكي صادق في كل مكان على امتداد المعمورة. و تذهب المذكرة إلى أن وزير الهند يمكن أن يلفت نظـرحكومة الهند و السلطات الهندية في الخليج بأنه نتيجة لاستغلال نفط البحرين فإن الأمريكيين قد توافدوا سلفا على البحرين و المناطق المجاورة لها، و أن وجود موظف أمريكي إضافي لن يزيد في إعداد الأمريكيين و لن يضيف لنفوذهم في المنطقة. و اعترفت الخارجية بأن سلطات الهند يمكن أن ترى في هذا الأمر سابقة غير مريحة لأنها ربما تجبر الحكومة البريطانية إلى قبول مراقبين لقوى أجنبية أخرى في البحرين. و أكد الوزير ايدن بأن الحكومة البريطانية سترفض أي طلب مماثل لأية قوّة أخرى مستقبلا. و جرت المفاوضات بين لندن و الهند و الخليج العربي [397] و انتهت بعد جدل إلى الموافقة على قبول هذا المراقب الأمريكي. و أرسل الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى شيخها في 15 صفر 1360/ 14 مارس 1941 يخطره، " لقد أبلغني المقيم السياسي في الخليج أن أبلغ سموكم أن حكومة الولايات المتحدة

الأمريكية ترغب في تعيين موظف أسطول أمريكي في البحرين ليكون على اتصال بالامور التي تهم الأسطول، وقد وافقت حكومة جلالته على هذا الأمر. و قد عرفت من سموكم بالأمس أنه لا اعتراض لديكم، فهل تؤكدون لنا هذا كتابة"، و تأكد رد الشيخ بالموافقة بموجب خطابه في 13 صفر 1360 / 16 مارس 1941. و في 11 مارس 1941 كتبت الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند"[398] أنه ما دام ليس هنالك اعتراض من الأدميرالية أو حكومة الهند، أو المقيم في الخليج (العربي) فإن الوزير ونستون تشرشل سيخطر سفير الولايات المتحدة الأمريكية بأن حكومة جلالته ترغب في وجود هذا الموظف في البحرين و ذلك وفقا للاتفاق المعقود بين شيخ البحرين و حكومة جلالتها في 13 مارس 1892. أما فيما يتصل بالحصانة الدبلوماسية و المعاملة القضائية لهذا الموظف و ما إليه من الشؤون الخاصة باتصالاته بالشيخ فإنه ليسرني أن أخطركم بأن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بإرسال عدد من المراقبين الاسطوليين إلى مناطق كثيرة من الامبراطورية البريطانية، و عليه فإن تعيين هذا الموظف في البحرين هو جزء من مشروع كبير يرمي إلى تأثيل التعاون الانكليزي الأمريكي في الشؤون الاسطولية. لهذا نرى أنه يجب التعاون مع هذا الموظف في البحرين لأنه سيكتب لحكومته بما يلقاه هناك.و يمكن أن يًمنح هذا الموظف تسهيلات " شفرة" إذا رغب في ذلك. أما فيما يتصل بالقضاء فإن البريطانيين هم الذين يمارسون القضاء على كل الاجانب في البحرين و لن يكون هنالك استثناء لهذا الموظف. و على أي حال فليس هنالك ضرورة تستدعي إثارة هذه المسألة مع الحكومة الأمريكية لأنه لن تكون هنالك ضرورة قضائية.أما إذا دعت الضرورة لذلك فإن روح الصداقة بين الدولتين ستتغلب على هذه المسألة. و يمكن أن ينص في خطاب التعيين بأن اتصالات هذا الموظف بالشيخ يجب أن تتم من خلال الوكيل السياسي بالبحرين". و جاء هذا الموظف الأمريكي الأول إلى الخليج العربي بموجب هذاالتسامح البريطاني ليشغل منصبه في البحرين.

في نوفمبر من العام ذاته (1941م) أبدت السلطات الأمريكية رغبتها في نقل هذا الموظف من البحرين إلى البصرة ثم إلى هذا مشهر بعد ذلك. و أبدت الحكومة البريطانية ترحيبها بالنقل و طلبت إلى سلطاتها في الخليج العربي تسهيل المهمة. كما أنهت لندن لواشنطن بأن ممثلى لندن في بغداد و طهران يمكن أن يبذلوا مساندتهم لهذا الأمر لدى حكـومتي العراق و فارس، إذا رغبت واشنطن في هذا[399].

إزدادت أعداد الأمريكيين و مصالحهم في البحرين فطلبت واشنطن إلى لندن بموجب خطابها المؤرخ في 2 صفر 1362/8 فبراير 1943 أن تسمح لها بفتح قنصلية في البحرين و ذلك تنفيذا لقرار الحكومة الأمريكية في مد خدماتها لمواطنيها في المنطقة خاصة و أن عملية بناء مصفاة النفط في البحرين قد زاد في أعداد الأمريكيين الموجودين في المنطقة [400] كما زادت عدد السفن الأمريكية التي تقصدها. و أرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى سفارة واشنطن في لندن ردا مسهبا شرحت فيه العلاقات التي تجمع الحكومة البريطانية بحكومة البحرين، و الاسلوب الذي تدير حكومة الهند الخليج به. و ادعت هذه المذكرة بأن هذا الأسلوب أدى إلى الاستقرار السياسي في المنطقة و أنه لن يؤثر بطريقة عكسية على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية. و أوضح رد الحكومة البريطانية بأن فتح الحكومة الأمريكية لقنصلية في البحرين سيفتح الباب لحكومات أخرى لترسل بقناصلها إلى المنطقة، خاصة من الدول العربية المجاورة. و طلبت المذكرة إلى الحكومة الأمريكية أن لا تثير الأمر مرّة أخرى، و كررت الرجاء بأن لا تضغط في هذا الاتجاه أبدا.

صاغت سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بلندن ردا على هذه المذكرة في 12 ابريل جاء فيه أن وزارة الخارجية الأمريكية على وعي تام بما جاء في مذكرة الخارجية البريطانية، لكنها تدرك أيضا أن للولايات المتحدة الأمريكية في البحرين مصالح إقتصادية متنامية، و إن الحكومة الأمريكية لتجد الكثير من الحرج فيما يوجهه مواطنوها إليها في تلك المنطقة من نقد لقصورها في رعايتهم. كما تواجه الحكومة الأمريكية النقد كذلك من ملاحى سفنها الذين يقصدون المنطقة، و من التجار الأمريكيين الذين بدأوا يزورون البحرين. و جدّد السفير طلب بلاده في فتح قنصلية في البحرين للولايات المتحدة الأمريكية. و أحالت الخارجية البريطانية الخطاب إلى وزارة الهند التي أحالته بدورها إلى حكومة الهند و السلطات السياسية لبريطانيا في الخليج العربي.

جاء رد المقيم في الخليج العربي يحمل رفضا صريحا " لما يمكن أن يحدثه ذلك من ضرر ستعاني منه المصالح الإقتصادية لأمريكا أيضا ". و رأى المقيم كذلك أن فتح قنصلية أمريكية في البحرين سيؤدي إلى عدم الاستقرار السياسي في ذلك البلد، و ستسوء الظروف السياسية إذا طالبت العراق و فارس و العربية السعودية أن يكون لهم بعثات دبلوماسية في البحرين أو تمثيل قنصلي فيها. و أوضح خطاب المقيم " أن بالبحرين 15.930 أجنبي لا يصل عدد الأمريكيين منهم إلى مائة شخص، فإذا سمحنا بالتمثيل القنصلي لأمريكا فكيف نرفض ذلك للآخرين ؟". و أشارت مذكرة المقيم بأن القنصل الأمريكي المقترح لن يكون له أي عمل يذكر في البحرين، حيث لن يكون له أي

دخل في شؤون الملاحة و أذونات الميناء و تقرير مكان المنشأ و اعتماد كشوف المسافرين و البضائع، و منح رخص التصدير، فكل هذه الأمور من شؤون الوكيل السياسي البريطاني. و يرى المقيم أنه لن يبقى بعد هذا حوجة إلى قنصل أمريكي في المنطقة إلا في حالتين هما: أن يقترف أحد العاملين في المنطقة من الأمريكان جريمة أو أن يسقط أحدهم مريضا. و في كلا الحالتين لن يجدي وجود قنصل أمريكي. فالقضاء على الأجانب في يد الوكيل السياسي، " كما أننا نحن الذين نقدم الخدمات الصحية لبابكو ".

أشار المقيم بأن الطريقة المثلى تقتضي أن يُعيِّن الأمريكيون لهم قنصلا في الظهران في المملكة العربية السعودية " فهي مقر رئاسة شركات النفط الأمريكية، و بها مجموعة من الموظفين الأمريكان أكثر عددا موظفى البحرين الأمريكان كلهم، كما ان هناك خدمة ملاحية بين الظهران (ميناء الخبر) و بين البحرين. [401]و على هذا فسيكون الأمريكيون في البحرين على اتصال دائم بقنصلهم في الظهران." أما في الحالات الطارئة فيمكن استخدام تسهيلات الراديو و الهاتف خاصة إذا خففنا من قيود استعمالهما ". ويرى المقيم أنه إذا لم تقتنع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الرأي فيمكن تعيين قنصل شرفي من بين الأمريكيين العاملين في بابكو. و أشار المقيم أنه يجب على القنصل الأمريكي الشرفي المقترح أن يعتمد على تعامله في شؤون المنطقة مع الممثل البريطاني في المنطقة و ليس مع الشيخ أو الحاكم المحلي. و أبدى المقيم رأيه بأنه " يستطيع حاليا أن يوجه الشيخ سلمان بأنه يجب أن لا يتم أي تعامل إلا من خلال الوكيل البريطاني." و لكننا لن نستطيع أن نعتمد على أن الأمور يمكن أن تسير على هذا المنوال بطريقة سرمدية فربما يأتى حاكم يعمل على ضرب القنصل الأمريكي بالوكيل البريطاني و تنشأ المشكلات ".

اتفقت وجهة نظر حكومة الهند مع وجهة نظر مقيمها في الخليج العربي. و رأت حكومة الهند في هذه القنصلية طموحا من الحكومة الأمريكية لتتولى بنفسها ادارة مصادر النفط و مصالح أخرى جوية و غيرها. و كتب نائب الملك في الهند خطابا " شخصيا و خاصا لوزير الدولة لشؤون الهند يطلب إليه مقاومة هذا الأمر بشدّة و بضراوة ".

صاغت الحكومة البريطانية ردها على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على الخطوط التي أشارت بها حكومة الهند و مقيمها وقّعه ايدن ,وزير الخارجية. و لم يُضمِّن الوزير في خطابه ما أشار به المقيم من امكانية إنشاء قنصلية أمريكية في الظهران لتمد نفوذها إلى البحرين و ذلك لأن حكومة الهند لم تقرّ مقيمها على ذلك كما لم ترحب به وزارة الخارجية " بالنظر إلى علاقاتنا مع

المملكة العربية السعودية. هذا من جانب أما من الجانب الآخر فيمكن من الناحية التكتيكية أن نحجب هذا الأمر حتى نفاوض الأمريكيين عليه و نساومهم به فيما بعد ".

استمرت المشاورات بين لندن وواشنطن في هذا الصدد حتى 17 ربيع الثاني 1363/11 ابريل 1944 حين قدّم ولس موريه Murray، مدير إدارة الشرق الأوسط و الشؤون الإفريقية في الخارجية الأمريكية، إلى لندن و بدأ مفاوضاته في هذا الخصوص[402]. و استمرت هذه المفاوضات حتى 28 ابريل، نوقش خلالها أمر قنصلية البحرين و الوجود الأمريكي [403] في الخليج بصفة عامة.

كان موريس بيترسون M.peterson (وزارة الخارجية) هو المفاوض الأساسي في الفريق البريطاني الذي ضم ممثلين لوزارة الهند ووزارة الخزانة. و أوضح المفاوض البريطاني أهمية الشرق الأوسط في الاستراتيجية البريطانية، فهو الطريق البحري و البري و الجوي الذي تسلكه المملكة المتحدة في طريقها إلى الهند و إلى ممتلكاتها في المحيط الهادي. و إذا كانت الأهمية الجيواستراجية لهذا الطريق في أوقات السلم لا تحتاج إلى دليل فإن أهميتها في أوقات الحرب هي أكثر حيوية خاصة مع بدء تشغيل استخراج النفط في الشرق الأوسط. و أضاف بيترسون بأن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط تتضاعف لأنه يمثل منطقة عازلة بين " اعدائنا الإثنين: ألمانيا و اليابان ". و أوضح بيترسون أن النفوذ البريطاني يتحكم في هذه المنطقة التي "فرقتها الحرب الأخيرة إلى أمصار و أقطار عُدّة، و أن هنالك شعورا متزايدا بضرورة الوحدة يسود أوساط المتحدثين بالعربية [404]". و يزداد هذا الشعور بصفة خاصة وسط العرب الذين يقطنون في آسيا. و أضاف أن هذا الشعور بضرورة الوحدة تعاظم في الخمسين سنة الأخيرة. وقد زاد انتشار التعليم من الشعور بالعروبة و الإحساس بالتراث الإسلامي المشترك و وحدة التقاليد والأعراف. و أبرز المفاوض الإنكليزي أيضا أن العراق كان في خلال الحرب الأخيرة ذا أهمية قصوى كقاعدة للعمليات العسكرية اللازمة لحماية الخليج العربي و لتوصيل الإمدادات للإتحاد السوفيتي، كما مثل العراق كذلك سلة خبز المنطقة من غلال و أطعمة مختلفة. و قد نظمت الحكومة البريطانية شراء الشعير و التمور العراقية الفائضة عن حاجة المنطقة ودرجت على إعادة توزيعها في الشرق الأوسط في فترة الحرب. و أضاف المفاوض البريطاني بأن جزءا من اهتمامهم الاستراتيجي بالشرق الأوسط نابع من اهتمامهم الخاص بالعربية السعودية إذ ترى السياسة البريطانية أن علاقاتها بابن سعود يجب أن تكون متماسكة. فهو الحارس لبيت الله الحرام. و هذا شيء جوهرى بالنسبة للسياسة البريطانية لوجود أعداد كبيرة من المسلمين في الهند و في المناطق الأخرى من

الامبراطورية البريطانية. و عبّر المندوب البريطاني عن اهتمامه بالسعودية لأنها تقع كذلك في خط مواصلات الإمبراطورية البحري إلى الهند، و لأن السعودية تحاد مناطق لبريطانيا مع شيوخها اتفاقات معينة. و أضاف بيترسون بأن بريطانيا اعترفت بعبد العزيزبن سعود ملكا على العربية السعودية في اتفاقها معه بتاريخ 20 مايو 1937، و أنه تعهد في المقابل باحترام وضع مشيخات ساحل الخليج العربي. و أضاف بيترسون كذلك بأن عبد العزيز تعاطف خلال الحرب مع " الديمقراطية ". و أنه استعمل نفوذه نيابة عن حكومة جلالته في تهدئة ثورة مايو 1941 في العراق، و ناب هنالك عن الأمم المتحدة بصفة عامة. و أشار المفاوض الإنكليزي بأنه عندما تأثر دخل عبد العزيزبن سعود بانقطاع موارد الحج مدّت الحكومة البريطانية في منحتها له " و لا زالت المنحة تصل إليه حاليا في شكل سلع و إمدادات من مركز تموين الشرق الأوسط و ذلك على حساب الحكومة البريطانية ". و أضاف بيترسون بأن " لندن لا زالت توالي عطاءها للسعودية من الحصّة البريطانية في برنامج الهبات و القروض و تمدّها بمساعدات أخرى ". و خلص بيترسون إلى أن مصالح بريطانيا في الخليج العربي واجبة الرعاية، فتلك المصالح في هذه المنطقة توغل في بداياتها اعتبارا من القرن السابع عشر و تمتد على طول القرن الثامن عشر ثم إلى القرن التاسع عشر حيث دخلت بريطانيا في بداياته في حروب مع قبائل المنطقة بهدف ضرب " القرصنة "، و قد كلف هذا الجهد بريطانيا تضحيات غالية. كما عملت بريطانيا كذلك على وقف تجارة السلاح في الخليج العربي " و فتحته أمام تجارة جميع الأمم ".و يدّعي المفاوض البريطاني بأن لندن قامت من خلال الاتفاقات التي عقدتها مع شيوخ المنطقة " لإدارة شؤونهم الخارجية و لحمايتهم عسكريا ,و للأخذ بأيدي هذه الدول و دفعها، رغم الفقر الذي تعانيه، في طريق تبيّن أنها سارت فيه سيرا حسنا ". و انتهى المفاوض إلى أن بريطانيا تهتم بهذه المنطقة اهتماما كبيرا حتى أنها لا تطيق أن ترى أية قوّة في تلك المنطقة تشاركها النفوذ، و تهدد الطريق البريطاني إلى الهند. و ذكر المفاوض البريطاني بأن السياسة البريطانية تنبني في هذه المنطقة على " تهدئة الأحوال الدولية و العربية و الداخلية، و تحرص على أن تنأى بها عن حدّة أية منافسة قد تطيح بالاوضاع المستتبة فيها حاليا. و يرى المفاوض البريطاني أن اكتشاف الزيت في هذه المنطقة، لاسيما في البحرين، سيقود إلى ازدهار هذه المناطق التي تحرص بريطانيا على أن تحافظ على هدوء الأحوال فيها. و نبّه المفاوض البريطاني بأن المنافسة تخلّ بالاوضاع البريطانية الراهنة، و تعوق تطور استخراج النفط، وتحول دون الإفادة من المصادر الأخرى في هذه المنطقة، كما أنها ستؤثر بطريقة ضارة على خطوط البرق التي توصل لندن بالهند. وتعرقل خطوط الطيران التي تمرّ بالمنطقة في طريقها إلى الهند[405].

استمرت المفاوضات بين الجانبين البريطاني و الأمريكي، و حشد المفاوض البريطاني فيها كافة الحجج الممكنة ليبعد عنها المنافسة الأمريكية و يدعو بها المفاوض الأمريكي إلى تنسيق الجهود البريطانية الأمريكية للحفاظ عليها تحقيقا للمصلحة المشتركة، خاصة في العربية السعودية " لما لملكها من وضع في أوساط العرب و المسلمين كافة ". و ذكر موريس بيترسون أن بريطانيا تعترف بأن للولايات المتحدة مصالح نفطية نامية في المملكة العربية السعودية لكنه أنكر أن يكون الوضع البريطاني هو الوضع الذي يراه الرئيس الأمريكي روزفلت الذي أبرق به لتشرشل من " أننا نناطحه " في بعض الجهات. و أكد بيترسون بأنه اتصل شخصيا بالأميرين السعوديين، فيصل و خالد، و عندما جاءا في زيارة إلى لندن، و أكد لهما بأن بريطانيا تعترف بالمصالح النفطية للولايات المتحدة الأمريكية ". و جاء رأي ولس موريه بأن المصالح النفطية لأمريكا في المنطقة لا تقل في أهميتها بحال عن المصالح النفطية و الأسطولية لبريطانيا فيها. و أضاف أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تخشى أن تؤجج حكومة بريطانيا معها المنافسة النفطية في الوقت الذي يتردد فيه احتمال نقص مخزون النفط في الولايات المتحدة الأمريكية وما لهذا الاحتمال من مردودات سياسية بعيدة المدى على حكومة روزفلت خاصة في هذه السنة التي تشهد الانتخابات الأمريكية. و أكد موريه بأن العربية السعودية تعني بالنسبة لهم مصالح إقتصادية مهمة، و أنهم سيعملون على تطوير صناعة النفط في تلك البلد. و أضاف موريه أنه يرحب بالتعاون بين الدولتين البريطانية و الأمريكية في هذا الإطار و يدعو إلى تنسيق السياسات بينهما في هذا المجال.و أوضح بنسرت (وزارة الخزانة البريطانية) حجم التكاليف المادية التي تتجشمها بريطانيا في العربية السعودية و السلع التي تفد إلى السعودية من خلال مؤسسة جلاتلي هانكي و شركائهم. و ناقش بنسرت موضوع إدخال الولايات المتحدة الأمريكية للسعودية في برنامج القروض و الهبات. و شجب بنسرت إرسال مبالغ كبيرة من المال إلى السعودية لأن حكومة واشنطن" أعطت السعودية ضمن البرنامج المشار إليه، خمسة عشر مليون دولارا فضة، و عرفنا أنهم سيعطونها عشرين مليون دولارا فضة أخرى في المستقبل القريب ". و يرى بنسرت أنه يجب أن لا يُمدّ ابن سعود بمبالغ كبيرة مثل هذه، و يجب أن تنسق الجهود بين الدولتين البريطانية و الأمريكية في هذا الصدد. و رأى بنسرت أنه من الأجدى مدّ السعودية بعملة ورقية و العمل على الحد من وصول العملة المعدنية اليها. و تشكك المندوب الأمريكي في نفع العملة الورقية في بيئة متخلفة من مثل المنطقة السعودية.و واصل بنسرت حديثه لينهي إلى المندوب الأمريكي بأن ابن سعود قلق بشأن تنظيم وضعه المالي، و أنه طلب إلى الحكومة البريطانية أن تمدّه بمستشار مالي سني من الهند، و أن لندن طلبت إلى حكومة الهند مدّ ابن سعود

بهذا المستشار، لكن حكومة الهند لم تجد الرجل المناسب بعد.و أضاف بيترسون[406] لما قاله بنسرت بأن ابن سعود طلب إلى حكومة لندن أن تمدّه بمستشارين عسكريين هنود سنيين ليبدأوا في تطوير الجيش السعودي على أسس حديثة. و يرى بيترسون أن هؤلاء المسلمين السنيين من العسكريين سيعملون في مناطق مكة و المدينة التي هي من مناطق الحاميات السعودية. و طلب بيترسون إلى موريه أن يتعاون هؤلاء الهنود مع الضباط الأمريكيين الذين سيفدون لتدريب الجيش السعودي في الطائف. (في التعليق أن موريه ذهل لمعرفة الإنكليز بهذه الحقيقة) و أبرز بيترسون بأن سلاح الجيش السعودي يأتيه مجانا إذ تقوم بريطانيا بمنحه 50% من قيمة السلاح هدية، أما ال50% المتبقية فتمنح له خصما على برنامج القروض و الهبات الأمريكي. و أجاب موريه، المندوب الأمريكي أنه " بالنسبة لكلينا فنحن لا نريد جيشا سعوديا قويا. إن جماع ما يريده كلانا هو جيش سعودي لحفظ الأمن في الداخل فقط ". و عبّر موريه بأن الأهداف و المصالح الأمريكية و البريطانية في المنطقة هي واحدة، طبيعة و عملا.و أكد موريه بأن هناك أعدادا متزايدة من الأمريكيين تقصد البحرين، و أن هؤلاء وجهوا نقدا لحكومتهم واتهموها بأنها لا ترعى شؤونهم. وأضاف موريه بأن هذا الأمر قد أثير من قبل مع الحكومة البريطانية دون أن يلقى منهم استجابة لتجاوزه. و لم يوافق موريه على الرأي الذي أتى به المفاوض البريطاني من أنه " إذا سمحنا أن يدخل قنصل أمريكي إلى البحرين فسيدخل الآخرون في ركابه، و سيتخذون من هذا العمل حُجّة و ذريعة و سابقة ". و عاد بيترسون ليقترح مد أعباء القنصل الأمريكي في الظهران لتشمل حدود قنصليته البحرين التي لا تبعد أكثر من ساعتين عن الساحل السعودي، و أن يتولى قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الظهران مسؤولية العمل القنصلي في البحرين دون أن تتقدم الولايات المتحدة بطلب إلى لندن للتصديق لها بذلك، و على أن تعتبر زيارات العمل التي يقوم بها ذلك القنصل إلى البحرين في نظر الحكومة البريطانية عملا غير رسمي. و لم يقبل ويلس موريه بهذا الرأي، و رأى بدوره وجوب قيام قنصلية أمريكية في البحرين بل " ربما نرسل بشرطة أمريكية إلى البحرين لرعاية شؤون الأمريكيين هنالك ". وأوضح المفاوضون الإنكليز للمفاوضين الأمريكيين بأن الرعايا الأمريكيين في البحرين لا يقعون تحت طائلة قوانين الشيخ إنما هم ضمن السلطة القضائية للوكيل السياسي البريطاني. و اعترض المفاوض البريطاني على فكرة وجود شرطة أمريكية، و اقترح بأن تقوم في البحرين شرطة خاصة تابعة للشركة تحت رعاية الوكيل السياسي البريطاني. و أشار عضو المفاوضات البريطاني، نكلسون، عن مركز تموين الشرق الأوسط، إلى أن الهدف السياسي للمركز هو " العمل على أن نمدّ السكان بالقوت اللازم "، و رأى في هذا المركز الذي يديره

البريطانيون و الأمريكيون مع بعض المحليين مظهرا من مظاهر التعاون بين البلدين.و أشار إلى أن مكتب القاهرة يقوم بصفة أساسية على البريطانيين و الأمريكيين، و أن مشكلات الشرق الأوسط يُنظر إليها بمنظار أمريكي بريطاني واحد، و ليس ثمّة اختلاف في وجهات النظر في هذه الادارة المهمة التي تتعامل مع مشكلات المنطقة و هي في بواكيرها قبل أن يستفحل أمرها[407].

كانت الهند و مقيمها في الخليج و مكتبه في البحرين على اتصال دائم بالمفاوضات و ذلك من خلال بيل Peel، مندوب وزارة الهند و عضو المفاوضات البريطاني. اعترض المقيم على الرأي الأمريكي الذي يدعو إلى وجود قنصل أمريكي في البحرين خاصة في العمل في المجال القضائي فيما يتصل بالأمريكيين في المنطقة " فإن هذا القنصل لو عمل بصورة مشتركة في القضاء مع الوكيل السياسي البريطاني فإن الوكيل السياسي سيفقد هيبته إلى حد بعيد. و لن يمر وقت طويل حتى يشارك وكيلنا في كرسي القضاء أحد الفرس ". و اقترح المقيم أن يظهرالقنصل الأمريكي في الظهران في القضايا التي تهمّه بصفته محلفا أو مستشارا، و أشار مقيم الخليج بأنه قام، بعد التشاور مع الممثل المحلي لشركة بترول البحرين، بتعيين أربعة من الأمريكان و أربعة أخرين من الإنكليز للعمل في ضبط الأمور في المنطقة. و أنهى بيل للإجتماع السادس في المفاوضات بأنه قد قامت في البحرين هيئة شرطة خاصة من ثمانية جنود بريطانيين و أمريكان يعملون تحت إمرة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين. و أعلن بيل بأنه إذا رغبت الولايات المتحدة الأمريكية في زيادة أعداد هذه الشرطة الخاصة فإنه مستعد أن يبحث هذا الأمر مع وكيل البحرين السياسي. و أضاف بيل بأن القضايا التي يكون أحد أطرافها في البحرين من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يمكن للحكومة الأمريكية أن تعين مراقبين لحضور هذه الجلسات. و جادل بيل بأنه لا يجوز لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية معارضة العمل بهذا النظام لأنه مطبق فعلاعلى مواطنيها في الهند البريطانية.

انتهت هذه المفاوضات، بعد عدد من الجلسات، إلى النتائج التالية التي تضمنها البيان الختامي:

يقوم قنصل الولايات المتحدة في الظهران بزيارات متكررة إلى البحرين و ذلك بهدف تقديم التسهيلات القنصلية لمواطنى الولايات المتحدة الأمريكية في تلك المنطقة، على أن يكون هذا العمل دون اعتراف رسمي من السلطات البريطانية.و نسبة لزيادة أعداد الفنيين و عمال البناء الأمريكيين

في البحرين العاملين في شركة النفط فإنه يتعين تعيين ثمانية افراد من الشرطة، أربعة منهم أمريكيين يقوم الوكيل السياسي البريطاني بتعيينهم. وإذا اتفق الطرفان الأمريكي و البريطاني على زيادة عدد أفراد الشرطة فتكون نسبة الزيادة متساوية لكل من الطرفين.وفي حالة تقديم أي مواطن أمريكي للمحاكمة في البحرين فإنه سيحاكم بموجب قانون الإجراءات الهندي المطبق هنالك، و سيحكم الوكيل السياسي البريطاني في هذه القضايا بموجب هذا القانون، على أن يكون معه على المنصّة مستشارين أمريكيين أو محلّفين يكون أغلبهم من الأمريكيين. كما يجوز لقنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الظهران أن يشهد هذه المحاكمات كمراقب أو كمستشار.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أقامت في14 رمضان 1363/ 2 سبتمبر 1944 قنصليتها في الظهران، و جعلت عليها وكيل قنصل. و دخلت البحرين نتيجة هذه المفاوضات في دائرة نفوذ هذا الموظف بصفة غير رسمية [408]. و أخذ وكيل القنصل الأمريكي يتردد بصفة متواترة إلى البحرين ليتفاوض مع وكيل البحرين السياسي في المسائل التي تهم المواطنين الأمريكيين في المنطقة من تأشيرات المرور و تنظيم وثائق السفر، و ما إلى ذلك. و أصبح للأمريكان خاصة مع وجود مجتمع أمريكي في البحرين تطلعات تجارية خاصة في التعامل في السلع الاستهلاكية. و حدث أن طلب وكيل القنصل الأمريكي من الوكيل السياسي البريطاني توضيحا لما بلغه من أن أحد التجار الفرس في البحرين طلب السماح له باستيراد نوع من السجائر الأمريكية و رفضت السلطات البريطانية طلبه[409], و في مناسبة أخرى طلب وكيل القنصل الأمريكي توضيحا لرفض السلطات الهند البريطانية في الخليج العربي لطلب من شركة نفط البحرين لجلب سبعمائة إلى ألف عامل ايطالي للعمل في عمليات الحفر و التنقيب. و ذكر وكيل القنصل أن الخارجية الأمريكية مهتمة بهذا الأمر، و لم يجد الوكيل السياسي ردا مقنعا. فحقيقة الأمر هي أنه إذا انزلق قسم من الخليج العربي ليستقر في أيدي الأمريكيين فإن الهند البريطانية لن تسمح بوصول الطليان في ثياب الأمريكان. كان جواب الوكيل السياسي البريطاني بأنه منع هذا الأمر تجنبا للتعقيدات و لم يزد. و طلب وكيل القنصل الأمريكي إلى الوكيل السياسي توضيح طبيعة التعقيدات التي أشار إليها. و كان رد الوكيل السياسي البريطاني أنه لا يعرف عن طبيعة هذه التعقيدات شيئا كثيرا، لكنها ربما تعود إلى أن البحرانيين يكرهون الإيطاليين لما أحدثوه من غزو لليبيا خلال الحرب العظمى، أو ربما لأن إيطاليا قامت بقصف البحرين في رمضان، أو لأعتبارات من هذا القبيل. و كتب الوكيل السياسي في البحرين في 2 نوفمبر 1944 للمقيم السياسي في الخليج العربي يطلب إليه وضع سياسة واضحة يلتزم التعامل بموجبها مع وكيل القنصل الأمريكي. و أضاف الوكيل السياسي للبحرين بأنه لا زال

ملتزما بالتعليمات الصادرة له بتاريخ 10 يونيو 1944 بأن يعامل وكيل القنصل الأمريكي معاملة حسنة " إلا أنني أرى أنه لخطأ فادح أن أقوم بمناقشة الشؤون السياسية، و شؤون السياسة المحلية و السياسة العامة في الخليج مع ممثل صغير الرتبة لدولة أجنبية، فهذه أمور يمكن – في تقديرى - أن تجري مناقشتها في مستويات أعلى ". و يرى الوكيل السياسي أن وكيل القنصل الأمريكي يتجاوز تعليماته، وأنه يزجّ أنفه فيما لا يجوز له. و في خطاب لمقيم الخليج العربي بتاريخ 22 نوفمبر1944 جاء منه[410]:" أنه من حسن الحظ أن وكيل القنصل الأمريكي في منطقة الخليج قليل الاهتمام بالسياسة العربية، كما لم تتوفر له الخبرة الكافية لملء هذا المنصب. و أشار المقيم أن وكيل القنصل الأمريكي استعدى لويد هملتون Hamilton مدير شركة نفط البحرين ". ويضيف المقيم أنه " ما دامت الولايات المتحدة الأمريكية تستعمل في المنطقة موظفين غير مؤهلين، فلا خوف على مصالحنا في هذه المنطقة. أما إذا دفعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بموظف ذكي مُلمّ بتفاصيل السياسة المحلية و بمشكلات الشرق الأوسط، و له معرفة باللغة العربية، فإن الأمر سيكون مختلفا جدا ". و طلب المقيم إلى حكومة الهند أن تعين كطلب الوكيل السياسي في البحرين لهذا الوكيل خطا ثابتا يتبعه في معاملته لهذا لوكيل القنصل الأمريكي " لأني لم أستطع أن أرسم له خطا واضحا. إلا أنني أبلغته أنه ليس من حقّ وكيل القنصل المذكور التدخل في مسائل السياسة المحلية إلا عن طريق الوكيل السياسي. كما أبلغته أيضا إنه فيما يخصّ تعامل هذا الموظف الأمريكي مع شركة النفط فيجب أن يظل مفهوما لديه بأن هذه الشركة هي شركة بريطانية ".

أبدى الوكيل القنصل الأمريكي في الظهران رغبته في زيارة قطر و الساحل العماني. و اعترض المقيم السياسي في الخليج على قيامه بهذه الرحلة [411] " لأنه ليس للولايات المتحدة الأمريكية أية مصالح في قطر، كما أننا لم نسمح لأي أوربي أو أمريكي من قبل أن يقوم بزيارة الســاحل المهادن و ذلك فيما عدا السماح لبعض أطباء البعثات التنصيرية، إضافة إلى أنه لا يوجد في تلك المناطق أي أمريكان سوى بعض الجنود العاملين في خدمة الأهداف الحربية، و ليس للقنصل أي دخل بشؤون هؤلاء ".و أضاف المقيم في هذا الخطاب المؤرخ19 ذي الحجة 1363/ 5 ديسمبر 1944 " بأننا إذا واققنا على هذه الزيارة فسيكون من المتعذر علينا أن نمنع قنصل فارس في البصرة من زيارة الساحل المهادن حيث يوجد عشرة آلاف فارسي. و يختتم المقيم خطابه بأنه " لا يعتقد أن وكيل القنصل الحالي مؤهل بالخبرة أو الدراية كافية لإلحاق الضرر بالمصالح البريطانية في المنطقة ". و لكن ليس هنالك من ضمان في أن من سيخلفه سيكون غير كفء مثله ".

طلبت حكومة الهند إلى وزيرها في لندن أن يرسم لوكيل البحرين البريطاني سياسة واضحة في تعامله مع وكيل قنصل الظهران الأمريكي. و أجاب الوزير في28 جمادى الثانية 1364/ 10 يونيو 1945 على استفسار حكومة الهند بأن أكد أن حكومة الهند هي التي تتولى تصريف شؤون الشيخ في البحرين، و أن على وكيل القنصل الأمريكي أن يتصل بسلطات هذه الحكومة في الخليج فيما يعن له من أمور تتصل بهذا الجانب. أما بالنسبة للمسائل النفطية " فعلى وكيل القنصل الأمريكي أن يناقش هذا الأمر مع وكيل البحرين السياسي بصورة غير رسمية، و عليه كذلك أن لا ينسى أبدا أن شركة بترول البحرين هي شركة بريطانية، و أنه بموجب المادة الرابعة من الاتفاق المعقود بين الحكومة البريطانية و الشركة، فقد تقرر أن لا يتعامل ممثلو الشركة بصفة مباشرة مع الشيخ ". و خلص الوزير إلى أن " حكومة جلالته تشجع العلاقة الطيبة و الصداقة التي يجب أن تسود علاقة الوكيل السياسي البريطاني مع وكيل القنصل الأمريكي الحالي. ويرى الوزير أنه إذا نشأت مشكلات بين هذين الموظفين فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ربما تضطر حفاظا على مصالحها التي تعتبرها شرعية إلى تبديل هذا الموظف بآخر أكثر منه خبرة و دراية و دربة " ما يعود بالضرر على السياسة البريطانية في المنطقة [412].

قرّرت حكومة لندن بعد مشاورات مع الهند و مقيم الخليج أن تعترف بمد دائرة القنصلية الأمريكية في الظهران إلى قطر و الساحل المهادن. و يشكل الخطاب الذي أرسلته الخارجية البريطانية إلى سفارة الولايات المتحدة الأمريكية[413] في لندن بتاريخ 3 يوليو 1945 أول خروج عن السياسة الهندية التي عملت على إبعاد كل القوى الأجنبية الأخرى عن تلك المناطق. غير أن حكومة الهند و لندن من ورائها لم تسمح بهذا الإجراء إلا بعد أن فرغت من شد وثاق المنطقة بكل التعهدات التي تجعل وصول نفوذ أية قوّة أخرى أمرا غير مؤثر. و اشترطت لندن في هذا الخطاب، بناء على مقتضيات السياسة الهندية، بأن تعامل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مع هذه المناطق يجب أن لا يتم إلا من خلال الأجهزة السياسية لبريطانيا في الخليج العربي. و يذكر هذا الخطاب الذي تسلّمه السفير الأمريكي في للندن: " ردا على خطابكم المؤرخ في 22 مارس يسرنا أن نبلغكم بأننا قد وافقنا على طلبكم على أن تمتدّ مسؤولية وكيل القنصل في الظهران إلى الساحل المهادن و قطر و البحرين و ذلك على أسس غير رسمية. كما وافقنا أيضا على أن تقوم السلطات البريطانية في الخليج بتقديم كافة التسهيلات الممكنة لهذا الموظف كي يزور هذه المناطق بين الفينة و الأخرى، و له أن يزور مسقط كذلك. و بما أننا سعدنا بالاستجابة لرغبة حكومتكم فيتعين علينا أن ننبه، درأ

لسوء الفهم، إلى النقاط التالية التي يجب أن تكون واضحة لوكيل القنصل في المنطقة و هي كما يلي: -

إن أمر تسيير العلاقات الخارجية لحكام قطر و الساحل المهادن و البحرين هو أمر ملقى على كواهلنا بحكم اتفاقاتنا مع شيوخ هذه المناطق، و سيظل هذا الأمر من شؤوننا نحن نقوم به بصفة كاملة. و عليه فعلى وكيل القنصل الأمريكي أن يناقش مسائل العمل الرسمية الخاصة بتلك المناطق مع الوكيل السياسي البريطاني أو مندوبه في تلك المناطق، و ليس مع الحاكم المحلي.

إننا نعترف و نقرّ تماما بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في البحرين. ومع ذلك يبقى أن ننبه إلى أن شركة النفط العاملة في البحرين هي على العموم شركة بريطانية، و علينا يقع واجب حمايتها. و يجب على وكيل قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة أن يعرف أنه بموجب بحكم نصّ المادة الرابعة من الاتفاق المبرم بين الحكومة البريطانية و الشركة في 23 جمادى الأولى 1359/29 يونيو 1940 الذي ينظم التعامل بين الشركة و حكومة البحرين يُحتَّم الرجوع إلينا في المسائل التي تهمنا. و عليه يرجى إخطار وكيل قنصلكم في المنطقة بأنه فيما يتعلق بالمسائل المتعلقة بشؤون النفط ينبغي عليه الرجوع إلى وكيلنا السياسي في البحرين ".

كانت لندن قد أبرقت للهند فور تلقيها خطاب 22 مارس المشار إليه بفحوى الخطاب و طلبت إليها الإسراع في الحصول على تنازلات رسمية من شيوخ الساحل فيما يخص حقوقهم في إدارة القضاء الخاص بشؤون الأجانب[414].

ورد في هذا الخطاب ذكرُ مسقط ضمن دائرة قنصلية الظهران بالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تطلب هذا الأمر في خطاب مارس الذي أشير إليه. بدأت مسألة إحياء التمثيل القنصلي للولايات المتحدة في مسقط في مايو 1945 حين طلب وكيل قنصل الظهران أن يمتد نشاط قنصليته إلى مسقط. و تذكر مصادر الهند أن السلطان غير راغب في أن يمتد النشاط القنصلي الأمريكي إلى بلاده [415] بالرغم من أنه كان للولايات المتحدة الأمريكية، كما أشرنا سلفا، قنصلية أغلقتها في عام 1915م، و بالرغم من أن هذا حقّ تكفله لها المادة التاسعة من اتفاق الولايات الأمريكية المتحدة مع مسقط في عام 1833م.

سمحت حكومة لندن بموجب خطاب يوليو للسفير الأمريكي في لندن بهذا بمد الخدمات القنصلية من الظهران إلى مسقط. و كتبت لندن إلى سلطات الخليج العربي بانها وافقت على مد

التمثيل القنصلي لأمريكا إلى مسقط، و طلبت لندن إلى سلطات الخليج عدم اخطار سلطان مسقط بهذا " لأنه حاكم مستقل، و ربما كره منا أن نتفق على هذا الأمر من وراء ظهره.أما حين يعرف السلطان بهذا عن طريق حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فيمكن أن يُقال ايضا أننا عرفنا به بدورنا من الحكومة الأمريكية "[416].

زار وكيل القنصل الأمريكي في 29 جمادى الأولى 1365/الأول من مايو 1946 في زمرة من الموظفين الأمريكيين مسقط و التقوا سلطانها. و أخطر السلطان الوكيل السياسي البريطاني بأنه كان قد تلقى في ابريل 1946 من وكيل القنصل في الظهران بأن حدود تمثيله القنصلي تشمل مسقط فيما تشمل. و ذكر السلطان أنه كان يعتقد أن مسقط تقع في دائرة التمثيل القنصلي لقنصلية الولايات المتحدة الأمريكية في بومباي. و على العموم فإن جهل السلطان هذا الأمر يدل دلالة قاطعة على عدم وجود ارتباطات امريكية وثيقة بمنطقة مسقط و عمان[417].

أما في الساحل العماني فقد كانت بداية الوجود الأمريكي بداية عسكرية نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية و التعاون الانجلوأمريكي في ذلك الصدد. دلف الوجود العسكري الأمريكي إلى الشارقة منذ صيف عام 1943 م حين دعت ضرورة الحرب إقامة بعض المباني و الانشاءات لخدمة الأهداف الحربية و العمل على المسح الجوي للمنطقة. و أقرّ العسكريون الأمريكيون في المنطقة للعسكريين البريطانيين بأن يتولى البريطانيون تصريف الأمور السياسية التي قد تنجم عن الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة و ذلك لاعتراف الأمريكيين صراحة أنهم يجهلون طبيعة المنطقة و الظروف المحلية التي تكتنفها. و أبرق وكيل البحرين السياسي في 22 فبراير 1944 بأن تنظيم كافة العمليات الأمريكية في منطقة الشارقة يتولاها العسكريون البريطانيون من سلاح الجوّ الملكي البريطاني. و في 31 يوليو 1944 طلب وكيل البحرين السياسي [418] من المقيم في الخليج العربي أن يعمل على إرسال قوّة صغيرة من الشرطة العسكرية الأمريكية (شاويش و أربعة جنود) إلى الشارقة بأقرب فرصة ممكنة. و بنى الوكيل السياسي الطلب على الإعتبارت التالية:

" الشارقة بلد فقير مجدب و ستخلق ظروف الحياة الصعبة وسط الأمريكيين جوّا من التوتر النفسي ما سيخلق مشكلات يتطلب حسمها وجود شرطة أمريكية لحفظ النظام في أوساطهم ".

" إن النظام في العادة مفقود بين الأمريكيين بصفة عامة، و عندما يمتزج غياب النظام بشعور الكراهية التي يكنّها الأمريكيون للعرب، تلك الكراهية النابعة من الشعور بميزة تفوق

العنصر التي يمارسها الأمريكان حتى في بلادهم مع الزنوج فستتفاقم الأمور. و يضاف إلى هذا خوف الأمريكيين الموجودين بالمنطقة من أن يفاجئهم العرب بغارة يقطعون فيها رقابهم.ان هذه المشكلات تخلق احساسا بضرورة وجود شرطة أمريكية ".

يدل هذا الخطاب على بعد نظر الوكيل السياسي في البحرين إذ لم ينقض شهر حتى خرج خمسة من الأمريكيين العاملين في الشارقة في سيارة لهم بعد مغيب الشمس و هاجموا بعض الاكواخ بهدف الاعتداء على الأعراض [419]. و قامت سلطات الخليج السياسي البريطانية فور وقوع الحادث بالاتصال بقائد سلاح الجوّ الملكي البريطاني الذي اتصل بدوره بالقائد الأمريكي المسؤول عن العمليات الجوية في المنطقة، فأصدر أمره بعد التحري بأن لا يفارق الجنود ثكناتهم بعد مغيب الشمس، و أن لا تخرج أي مركبة لهم من المعسكر في الليل إلا لطارئ. و انقضت أحداث ليلة 31 يوليو على هذا النحو. و كتب وكيل البحرين السياسي في 12 اغسطس 1944 بأن هذا الحادث يجعله يصرّ على ضرورة الاسراع بارسال شرطة أمريكية لحفظ النظام في صفوف الأمريكيين بالشارقة[420].وأنهى الوكيل السياسي " أن عدد الأمريكيين في الشارقة يبلغ الستين رجلا يقودهم الليوتنانت تولي Tolly الذي لا يبعث شكله على الثقة حيث يظهر و كأنه صبي في السادسة عشر من عمره ". و أبرق المقيم في 15 اغسطس إلى البعثة البريطانية في طهران يذكر أن القائد الأمريكي المسؤول في الشارقة لا يملك من المقدرات ما يمكنه من السيطرة على قواته، و طلب المقيم إلى البعثة التدخل لمعالجة هذا القصور. كما تساءل وكيل البحرين عن جدوى وجود الأمريكيين في الشارقة.و يبدو انه أثار بسؤاله أمرا أكبر من حدود سلطاته إذ جاء الرد بأن وجود الأمريكيين في الشارقة " هو أمر مهم لخدمة الأهداف الحربية، و أنهم يشكلون جزءا من القوات الأمريكية الجوية العاملة في مجال النقل بالمنطقة (U.A.T.O.)

أعانت سلطات الخليج الهند و بريطانية الأمريكيين في المسح الجوي في الشارقة[421] و أمدّتهم بالمترجمين ،و أسبغت عليهم من نتائج نفوذها السياسي. و حين انتهى المسح الجوى لهذه المنطقة رغب الأمريكيون في اغسطس 1945 في مسح مناطق مسقط و عمان جوّا. و لم يوافق المقيم على ذلك و طلب إلى حكومته منع هذه الخطوة و إقناع الأمريكيين بأن " الوضع في ظهير مسقط غير مستقرّ، و أن المساحين التابعين لشركات البترول البريطانية حاولوا من قبل مسح المنطقة لكنهم فشلوا في هذا المجال. كما أن بعض فرق مكافحة الجراد حاولت الوصول إلى المنطقة

في الظهير و فشلت بدورها أيضا ". و أضاف المقيم " أنه بالرغم من أننا لا نريد أن نظهر بمظهر غير المتعاونين، إلا أن هذا الأسلوب (الأمريكي) يبدو غير عملي على الاطلاق."[422].

في الحقيقة فإن الوجود الأمريكي في الخليج العربي لخدمة أهداف الحرب كان أكبر من أن يستطيع سدنة الخليج (المقيم و مكاتبه) و حكومة الهند أيضا احتواءه. و بالرغم من أن حكومة الهند مدفوعة بسلطاتها في الخليج ضغطت في المجال السياسي ضدّ تسمية شرطة أمريكان أو قضاة أمريكان للتعامل مع المجتمعات المدنية الأمريكية في البحرين إلا أنها في المجال العسكري ظلت تضغط على وجوب وجود شرطة أمريكية للتعامل مع العسكريين الأمريكان. فحين وصلت في مارس 1944 الأنباء بأن بعض رجال الجوّ الأمريكيين سيعسكرون في مطار المحرق (البحرين) الذي يقع تحت إدارة ضابط مسؤول في سلاح الجو البريطاني اقترح الوكيل السياسي البريطاني ضرورة أن تصحب المجموعة الأمريكية معها شرطة يقتصر نفوذها على التعامل مع الأمريكيين العسكريين العاملين في المحرق [423]، و اتفق الضابط البريطاني المسؤول عن قيادة مركز البحرين الجوي مع مقيم الخليج على ضرورة تواجد هذه الشرطة [424]. كما كان من رأي سلطات الهند في الخليج " أن لا يكون لهولاء الجنود أدنى تعامل مع العسكريين الأمريكيين في المنطقة إلا من خلال الضابط المسؤول عن سلاح الجوّ الملكي البريطاني في البحرين، و أنه إذا طرأ ما يستدعي هذا التعامل، فعلى الضابط البريطاني المسؤول أن ينقل وجهات نظر العسكريين الأمريكيين إلى الجهات السياسية البريطانية ".

إذا كانت بداية النفوذ الأمريكي قد أطلت على الخليج العربي من نافذتين أساسيتين: سياسية من خلال قنصلية الظهران و عسكرية من خلال قوات الجوّ الأمريكية، فقد كانت هنالك نافذة ثالثة لدخول الأمريكان إلى أعالي الخليج العربي وكان فتحها أسبق من نافذة الظهران التي تمكن البريطانيون من التحكم في ما يفد عبرها حين جعلوا التعامل مع الخليج الأدني و الأوسط في يد قنصلية الظهران التابعة لبعثة جدة. تمثلت هذه النافذة الثالثة في الوجود الأمريكي في بغداد - البصرة. كان الوزير(السفير) الأمريكي في بغداد أول دبلوماسي أمريكي يزور مناطق متعددة من الخليج العربي. وأبرقت حكومة الهند إلى وزارتها(في لندن بتاريخ 18 مارس 1944 بأن [425] " هذا الدبلوماسي الأمريكي بدأ في زيارة الساحل العربي للخليج العربي، و أنه سيزور الكويت و البحرين و ربما مسقط ". و أبرقت الخارجية البريطانية في اليوم ذاته إلى سفارتها في بغداد تستفسرعن مغزى زيارة الوزير الأمريكي للساحل العربي و طلبوا إليها تقصّي انطباعاته عن المنطقة حين

يعود إلى بغداد " لأنها بالطبع ستلقي ظلالها على محادثات ويلس موريه"[426].و أبرقت بغداد إلى لندن بأن زيارة الوزير الأمريكي للساحل العربي تتم نتيجة لتوجيهات وزارة الخارجية الأمريكية، و أنه ناقش الأمر مع السفارة البريطانية قبل سفره. و طلبت السفارة البريطانية إلى سلطات الخليج السياسية أن تعمل على تقديم المساعدات اللازمة له، وأن تعامله والقنصل الأمريكي في البصرة المرافق له بما يستحقانه من التكريم. و أبلغ السفير البريطاني حكومته[427] " بأنه لا يعرف عن أهداف الزيارة شيئا محددا لكنه أضاف أنها تتصل بالطبع بالاستثمارات النفطية ووجود الموظفين الأمريكيين في البحرين و في مناطق أخرى من الخليج. كما أنها ربما تتصل بدراسة الأحوال السياسية في المنطقة و محاولة استقصاء الاحتمالات التجارية فيها ". و أبلغ السفير البريطاني أن هندرسون، الوزير الأمريكي، قام قبل أن يتوجه إلى الكويت بزيارة خورمشهر حيث يوجد لأمريكا نشاط عسكري كبير و نشاط ملاحي عظيم مرتبط بصفة أساسية بنقل المساعدات إلى روسيا، كما قام هندرسون أيضا بزيارة عبدان، " و سأتقصى انطباعاته حين يعود ".

عاد هندرسون إلى بغداد في 31 مارس و هو " لا يمل " الحديث عن الكويت و البحرين[428]. و يسرنا أن هندرسون راقه الاستقبال الذي وجده و من معه من الوكلاء السياسيين لبريطانيا الذين وصفهم بأنهم يؤدون عملا عظيما في خدمة الجهود الحربية الأنجلوأمريكية ". و أضافت أنباء السفارة البريطانية في بغداد أن أهداف السفير من رحلته هي الأهداف المذكورة آنفا. و أفادت السفارة أن هندرسون أرسل إليها يشكر " المقيمين البريطانيين في الكويت و البحرين. و يذكر الخطاب " بأن وكيل الكويت السياسي نظّم له لقاء مع الشيخ، كما طاف به في الكويت و المناطق المجاورة لها، و أن وكيل البحرين السياسي لم يدخر جهدا في إنجاح الزيارة "، و أفاض هندرسون في وصف الكرم الذي لقيه منهما. و يضيف " لقد سرّنا ما يقوم به هؤلاء الموظفون من عمل ممتاز لخدمة أهدافنا المشتركة ". و تقول مصادر المقيم السياسي بأن سلطان مسقط لم يُسرّ بزيارة الوزير الأمريكي لمسقط و لا لصلالة " خاصة و أن الوزير أمريكي قدم مسقط من العراق. كما لم يعجب السلطان أيضا أن السفير الأمريكي اتصل بنا دونه لتنظيم هذه الزيارة. غير أن ضيق السلطان لم ينعكس علينا إنما على الولايات المتحدة الأمريكية "[429]. و يتحدث المقيم بعد هذا عن المصالح الأمريكية في مسقط التي يصفها بأنها غير موجودة تقريبا. و يذكر أن آخر تقرير من مسقط في هذا الشأن كان في عام 1936م حين ظهر بأن الأمور القنصلية لأمريكا يتولاها الوكيل - القنصل البريطاني. و ينتهي المقيم بأنه وفدت رسالة من بغداد بشأن مدافن المسيحيين في مسقط، و أنهم أجابوا عليها بأنه يوجد للنصارى مقبرتان في مسقط تتبع إحداها بعثة التنصير الأمريكية.

قامت محادثات موريه في لندن في ابريل من هذه السنة و عرفنا فيما سبق سرده أن البريطانيين حولوا النشاط الأمريكي في الخليج الأوسط و الأدنى إلى وكالة القنصلية في الظهران التي تتبع البعثة الأمريكية في جدة. و ربما يعود هذا لحرص البريطانيين لإبعاد اية مؤثرات من بغداد للتعامل مع شؤون الخليج. غير أن الكويت دخلت بالتدريج في دائرة نفوذ قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في البصرة رغم الحرص الذي ابدته السلطات البريطانية على استبعاد ذلك.

قام ستن Sutton، وكيل القنصل الأمريكي في البصرة بزيارة الكويت في الفترة من 13 إلى 16 يوليو وذلك بعد أن طلب إلى ديلونج، مدير بعثة التنصير الأمريكية في الكويت، الاتصال بالوكيل البريطاني في الكويت لينظم له لقاء مع شيخها. [430]و تعاون الوكيل السياسي البؤريطاني مع وكيل القنصل الأمريكي تعاونا تاما حتى أنه عرض ان يستضيفه ليسكن في مبنى الوكالة لكن وكيل القنصل اعتذر عن ذلك و فضّل أن ينزل في ضيافة بعثة التنصير الأمريكية. ومع ذلك فقد لازم الوكيل السياسي البريطاني وكيل القنصل الأمريكي " ملازمة الظل " في فترة بقائه بالكويت و ذلك تحقيقا للتعليمات الصادرة له بالتعاون التام معه و التجسس عليه لتقصي الهدف من الزيارة. و تقول مصادر الوكيل السياسي أن زيارة وكيل القنصل إلى الكويت " كانت بهدف التحية و المجاملة، و أنه لم يناقش أي أمر من الأمور السياسية، كما أنه لا يعرف العربية، و لا يعرف شيئا كثيرا عن الكويت و لا عن تاريخها، بل أنه يجهل ما إذا كانت تقع ضمن حدود قنصليته أم غير ذلك".

استمر الاهتمام الأمريكي بالبحرين يتعاظم حيث رفعت الولايات المتحدة الأمريكية مرتبة وكيل قنصلها في الظهران إلى درجة القنصل. و رأت بوشهر في هذا دليلا جديدا يعكس أهمية اتساع مسؤولية الظهران في نظر واشنطن[431].

بالرغم من هذا المتدد الذي اكتسبته قنصلية الظهران لم تكن واشنطن مقتنعة بعدم التمثيل القنصلي في البحرين. ففي زيارة للبحرين قام بها الين Allen، السفير الأمريكي في طهران، في سبتمبر 1946 سأل رسل Russel، مدير شركة بابكو في البحرين عن مدى الحاجة إلى تمثيل مستقل للولايات المتحدة في البحرين. و كان رأي رسل كما قال به للوكيل السياسي في البحرين بأن الشركة تلقى كل عون من السلطات البريطانية في المنطقة، بل أن بريطانيا أظهرت استعدادها لاستعمال اسطولها و إمكاناتها الأخرى في المنطقة للدفاع عن الشركة إذا ظهرأي طارئ يستدعي

الدفاع. و أضاف الوكيل السياسي بأنه لا يعرف إذا كان سؤال السفير نابعا من رغبة واشنطن لتقصي ذلك أم هو مجرد استفسار شخصي[432].

صاغت لندن في هذا العام ذاته سياستها تجاه الوجود الأمريكي في المنطقة في مذكرة جاء منها[433]: " بصورة عامة فإن سياسة حكومة صاحب الجلالة و مقتضيات استراتيجيتها تتطلب تشجيع الولايات المتحدة الأمريكية للتدخل في شؤون الشرق الأوسط، و أن يكون للأمريكان مصالح في المنطقة ". و تضيف المذكرة أنه يمكن أن يشجع الأمريكيون في التعامل مع فارس حيث " ليس لنا في أوقات السلم معها أية مصالح مهمة إلا القليل ". أما على الساحل العربي فرأت لندن أن يثبط الأمريكيون في العمل فيه " لأننا نريد أن نحتفظ بوضعنا الراهن كالقوّة الوحيدة التي تستطيع أن تسوي النزاعات السياسية بين الشيوخ، و لا نريد للأمريكان أن يتدخلوا في هذه الأمور مع أنهم جادون في التدخل إذا أتحنا لهم نصف فرصة ". و طلبت المذكرة إلى المقيم السياسي ان يجتهد في بذل المعاملة الطيبة للأمريكيين، و ان يظهر لهم التعاون الذي ينشدونه. كما أوجبت لندن في مذكرتها على المقيم السياسي أن يناقش مع قنصل الظهران كافة مسائل التجارة و الأمور الأخرى التي تدخل ضمن مسؤوليات القنصل. ووجهت المذكرة بأن تكون علاقة الأسرة السياسية الهندوبريطانية في الخليج بالأفراد الأمريكيين علاقة " طيبة، وليس هنالك ما يستدعي أن نضع لهم قوانين ثابتة يلتزمونها في معاملاتهم مع الأمريكان." و كان من رأي المقيم البريطاني في الخليج حين بلغته المذكرة تبني العمل على التعاون المشترك بين الدولتين و أنه " لا يرى ضيرا من أن يشاركهم الأمريكان في هموم شيخ البحرين و نواياه تجاه بلدة الزبارة، أو في طموح سلطان مسقط المُبيّت في أن يفرض نفوذه على عمان الداخلية بعد أن يتوفى الإمام"[434]. و يبدو أن النفوذ البريطاني الهندي قد بدأ يُسلِّم بتعاظم النفوذ الأمريكي. ففي بداية عام 1947م نجد أن أمريكا قد زادت من عدد موظفى قنصليتها في الظهران كما زادت أيضا في رتبهم الوظيفية[435]. و أرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند في 24 نوفمبر 1947 بعد انقضاء أجل حكومة الهند تسلم بهذه الحقيقة. جاء في مذكرة الخارجية البريطانية [436]" لقد سنحت الفرصة أخيرا لمناقشة مسائل الشرق الأوسط مع بعض المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية، خاصة فيما يتصل بالوضع الخاص لبريطانيا في المشيخات العربية ". و أنهت وزارة الخارجية الأمريكية إلى لندن أنه لا اعتراض لديها على استمرار هذا الوضع الخاص غير أن هنالك مصاعب خاصة تنشأ من عدم التفهم الكامل و التفاهم بين الوكلاء السياسيين لبريطانيا في المنطقة و بين ممثلي الحكومة الأمريكية و الأفراد الأمريكيين." و توصل الجانبان إلى أن الأمر يستدعي بعض التسامح من الجانب

الأمريكي و غضّ النظر أحيانا عن التجاوزات البسيطة. و تعهد البريطانيون على توجيه سلطاتهم في الخليج لتجنب الاحتكاك مع الأمريكيين إلى أدنى درجة ممكنة." و لهذا يسرنا أن تخطروا هاي Hay، المقيم، بصورة سرية بأن يصدر تعليماته إلى موظفيه بتجنب الاحتكاك ما أمكن مع الأمريكيين، الرسميين منهم و العامة ". و تضيف المذكرة بأن سياسة الحكومة البريطانية في المنطقة لا تعمل على تجنب الاحتكاك بين الجانبين فحسب لكنها تدعو سلطات الخليج العربي إلى العمل " لإشعار الأمريكيين بأنهم أصدقاء حميمون. و" ربما كان هنالك تنافس دائم بين المصالح الأمريكية و المصالح البريطانية إلا أن هذا يمكن أن يعالج بالروح التي يعالج بها ما قد يوجد من منافسة بين المصالح البريطانية المختلفة.أي أن هذه المنافسة يمكن أن تكون ،بل يجب ان تكون، طابعها الصداقة. يجب أن نزيل عن عقولنا، بصورة تامة، الشعور المتعمق فينا من أنه على المستوى الرسمي هنالك تنافس بين البريطانيين و الأمريكيين. علينا على العكس من هذا، أن نعاملهم معاملة ديدنها التعاطف، و ان نقدم لهم كل المساعدة التي يحتاجونها على الصعيدين الرسمي و الشخصي، و أن نشرك الأفراد الأمريكيين معنا في الأمور كلها، الرسمية و الإجتماعية منها, و أن نمنحهم ثقتنا كلها، و ان نجعلهم يثقون بأننا نرحب بالتعاون معهم وأننا نقاسمهم وجهة النظر الأساسية ذاتها. و يجب أن أنبَّه بشدة إلى أن علينا أن نتخذ المبادرة لأننا المسيطرون على المنطقة، و يقع على موظفينا في المنطقة أن يتقدموا بالخطوة الأولى في هذا الاتجاه. و تضيف مذكرة وزارة الخارجية البريطانية أن الحكومة الأمريكية ستصدر توجيهاتها لممثليها في المنطقة على هذه الأسس ذاتها ليعملوا بها في علاقاتهم مع السلطات البريطانية في الخليج العربي.

يتضح لنا من هذه المذكرة أن السيطرة التامة الشاملة التي مارستها سلطات حكومة الهند البريطانية في الخليج العربي زمنا طويلا قد آلت إلى الزوال و إن لم تكن زالت تماما مع زوال حكومة الهند، و أن زمن السلام البريطاني في الخليج قد انقضى عهده ليفسح المجال للسلام الأمريكي ليأخذ مكانه، بوكالة بريطانية، في التحكم في إدارة سياسة الخليج. وغدت سفن الأسطول الأمريكي مع بداية هذه الفترة تدخل إلى موانئ الخليج العربي بعد استئذان شكلي من الوكلاء السياسيين الذين كانوا تابعين لحكومة الهندالبريطانية في المنطقة. يقول المقيم: " إننا نريد أن نحتفظ، بصفة عامة، على أن تكون حكومة صاحب الجلالة هي الجهة التي تملك التصديق على دخول السفن الأجنبية إلى الخليج ". و يعود المقيم ليعترف بأنه " على الرغم من أن ظهور القطع الحربية للإسطول الأمريكي يُعد مظهرا من مظاهر التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا في

الخليج إلا أن هناك شعورا متزايدا بين حكام الساحل العربي في الخليج بأن القوّة الأمريكية باتت أكثر قدرة من القوّة البريطانية على مساعدتهم [437]،و قد بدأنا نلاحظ آثارا طفيفة في هذا الصدد ".

الإتحاد السوفيتي و الخليج العربي: -

حاول الإتحاد السوفيتي أن يفيد من الاستياء العربي العام الذي خلفته أثار مؤتمرات السلام بعد الحرب العالمية الأولى. و كما هو معروف فإن مؤتمرات السلام قسّمت الوطن العربي إلى شرائح على مائدتي بريطانيا و فرنسا، و لم تتوان الولايات المتحدة الأمريكية من فرض نفسها ضيفا شرها على هاتين المائدتين. و طمع الاتحاد السوفيتي بدوره إلى الدخول إلى الوطن العربي بحجة مناصرة قضايا العرب ضدّ الاستعمار مستغلا هذا في الوصول إلى هدفه النهائي في إقامة صرح الشيوعية العالمية. لم تكن روسيا قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية تهتم بالارض العربية – فيما عدا الليفانت – اهتماما كبيرا. و ربما يمكن القول أنه لم يكن لها اهتمام يذكر بشبه الجزيرة العربية. سعت روسيا السوفيتية إلى إقامة علاقات مع ابن سعود، و سعى ابن سعود إليها لأن سياسته كانت - فيما نعتقد - تحقيق التوازن الدولي في منطقته ليُحيِّد بهذا النفوذ البريطاني المستشري في الشرق. اعترف الاتحاد السوفيتي بعبد العزيز بن سعود ملكا في 11 فبراير 1926 و لما ينقض على إعلانه قيام المملكة أكثر من شهر واحد [438]. و كان اعتراف الاتحاد السوفيتي السريع بلقصد منافسة الموقف البريطاني و العمل على تعرية زيف السياسة البريطانية تجاه المملكة الناشئة. و في عام1939 م رفع الاتحاد السوفيتي تمثيله السياسي في السعودية من قنصل إلى وزير. لم يكن أمام البريطانيين و القوى الغربية الأخرى الممثلة في جدة في كل مرّة إلا أن تسير في أثر الاتحاد السوفيتي و تتصرف بمثل تصرفه حتى لا يكسب المنافسة.

عقد الإتحاد السوفيتي في 17جمادى الأولى 1347/الأول من نوفمبر 1928 مع اليمن اتفاقية للصداقة و التجارة كان هدف الاتحاد السوفيتي منها فضح الاستعمار البريطاني، و العمل على محاصرة نفوذه و لإرساء أساس لأهداف الشيوعية العالمية كما سبق الذكر.

أما النشاط السوفيتي في الخليج العربي فقد كان في مجمله نشاطا تجاريا. غير أن الحكومة البريطانية كانت تدرك، كما تقول وثائقها، بأن التجربة قد علمتهم بأن وصول أي سفينة سوفيتية إلى أي ميناء من الموانئ الهندية تعقبه موجة من عدم الاستقرار وسط العمال حيث تبدأ الاضطرابات و تسود الاضرابات[439]. و لهذا ما ان نشطت تجارة السوفيت في النصف الثاني من عشرينات هذا القرن في المنطقة العربية حتى وجهت الحكومة البريطانية بمنع نزول بحارة السفن السوفيتية في

بورسعيد حتى تأمن الموانئ المصرية بوادر رياح الثورة. و في 11 يونيو 1928 وجهت بريطانيا مندوبها في العراق كي " ينصح" الحكومة العراقية لتسن قوانين خاصة في ميناء البصرة تعرقل بها نشاط السفن السوفيتية المتوقع وصولها إلى الخليج العربي. و رأت وزارة الخارجية البريطانية أن من واجب بريطانيا أن توجه شيخي الكويت و البحرين لاتخاذ إجراءات مماثلة. كما رأت وزارة الخارجية البريطانية أنها ستعجز عن القيام بأي عمل مماثل في مينائي المحمرة و بندرعباس التابعين لفارس[440].

و صلت في الأول من المحرم 1347/ 20 يونيو 1928توبلسك Toblsk، أولى طلائع السفن السوفيتية في الخط الذي افتتحه السوفيت بين موانئ البحر الأسود و منطقة الخليج العربي إلى بوشهر. و أفرغت السفينة توبلسك الكثير من السلع و المنتجات الروسية من سكر و زجاج و صابون و أحجار بطاريات[441] الخ..ثم أتمت جولتها في الخليج و عادت إلى مسقط لاحتياجها إلى الوقود فأمدتها السلطات السياسية البريطانية بثلاثمائة طن من الفحم البريطاني من مخزن مسقط. و لم ترض وزارة الخارجية البريطانية من سلطات الخليج العربي السياسية هذا التصرف غير المأذون.و قررت وزارة الخارجية أن تزويد السفن السوفيتية بالفحم من الموانئ الأجنبية " من الناحية الاسمية " مثل مسقط، أو من الموانئ البريطانية يجب أن لا يتم إلا بعد موافقة حكومة لندن [442]. و دافعت سلطات الخليج بأنها اسرعت بتزويد هذه السفينة بالوقود حتى تخرج عن ميناء مسقط لا تبقى راسية فيه لمدة طويلة، و أن قائد سفن الخليج قد وافق على هذا التصرف [443].

اهتم الرأي العام البريطاني بخبر زيارة هذه الباخرة السوفيتية إلى الخليج العربي. و أوردت الصحافة البريطانية في 18 اغسطس 1928 تقريرا عن زيارة توبلسك نقلا عن الصحافة السوفيتية. جاء في هذا الصدد أن توبلسك عادت إلى أوديسا بعد زيارة ناجحة إلى الخليج العربي، و أن هذه الرحلة تعد الزيارة الأولى للسفن الروسية إلى تلك المياه منذعام 1914م. و يذكر التقرير أن توبلسك تمكنت في رحلتها هذه من تصريف ثمانمائة طن من السكر و المنسوجات الروسية و البضائع الأخرى. و يكشف التقرير بأن توبلسك زارت الحديدة، و أن الامام يحي و حاكم المدينة عبّرا في هذه المناسبة عن أملها في توثيق العلاقات السوفيتية اليمنية. و يذهب التقرير أن السلع السوفيتية لقيت رواجا في بندرعباس و في بوشهر.و فيما يبدو فقد مهدت زيارة هذه السفينة للاتفاق الذي عقد بعدئذ في الأول من نوفمبر 1928 بين اليمن و الاتحاد السوفيتي. و تكشف الوثائق البريطانية أن رحلة توبلسك لم تكن تجارية بحتة، ففي 15 يونيو 1929 أرسلت الحكومة البريطانية إلى وزارة

الداخلية بالقاهرة [444] ترجمة لخطاب مرسل من شركة فوسترج Vostrog إلى الرفيق بركيني Berkine ممثل فوسترج في الحديدة. جاء فيه أن رحلة السفينة السوفيتية الأولى إلى الخليج العربي (توبلسك) استطاعت أن تنظم في بوشهر جمعية الشرق Chark للصداقة الروسية الفارسية. كما أرسل مع هذا التقرير عدد التايمز اللندنية الصادرة بتاريخ 10 ذي الحجة 1347/20 مايو 1929 الذي جاء منه أن السوفيت بدأوا يسوقون الرحلات التجارية إلى العالم الإسلامي،و صاروا يعملون في تلك المناطق تحت ستار شركات لا تختلف عن بعضها البعض إلا في أسمائها. و تضيف التايمز أن السوفيت بعد أن ثبّتوا لأنفسهم في الحديدة صاروا يعملون على نقل مركز عملياتهم النشطة من البحر الأحمر إلى الخليج العربي.

أخذت السفن السوفتية للتجارة، بعد رحلة توبولسك، تتقاطر تباعا إلى الخليج العربي. ففي 10 اكتوبر 1928 وصلت الباخرة الروسية[445] مايكل فروز Michail Furze إلى البصرة حاملة سلعا سوفيتية شتى. و أصبح للسوفيت بعد هذا في البصرة وكالة تجارية تولاها فنلال أخوان Venelal Bros. و توضح التقارير البريطانية بأن الحكومة العراقية " لم تعترض على الإتجار مع الروس و لكنها تدرك تماما أن عليها أن تبذل جهدها في مراقبة التجارة السوفيتية خشية من أن يتخذها السوفييت ستارا لحجب " دعايتهم ".

جاء في تقرير في نوفمبر لعام 1928 بأن تجارة السوفييت في منطقة الخليج العربي غير رائجة " لأن سلعها لا تتناسب مع ما يطلبه أهل الخليج "[446]. و يشير هذا التقرير إلى أن السفن السوفيتية تحمل الكيروسين إلى الخليج.

و كتبت سلطات الخليج الهند وبريطانية في 22 مارس 1929 بأن شيخ البحرين[447] طلب منع السفن السوفيتية من زيارة موانئه. و أحيل الطلب إلى وزارة المستعمرات البريطانية و لم توافق حكومة لندن على ذلك الإجراء: " لأننا نتولى تسيير العلاقات الخارجية لشيخ البحرين و ستكون مسؤولية القيام بهذا العمل هي مسؤوليتنا أمام السوفيت، و سيسألوننا عما إذا كنا المحرضين لاتخاذ هذا الإجراء "[448]. و لهذا رأت الخارجية البريطانية الاكتفاء بعرقلة تجارة السفن السوفيتية في موانئ البحرين دون صدور اعلان صريح بحظرها. و في ابريل 1929 أطلعت سلطات الخليج الهندو بريطانية شيخ البحرين بأنها لا تعترض على وصول السفن السوفتية إلى الخليج العربي رغم عدم ترحيبها بذلك، و أنه لا مانع لديهم من أن يتعامل البحرانيون في التجارة مع السوفيت بشرط أن لا يكون في أوساطهم من يعمل " للدعاية السوفيتية " [449]. و بالرغم من رفض لندن حظر وصول

السفن السوفيتية إلى البحرين و الكويت بشكل صريح قام شيخا هذان البلدان في عام 1930 م بحظر وصول السفن السوفيتية إلى موانئهما. و بالرغم من هذا الحظر الجزئي تزايد عدد السفن السوفيتية في الخليج العربي في عام 1930 م حتى وصل المعدل إلى سفينة تفد الخليج كل عشرة أيام[450]. و دخلت السلع السوفيتية في هذه السنة في منافسة حادة مع السلع البريطانية. و تضيف تقارير الكويت لعام 1932م أن السلع السوفيتية التى تأتي الكويت من المحمرة أو البصرة غزت السوق الكويتية، و أن الإقبال عليها قد تزايد. و يصف التقرير المصنوعات الروسية بأنها " أنيقة لكنها غير متينة " [451].

طلبت لندن في عام 1933م إلى سلطات الخليج العربي البريطانية في بوشهر أن توافيها بتقرير عن مدى تأثير الدعاية السوفيتية التي يبثها راديو موسكو على الرأي العام في مسقط. و أفاد تقرير الوكيل البريطاني في مسقط بأن الإذاعة السوفيتية تسمع في مسقط لكنها تبث برامجها باللغة الروسية و قد تلجأ إلى البث باللغتين الإنجليزية و العربية أحيانا. [452]و يضيف التقرير بأن البث الإذاعي في مسقط لا يصل إلا لعدد محدود من المواطنين وذلك لأن عدد أجهزة المذياع في مسقط لا يتعدى أصابع اليد الواحدة عددا. " لكن و برغم هذه المعوقات إلا أنه يسبب إزعاجا. فقد سمعت أحد المساقطة يقارن بين ناقلتي بترول أحداهما سوفيتية و الأخرى من العالم الحر !". و استصوب الوكيل أن يبث راديو بومباي المسموع في مسقط بعض برامجه باللغة العربية. و جاء رد المقيم في الخليج العربي على الاستفسار الوارد من لندن بأن " أمر الإرسال الإذاعي لموسكو غير خطير و لا داعي للقيام بأي عمل تجاهه في الوقت الراهن ". [453]

تشير التقاريرالإقتصادية الواردة إلى الخليج العربي لعام 1934 م بأن أهم ما يميز هذه السنة هو انسحاب السفن السوفيتية من الميدان تماما، و أن ذلك قد حدث منذ نهاية عام 1933 م.و يفسر التقرير هذا التراجع بأن السفن السوفيتية التي تفد الخليج العربي بالسلع السوفيتية ترجع منه دون شحنات على الاطلاق ما أورثها مصاعب اقتصادية [454]. و لا نعرف عن تأثير السوفيت التجاري منذعام 1933م[455] حتى عام 1947م شيئا بعد هذا و لكن يلاحظ في هذه الفترة غياب السفن السوفيتية في قوائم هوية السفن التى دخلت الخليج ما يدل على انحسار موجة المد التجاري للسوفيت في المنطقة، ذلك المد الذي قوي في فترة غياب حكومة الهند عن الخليج العربي وانتهى مع استرجاعها لزمام الأمور فيه. غير أن الوثائق الأمريكية الخاصة بعلاقات روسـيا السوفيتية و ألمانيا النازية في الفترة بين عامي 1939 – 1941م تشير إلى أن الدولتين قد وصلتا إلى اتفاق

بتحديد مناطق نفوذ كل منهما في العالم. و طالب الإتحاد السوفيتي أن تدخل تحت نفوذه كل المناطق الواقعة إلى الجنوب من باكو عبر إيران في اتجاه الخليج العربي وصولا إلى المحيط الهندي. و لم يرفض النازيون طلب السوفييت و ذلك في محاولة منهم لتوجيه انظار السوفييت إلى آسيا بعيدا عن القارة الأوروبية. و لم يكتب لهذا الاتفاق الاستمرار - فعندما أعلن هتلر الحرب على الإتحاد السوفيتي أصبح الاتفاق حبرا على ورق[456] و كان من نتيجة ذلك أن شاركت بريطانيا الاتحاد السوفيتي في غزو إيران و إخضاع أرضها لمتطلبات الحلفاء الاستراتيجية.

لم تكن سياسات الإتحاد السوفيتي في الخليج العربي، حتى و إن التقت مع زوايا الفكر التحرري في المنطقة، تعمل في نهاية المطاف – شأنها شأن سياسات كافة القوى الدولية - إلا لتحقيق أهدافها السياسية و إن ساقها ذلك إلى مزاحمة قوى الاستعمار و النفوذ الغربي. و ليس أدل على هذا من أن السوفيت ساندوا في عام 1925م عاهل إيران في تقويض الحكم العربي في عربستان، كما وقف الإتحاد السوفيتي منذ عام 1946 م إلى جانب إيران مساندا لها في إدعاءاتها غير المؤسسة على البحرين، و لم يكن دافعهم إلى كل ذلك إلا التربص بالاستعمار البريطاني و ضربه في تلك المواقع التي كانت واقعة تحت النفوذ البريطاني. فقد كان همهم هو طرد البريطانيين من تلك المواقع ، لم يكن يهمهم أن تتحرر المنطقة أو أن تؤول بعد البريطانيين إلى أصحابها الشرعيين.

اليابان في الخليج العربي:

يذكر تقرير واردة من البحرين في 17 ذي الحجة 1334/15 اكتوبر 1916 أن السلع اليابانية قد وجدت طريقها إلى البحرين منذ عدّة سنوات[457]، لكنها لا تأتي من اليابان مباشرة إنما تفد عن طريق الموانئ الهندية. و اعتذر وكيل البحرين السياسي عن تقدير كميات هذه السلع في البحرين لأنها تظهر في قوائم شحن السلع تحت بضائع قادمة من الهند. و قدّر وكيل البحرين السياسي أن كميات السكر الياباني التي تصل إلى البحرين توازي 10 % من كمية السكر المستهلك في البلد.كما أشار التقرير بأن السلع اليابانية التي ترد البحرين تشمل المنسوجات القطنية و الحريرية و الكبريت و أواني المطبخ و غير ذلك.

لا تظهر التجارة اليابانية في الوثائق التي وقفنا عليها إلا في عام 1930م حيث ورد في أحد التقاريرأن البضائع اليابانية بدأت تصل إلى الكويت عن طريق الموانئ الهندية أو عبر العراق. و أن الحرير الصناعي الياباني أصبح له في أوساط الكويتيين من الطبقة العليا و الوسطى طلبا ملحوظا. [458]كما ورد تقرير من مسقط في أوائل عام 1931م يقول بأنه قد ورد إلى مسقط 853 طردا من المنسوجات اليابانية وصلت قيمتهاإلى 156.084 روبية، في حين أنه لم يصل من المملكة المتحدة من هذه المادة سوى 241 طردا بلغت قيمتها 130.868 روبية. [459]و لم يشر التقرير إلى ميناء المنشأ للمنسوجات اليابانية. و يشير التقرير إلى أن المنسوجات الإنكليزية لن تثبت في وجه منافسة المنسوجات اليابانية لأن الأخيرة بالرغم من " أنها أقل جودة إلا أنها أرخص سعرا ". و تنبأ الوكيل السياسي البريطاني في مسقط بأن السلع اليابانية سرعان ما ستغزو سوق مسقط. أما تقارير الساحل العماني في هذه الفترة فلم تشر إلى أي أثر للتجارة اليابانية فيما أشارت تقارير البحرين إلى أن السلع اليابانية أخذت في التزايد منذ عام 1930 – 1931م. و تردد هذه التقارير كذلك ما رددته مسقط من أن هذه السلع أقل متانة و أرخص سعرا. و يتضح لنا من هذه التقارير أن أهم سلع اليابان التي تفد البحرين هي الحرير الطبيعي و الصناعي، و الأحذية، و الزجاج، و صناعات المطاط.

بدأت السفن اليابانية القادمة من اليابان تصل إلى الخليج العربي مباشرة منذ عام 1933م، و بدأت تلبك السفن تجارة مباشرة مع البصرة و المحمرة. و امتد هذا النشاط التجاري بشكل ما إلى الكويت و البحرين و مسقط. و كان الأسمنت هو السلعة الرئسية التي تتعامل تلك السفن بالتجارة فيها. وصلت أول سفينة يابانية إلى الكويت في14 رمضان 1351/ 11 يناير 1933 و أفرغت بها 5005جوالا من الإسمنت. و زار قبطان تلك السفينة سوق الكويت و تعرّف على التجار و الأعيان الذين " راق لهم ما أبداه من أدب جم، و حاول القبطان مقابلة شيخ الكويت إلا أن الأخير اعتذر عن ذلك. و يشير خطاب الوكيل السياسي في الكويت المؤرخ في 27 يوليو 1933 إلى أن إحدى الشركات اليابانية كتبت إلى سلطات ميناء الكويت تطلب إليه أن يمدها بالمعلومات التالية[460]: "قوانين الميناء، قوانين الجمارك، قيمة إيجار المراسي، مواسم الإبجار إلى الكويت، سلع الاستيراد و التصدير، أسماء الشركات المعتمدة في الكويت، وأية معلومات أخرى أو مطبوعات تفيد في هذا الصدد ". و أحيل هذا الخطاب إلى وزارة الهند بعد أن علقت عليه بوشهر بأن الشركة المعنية ربما تزمع أن تسيير سفـريات لها إلى مـوانئ الخـليج العربي.

وصل عدد من اليابانيين في سبتمبر 1933إلى منطقة جنوب فارس و إلى العراق لدراسة مشروعات الاستثمار التجاري في هذه المناطق و دراسة امكانية مد خطوط بحرية يابانية إلى موانئ الخليج العربي. [461]و تمكنت هذه الجماعة من فتح شركة يابانية تحت اسم شركة فارس التجارية و جعلوا رئاسة هذه الشركة في طهران و افتتحوا لها عدّة فروع في فارس. كما وصل البصرة في هذه السنة يابانيان لدراسة المسائل المتصلة بالتجارة و الإبحار في الخليج العربي. و تلاحظ التقارير الآتية من البحرين لعام 1934 م أن التجار اليابانيين يفدون إلى الخليج العربي بأنفسهم و يتعاملون مع التجار المحليين بشروط سهلة.

ازدهرت التجارة اليابانية في الخليج العربي ازدهارا كبيرا في عام 1934م [462] حتى اشيع بأن هنالك شركة يابانية ستفتح خطا ليعمل مع الخليج العربي بصفة منتظمة مرّة كل شهر، هذا بالرغم من أنه لم تصل الخليج في عام 1933م إلا سفينتان يابانيتان فقط [463].

أرادت السلطات الإنجلو هندية في الخليج العربي أن تقاوم وصول السفن اليابانية إلى الخليج مستترة وراء حكومات الشيوخ العرب. و كتب المقيم إلى وزير الهند في 3 يناير 1934 أن حكومة البحرين منعت السفينة اليابانية ياشيدا Yashida من الدخول إلى مينائها للشحن أو التفريغ. و تلقت ياشيدا الإشارة فعدلت اتجاهها إلى الشارقة. و عقّب المقيم " نحن بالطبع لا نريد أن نشجع التغلغل التجاري لليابان في السواحل العربية، و بما أن حكومة البحرين، و البحرين دولة مستقلة، قامت بنفسها بمنع هذا التغلغل فاننا نرى أن هذا من حقها ", و بالطبع لم توافق لندن هذا التصرف كما لم توافق عليه أيضا عنه حكومة الهند. كتبت حكومة الهند إلى لندن في 5 يناير تقول بأن " الحظر الذي أشير على البحرين بالقيام به يبدو في نظرنا عملا غير جيد ". و تذكر حكومة الهند أن " اليابان ستعتبر أن هذا المنع صادر عن حكومة جلالته أو عن حكومة الهند، و أنها أوحت به إلى الشيخ، أو أرغمته على هذا، و ذلك بهدف إعاقة التجارة اليابانية مع الخليج العربي.و ستعتبر اليابان أن هذا المنع الموجه ضدّها عملا خارجا على قواعد الصداقة ". كما أشارت حكومة الهند إلى أن هنالك ضررا مباشرا سيصيب التجار البحارنة الذين تعاقدوا على هذه السلع و دفعوا أثمانها مقدما، كما سيصيب الضرر إلى جمارك البحرين كذلك." و بالرغم من أننا نثق بأن التجارة اليابانية في الخليج العربي يجب أن لا تشجع إلا أننا نعتبر أن الأسلوب الذي اتبعته حكومة البحرين ليس هو الأسلوب الأمثل لبلوغ هذا الهدف ". و أنكر المقيم البريطاني في الخليج أنه أشار على حكومة البحرين بتحويل مسار السفينة ياشيدا ," و إذا اعترضت الحكومة اليابانية فيمكن أن نخطرها بأن حكومة

البحرين قامت بهذا العمل دون استشارتنا ". و اختتم المقيم بأنه يمكن أن يراجع حكومة البحرين في هذا الشأن إذا استمرت السفن اليابانية تقصد الخليج بصفة دائمة. و يبدو أن هذا الأمر قد عولج مع حكومة البحرين بواسطة سلطات الهند في الخليج إذ نجد في قائمة البضائع التي وصلت البحرين في ذلك الشهر 650 طنا من الأسمنت أنزلتها السفينة ياشيدا ذاتها.

يستلفت الإنتباه بصفة خاصة تعامل هذه السفينة التجاري مع ميناء الشارقة حيث أفرغت فيه 250 طنا من الاسمنت ومع ميناء دبي الذي أفرغت فيه 105 طن اسمنت، كما أنزلت في الكويت 150 طنا من الاسمنت. و قصدت هذه السفينة إلى بندر شابور حيث أنزلت كمية من الاسمنت كذلك ثم واصلت رحلتها التجارية إلى المحمرة.

إستمر النشاط التجاري لليابان مزدهرا خاصة في فارس التي تأسست فيها مجموعة من الشركات اليابانية.و قام مندوب إحدى تلك الشركات في فارس إلى البصرة التي أراد أن يؤسس فيها فرعا. [464]و قابل المندوب في 22 مارس 1934 المدعو يوسف بن محمد حسن بهبهاني " تاجر من الكويت غير موسر ". و وافق بهبهاني على أن يكون وكيلا للشركة اليابانية في الكويت. و أشار التقرير بأن مندوب هذه الشركة سيقصد إلى البحرين ليُعين فيها وكيلا أيضا "[465].

و في 23 ابريل أرسل المدعو يوسف كانو إلى وكالة البحرين البريطانية يسالها الرأي في أمر قبوله القيام بوكالة هذه الشركة. [466]و أرسلت البحرين إلى بوشهر، و بوشهر إلى الهند تشير بأنها ترى أن توجه كانو لقبول الوكالة لأنه إذا رفضها فسيأخذها غيره " و كانو صديق للوكالة السياسية أنعمنا عليه قبل سنوات بوسام C.I.E[467] " و ألت الوكالة بعد موافقة حكومة الهندالبريطانية لكانو.

أجابت مصلحة التجارة لما وراء البحار في لندن في مايو 1934على استفسار المقيمفي الخليج العربي الذي ذكر فيه أن تجارة اليابان في الخليج تقع في قسمين، تجارة يابانية تأتي بواسطة تجار إنكليز أو آخرين غير يابانيين، و تجارة يابانية تحملها السفن اليابانية. [468]" فإذا لم يكن من الممكن مقاومة وصول القسم الأول من التجارة فهل يجوز مقاومة القسم الثاني منها ؟ ". و جاء رأي لندن ليفيد بأن هذا الأمر غير عملي.

و رد مسقط في شعبان 1356/أوائل اكتوبر 1937 خطاب باللغة العربية من القنصل الياباني في بيروت جاء منه [469] " إنطلاقا من رغبة الإمبراطورية اليابانية في توثيق عرى الصداقة

أرجو أن تمدّوا هذه القنصلية بأية تنظيمات أو لوائح وضعتها حكومة سموكم بالنسبة لدخول اليابانيين أو سكناهم في مناطقكم.و يطيب لي أن أتقدم برجاء إلى سموكم لتصدروا أمركم للجهات المعنية بإرسال صورة من هذه القوانين إذا كانت هنالك قوانين من هذا القبيل ". و أجاب السلطان بأنه " بصفة عامة لا توجد أية قوانين تحكم عملية التجارة مع اليابان و دخول اليابانيين إلى مسقط و سكناهم فيها، إلا أنه يجب أن يطلب الإذن بشان ذلك من حكومة مسقط و ذلك نتيجة لاختلاف الأحوال في بعض مناطق مسقط و موانئها ". و أشار السلطان بأن حكومته يمكن ان تنظر في كل طلب على حدّة " على ضوء الظروف السائدة ".

لم يطمئن المقيم البريطاني للإستفسار الياباني عن الأحوال التجارية في مسقط و كتب إلى حكومته يذكر بأن الأعمال التجارية لليابان في مسقط ليست كبيرة إلا أنه يخشى أن تستغل اليابان مسقط في [470]" أغراض سياسية أو استراتيجية. إن خط الساحل في مسقط طويل ممتد، و يقع في خط سير ناقلات البترول من الخليج العربي، كما يقع هذا الساحل في الطريق الرئيس للإمبراطورية الممتد من البحر الأحمر إلى كراتشي، و كذلك في خط معسكر سلاح الجوّ البريطاني في عدن. و لذلك أنبه إلى أنه من الأهمية بمكان محاصرة هذا النشاط حتى لا يستشري ". و أضاف المقيم بأن استفسار القنصل الياباني في بيروت " ربما كان نابعا من رغبة أحد التجار للعمل في المنطقة، و لكن ربما يكون الأمر غير ذلك ". و أشار المقيم إلى خطورة أن يضع اليابانيون لهم قنصلا في مسقط " يستلقط أخبار هذا الجزء من العالم ". و يضيف المقيم بأن اليابانيين لن يستطيعوا أن يعينوا قنصلا لهم في المشيخات العربية المجاورة " فذلك أمر غير ممكن بحكم الاتفاقات التي تربط تلك الجهات و تمنع حكامها من قبول التمثيل الخارجي. و نبّه المقيم إلى المشكلات التي كان يزرعها القنصل الفرنسي في مسقط و يجنيها البريطانيون ثمارها رهقا في مسائل مكافحة تجارة السلاح وفي الشؤون الأخرى. و أنهى المقيم إلى حكومته إلى وجوب مقاومة هذا الأمر حتى لا يستفحل.

ورد في يناير 1938 تقرير من استخبارات(سلاح الجوّ البريطاني يذكر أن اليابان تزمع أن تفتح في أواخر فبراير مكتبا تجاريا في بيروت للتعامل في المسائل التجارية الخاصة بالشرق الأوسط [471] و استمرت التجارة اليابانية في الخليج نشطة متزايدة يصورة أقلقت سلطات الهند في الخليج و أدركت أنه لا يمكن لها التغلب على المنافسة اليابانية إلا إذا دفعت الهند إلى المنطقة بسلع تماثل السلع اليابانية نوعا و ثمنا. و أشار هذا التقرير إلى أن السوق في البحرين قد صار إلى انتعاش مع بداية استثمار البترول، و طالب بأن ترسل الحكومة إلى المنطقة أحد خبراء الإقتصاد للبحث في

اساليب تطوير التجارة الهندية لأن الموظفين السياسيين في الخليج العربي " ليس لديهم الوقت و لا الخبرة و لا الدراية للتعامل في مسائل التجارة و النظر في اسلوب تطويرها ". و لم تتمكن سلطات الخليج الهندو بريطانية من ضرب النشاط التجاري لليابان حتى انتهى هذا النشاط بالحرب العالمية الثانية. و شهدت فترة ما بعد الحرب انتعاشا للشركات اليابانية في الخليج وصل بها في 1958[472] إلى تكوين و تشغيل شركات النفط في المنطقة.

نشاط القوى الدولية الأخرى في الخليج العربي:

كانت ألمانيا أبرز القوى الأجنبية الأخرى نشاطا في الخليج العربي في هذه الفترة. و تشير تقارير الساحل العماني لعام 1931م أن المنسوجات الصوفية تأتي المنطقة من ألمانيا. [473]و قد شهدت هذه الفترة من ثلاثينات القرن كذلك امتداد شركة هنتسا الألمانية للبواخر إلى الخليج العربي. نظمت هذه الشركة رحلات بين الموانئ الأمريكية و موانئ الخليج العربي. و تمكنت الشركة من نقل الكثير من المعدات الخاصة بشركة بترول البحرين[474]. و في ابريل 1936 زار وكيل شركة هنتسا في بوشهر البحرين بغرض فتح وكالة للشركة هنالك. و جاء من رأي حكومة البحرين أنها " لن تسمح بأية بوجود أية وكالات لأية شركات أجنبية ما لم يتولاها وكيل من البحرانيين. و بما أنه ليس من المرغوب فيه أن تفتح هذه الشركة الألمانية لها فرعا يقوم عليه موظف ألماني فإن تسميتها لوكيل عربي يتفق و الأهداف البريطانية ".

وصلت في ابريل 1937 إلى البحرين سبعة جوالات من البريد نقلتها شركة هنتسا في إحدى سفرياتها المباشرة من نيويورك إلى الخليج العربي[475]. و لم يوافق الوكيل السياسي البريطاني في البحرين على هذا التصرف فحجز البريد و أرسل عن طريق المقيم إلى مصلحة البريد الهندي يستفسر عما إذا كان من حق السفن الألمانية نقل البريد إلى الخليج العربي مباشرة، و أحتجّ بأن هذا ينافي الإتفاق المبرم في هذا الصدد مع شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية. و أحيل الأمر من الهند إلى هيئة البريد بلندن التي أشارت بأن أية جهة لها الحقّ في أختيار الشركة الناقلة لبريدها، و أن هذا القانون ملزم لكل الأعضاء في اتحاد البريد postal Uniun و لا يجوز بأي حال حجز هذا البريد. و رأت وزارة الخارجية بلندن بأن أمر عدم تسليم البريد لأصحابه سيثير إشكالات مع الولايات المتحدة الأمريكية لأن الشركة الألمانية ليست إلا شركة ناقلة لبريد أمريكي [476].

عُرف في عام 1938م أن هنالك بعض الكتب تصدر في ألمانيا باللغة العربية، و أن هذه الاصدارات وجدت قبولا في مصر و فلسطين. [477]و يشير التقرير أن هنالك مجموعة من الألمان يعملون في خدمة الأهداف النازية و يتخذون من القاهرة مقرّا لنشاطهم في البلاد العربية. أما الإسكندرية فقد امتد النشاط النازي منها حتى وصل إلى سوريا و العراق. و يذكر هذا التقرير أن هس Hess و هو أحد مواطني الإسكندرية يعمل مخلصا في الدعاية الألمانية و يجد من ألمانيا التمويل من خلال شركات السفن و التجار المسافرين على هذه السفن. و نعرف من تقرير آخر ورد في هذه السنة أيضا أن هنالك مجموعة من الصحافيين الألمان و بعض ممثلى الشركات الألمانية وفدوا إلى البحرين في هذه السنة. ويشير التقرير بأن هؤلاء الأشخاص أخذوا يحاولون فتح فرع لشركة ألمانية[478]. و كتب الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى المقيم " أن هذا العمل يجب أن يوقف، و أفاد بأنه حرّك الشيخ في هذا الاتجاه " [479]. و طلب الوكيل البريطاني من المقيم أن يرسم له الخطوط التي يجب عليه أن يسير عليها و الحدود التي يلتزمها في العمل على منع هذا النشاط. و أضاف الوكيل أن " أقلّ الاجراءات احتمالا هي أن نجعل الشيخ يصدر أمرا يقضي بأن لا يتولى وكالة هذه الشركة إلا وكيل إنكليزي أو بحريني ". و أبرق المقيم إلى الهند مؤيدا وكيله، و أبرقت الهند إلى لندن للحصول على موافقتها فوافقت لندن على هذا الإجراء. و رأت سلطات الخليج البريطانية أن تعمل على منع وصول هذه الشركة إلى الساحل العماني وذكرت أن أمر ذلك هين حيث أن السفن الأوروبية لم تتوافد بشكل كبير إلى تلك المنطقة، و أن المقيمية ترفض منح تأشيرة دخول للعديد من الأوربيين إلى تلك المنطقة. و تذكر الوثيقة أنه سبق أن منع شيخ دبي سفينة ألمانية من أن تفرغ شحنتها في مينائه.

أصدرت المقيمية[480] في الخليج في عام 1939م م تعليماتها إلى وكلائها في الكويت و البحرين و مسقط لبذل جهودهم في مراقبة الدعاية الألمانية التي وصلت إلى العراق و أثرت في شعبه " حتى أنهم باتو يشيرون إلى الكويت باعتبارها جزءا من العراق "[481]. و رفضت حكومة الهند في هذه السنة منح تأشيرة دخول إلى الكويت لأحد ملحقي البعثة الألمانية في العراق، و أبرقت الحكومة إلى المقيم بأن يحتجّ بأن شيخي الكويت و البحرين يرفضان إصدار مثل هذه التأشيرات ".

انتهى النشاط الألماني في الخليج العربي تماما مع بداية الحرب العالمية الثانية. أما النشاط الإيطالي فلا نجد له في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين أثرا كبيرا كالأثر الذي وجدناه للقوّة الألمانية.

جاءت بعض السفن الإيطالية[482] إلى الخليج في أوائل عام 1934م و عُلم أن تلك الشركة تريد أن تقيم خطا بين الموانئ الإيطالية و موانئ الخليج العربي. و طلبت الخارجية البريطانية إلى المقيم في الخليج العربي و حكومة الهند و الوزير في طهران تدبر الخطوات التي يمكن أن تحد من نشاط هذا الخط و توقفه لتبعد النفوذ الإيطالي عن أن يبلغ الدول العربية[483].و وجهت وزارة الخارجية بأنها لن تستطيع الإعتراض على تشغيل هذا الخط و تحظر وصوله إلى الموانئ العربية لكنها يممكن أن تعمل على تشريع قوانين تمنع نزول البحارة الطليان في تلك الموانئ. و على العموم يبدو أن هذا الخط لم يصل إلى طور التشغيل رغم أنه كان مدعوما، كما تقول السلطات البريطانية، بحكومة إيطاليا لتحقيق غايات سياسية. و لم تبلغ التجارة الإيطالية في الخليج شأوا كبيرا رغم أن قوائم السلع في البحرين تشير منذ عام 1931م إلى وجود سلع إيطالية في سوق البحرين.

حين دخلت إيطاليا الحرب عملت سلطات الخليج على تغذية الإشاعات[484] ضدّها في المنطقة و فشل هجوم قام به الطليان في عام1940م على البحرين و انتهى النشاط الإيطالي في المنطقة بعد ذلك تماما.

لا نجد لفرنسا في هذه الفترة سوى نشاط يسير جدا تمثّل في ظهور بعض سفنها الحربية في الخليج العربي في هذه الفترة. و اهتمت الدوائر الهندية بصفة خاصة بالسفينة بوجانفيل Bougainville التي زارت رأس الخيمة في يناير 1935 و التقى قائدها ريفيه Rivetبشيخ رأس الخيمة لساعة و نصف حاول الشيخ فيها استدراج ريفيه لبيعه بعض الأسلحة التي حظرها عليه البريطانيون لكنه لم يفلح في مسعاه. كما طلب الشيخ إلى القائد أن تعمل فرنسا على إرسال مهندس جيولوجي إلى رأس الخيمة للبحث عن امكانية وجود المياه الجوفية. و زار ريفيه في فبراير الكويت التي كان " ملما بالكثير من أخبارها و أخبار ابن سعود ايضا ". و قد أعلن ريفيه في الكويت أن فرنسا تزمع إرسال سفينة حربية إلى الخليج كل سنتين بصفة دورية. و حذّر ريفيه مما يبثه راديو القاهرة و من تأثير الصحف العربية على منطقة الخليج العربي. و ادّعى ريفيه بأنه على معرفة بفؤاد حمزة العامل مع ابن سعود الذي وصفه " بأنه سوري درزي من رعايا الفرنسيين ". و صرح بأنه اتصل به لينظم له لقاء مع ابن سعود[485]. و جهدت حكومة الهند لمقاومة هذا اللقاء و وصول السفن الحربية الفرنسية إلى المنطقة، انصاعت الخارجية البريطانية دون رضاء منها لما تطلبه الهند، و اتصلت بباريس مبدية رغبتها في أن تستأذن فرنسا لدخول سفنها إلى منطقة الخليج العربي خاصة إذا ارادت تلك السفن أن تغشى موانئ الساحل العماني حيث أن المنطقة تعيش في حالة من

البدائية يخشى معها اضطراب الأحوال. و في عام 1933م زارت السفينة الفرنسية أبرفيل Iberville مسقط و دبي و البحرين، و لم يكن لقائدها الذي كان يعاني المرض نشاط يذكر. غير أن حكومة الهند كانت تتبع تحركات تلك السفينة بكثير من القلق لأنها كانت تحمل طائرة " لو حلقت لأحدثت كثيرا من الاضطراب "[486].

أما بالنسبة للقوى الأخرى التي ارتادت منطقة الخليج في العقد الثالث و الرابع من هذا القرن فلا نعرف منها ومن اخبارها إلا النذر اليسير. وفدت الخليج في عام 1931 – 1932م ثلاث سفن نرويجية. كما نجد للنرويج في القوائم التي تسجل دخول السفن إلى البحرين لعام 1932 – 1933 ذكر لسفينتين نرويجتين. و تنقطع الإشارة إلى هذه السفن النرويجية في هذه الكشوفات حتى عام 1936-1937م حيث يظهر سجل السفن التي دخلت البحرين في هذا العام سفينة نرويجية واحدة إضافة إلى اثنتين و عشرين ناقلة بترول نرويجية كذلك. و شهد هذا العام فيما يبدو تهرؤ النقاب البريطاني المضروب على الخليج حيث نجد في سجل السفن التي دخلت إلى البحرين سفينتين هولنديتين إضافة إلى سفينة سويدية واحدة و أربع سفن للدنمارك و خمس لبنما. و يرتفع عدد السفن و الناقلات النرويجية التي قصدت البحرين في 1937-1938 إلى خمس وعشرين، و يصل عددها في السنة التي تليها إلى اربع و ثلاثين. و لا نريد الخوض في احصاءات السفن التي وردت الخليج لكننا قصدنا أن نستعملها كمؤشر لسقوط السياسة الهندية التي سعت إلى الحفاظ على عزلة الخليج العربي. و ظهر في سجل وصول السفن إلى البحرين في عام 1942-1943م عدد غثنتين و أربعين باخرة و ناقلة بترول من الفلبين بل إننا نشاهد في هذه السنة ناقلتى بترول تابعتين لجنوب افريقيا تمخران مياه الخليج العربي [487].

أما عن التأثيرات العربية الآتية من خارج منطقة الخليج العربي فنكاد لا نحسّ لها وجودا.فحتى إنشاء الجامعة العربية- كما جاء في التقارير، لم تحس مشيخات الخليج العربي ريحه[488]. و لم تشر التقارير اللاحقة إلى اهتمام الجامعة العربية بأمر هذه المنطقة أو أهتمام المنطقة بالجامعة العربية. و لم يمنع هذا الأمر من وصول أثر حركات المقاومة المصرية ضدّ الاستعمار البريطاني إلى علم سلطات الخليج العربي الهندوبريطانية. جاء في أحد التقارير لعام 1949م [489] " أنه يجب تحذير ناقلات البترول العابرة لقناة السويس بأن هنالك حركة مقاومة تقوم بها بعض قوارب الصيد المصرية لنسف ناقلات البترول التي تمرّ بالمنطقة ".

هكذا تدل الشواهد التاريخية المذكورة آنفا على زيف السياسة الهندية التي أعلنتها لندن مرارا من أنها فتحت مياه الخليج لتجارة كل الأمم، و أنها حاربت فيه القرصنة و كبحت تجارة السلاح. دفعت الهند لندن إلى منع اي نشاط لأية قوّة دولية في الخليج العربي، و دفعت الهند الشيوخ العرب في المنطقة إلى رفض اية علاقة مع اية قوّة دولية، وجهت الهند إدارتها في الخليج لملاحقة أية قوّة دولية و اتخاذ من الذرائع ما يمنعها من الدخول في علاقات مع الشيوخ العرب في المنطقة. فحكومة الهند البريطانية لم تكن تعرف من الخليج العربي إلا أنه منطقة أمنية متقدمة للوقوف أمام كل محاولات القوى من الوصول إلى امبراطوريتها و درّة تاجها أو منطقة يمكن لها أن تستغلها موقعا و اقتصادا في الحفاظ على السلام البريطاني. و لبلوغ هذه الأهداف ضربت حكومة الهند الجهاد العربي في الخليج العربي ثم حجبته بالتعهدات عن التعامل مع القوى الدولية الأخرى. و لم يتراجع الراج عن هذه السياسة إلا حين تبدلت الاستراتيجية في الخليج العربي. و تغيرت وظيفة الخليج العربي من حزام أمن للهند إلى مخزن لطاقة الدول الغربية. و لما سقط الراج بدا و كأنه أسلم رايته للخارجية البريطانية لكنه في الحقيقة أسلمها للولايات المتحدة الأمريكية و سياستها الرامية إلى الانفتاح على العالم لتستثمر و تستغل. و ظل المقيم ومكتبه و سلطات الخليج الهندوبريطانية الأخرى التي كان قد ولدها الراج تعمل على محاولة استقطاب التيارات الجديدة لكنها سرعان ما تبين لها أنها غدت أشباحا تحدث عن فترة تقلصت وانطوت صفحتها.

البترول و السيادة على جزر الخليج العربي:

ربما تعذر متابعة أول آثار إقليمية للبترول العربي على الأرض العربية و ذلك حين سعت كل الأمصار العربية مدعومة بشركات البترول العاملة فوقها لفرض سيادتها على أكبر حيز من الأرض الواحدة التي لا تعرف قبائل البدو من أهل الرحلة عليها حدودا. كتب في هذا الموضوع أكثر من مرجع متحيز لوجهة النظر هذه أو تلك كما أدلت أقلام أخرى برأيها[490]. قام كوكس في عام 1922م برسم أول خطوط الحدود على رمال الجزيرة العربية. و تخرج مسائل الحدود في الظهير العربي للخليج عن بحثنا هذا، فتلك الحدود بالرغم من أنها نتاج للسياسة الهندية إلا أنها تكن طرفا مباشرا فيها. فقد تمّت كلها (فيما عدا محاولة تثبيت حدود قطر مع السعودية) في فترة الغياب السياسي لحكومة الهند عن الخليج العربي. و لا ننكر بالطبع أن كوكس كان هنديا حتى عظامه، و لا ننكر أن سلطات الخليج العربي الهندية كانت القناة التي استعملتها وزارة المستعمرات في

العشرينيات من هذا القرن أو وزارة الخارجية في المرحلة التي تلت انقضاء حكومة الهند التي تركت بصماتها في مسألة البريمي. و ربما لا يهم بحثنا التناطح الأمريكي البريطاني في مسألة الحدود بين العربية ,إذ بقيت الأرض على تفككها، عربية السيادة و الهوية. و لكنا نلاحظ أن النفط جعل من شط العرب [491] حاجزا هائلا بين أرض عربية في الأحواز و بين الوطن الأم، و عملت الأحداث اللاحقة على محاولات طمس العروبة في تلك المنطقة. كان هذا ايضا جزء من لعنة إقليمية البترول الذي تطلب استثماره قدرا من الأمن و الإنضباط. و برهنت الاحداث و الاضرابات و الاضطرابات العمالية التي لفت منطقة عبدان في عام 1922م أن الشيخ خزعل قد شاخ فعلا، و ليس لديه الكفاية لتحقيق الأمن. و رأت السلطات البريطانية أنه ليس في عقبه من يستطيع تحمل تلك المسؤولية. و لم يكن من قبيل المصادفة أن البعثة البريطانية في طهران تراخت في تلك السنة عن مساندة قضايا الشيخ ضدّ السلطة المركزية في إيران. و لهذا آلت عربستان دون معارضة من بريطانيا إلى إيران في عام 1925م ليتولى رضا خان مسؤولية ضبط الأمن فيها. وصفت الوثائق البريطانية [492] هذا الرجل بأن الحشيش لا ينبت تحت أقدامه(94) فقدمت بريطانيا عربستان رشوة له في محاولة لاسترضائه وشراء تعاونه معها، [493] كما تحقق لها بهذا هدف الانضباط الذي كانت تسعى إليه في هذه المنطقة حيث الاستمارات البترولية البريطانية. و لم يقع هذا الأمر، بطبيعة الحال، في فترة المسؤولية السياسية لحكومة الهند في الخليج العربي.

أما أمر " توزيع " السيادة على جزر الخليج العربي فهذا أمر هندي من بداياته.إهتمت الهند أولا بالجزر ذات القيمة الاستراتيجية لأمن الهند مثل قشم و باسيدو و صيري و حنجام و بوموسى و الطنبين مضافا إليها مجموعة جزر البحرين التي عالجت أمرها على ضوء الإستراتيجية الأمنية للهند التي كان من مطلقاتها شقّ الخليج إلى قسمين: فارس بين و عربي بين لتسود قوّة الهند فيما بين البينين. و يمكننا أن نتبع بايجاز موضوع السيادة على الجزر حتى عام 1947م.

وصل الإنكليز إلى باسيدو منذ عام 1820م و ظلوا يستخدمونها بإذن من السيد سعيد، سلطان عمان، وجدد لهم ثويني بن سعيد هذا الإذن في عام 1864م. وظلت الجزيرة في الحقبة 1723-1879م أحد المرتكزات الرئيسية لرئاسة البحرية الهندية و السفن العسكرية البريطانية العاملة في الخليج العربي، [494]و تخلّت الهند البريطانية بعد ذلك عن الجزيرة لفارس و لم تهتم بردّها إلى مسقط[495].

احتلت فارس جزيرة صيري منذ عام 1888م و لم تعترف حكومة الهند لفارس بملكية الجزيرة لكنها لم تساعد - في المقابل - الشيخ القاسمي في الشارقة حين استنفرها في عام 1895م يطلب إليها رد الجزيرة إلى سياد ته. و ظلت الجزيرة منذ ذلك التاريخ تابعة لفارس.

و قامت إيران أيضا باقتطاع جزيرة حنجام عن أرض بني ياس في أبوظبي و ذلك منذ بداية القرن العشرين. و لم تتحرك الهند لتدرأ الخطر الإيراني عن الجزيرة لكنها تولت في العديد من المناسبات تهدئة الأوضاع بالاحتجاجات التي لم لم تعالج وضعا. و طالبت إيران بريطانيا لفترة طويلة بجزر بوموسى و طنب الكبرى و الصغرى. و دافعت حكومة الهند عن السيادة العربية لتلك الجزر حتى لفظ الراج أنفاسه و آلت الجزر في النهاية، بتغاضي بريطانيا وبدفع امريكي، إلى إيران أيضا. و لم يكن دفاع الهند االبريطانية عن السيادة العربية لتلك الجزر الثلاثة قبل ان تنهي بريطانيا التعهدات التي ربطتها مع الشيوخ العرب لرحيلها رسميا عن المنطقة، إلا لأنها كانت تتولى تسيير الشؤون العربية فعمدت إلى أن تتخذ من السيادة العربية لتلك ستارا لتقف به عند مداخل الخليج تغطي به السلام البريطاني.

بدأ البترول منذ النصف الثاني من ثلاثينات هذا القرن يحدد بدوره كذلك ملكية الجزر العربية فيجعلها لفارس أو لإحد الأطراف العربية بحسب ما يحقق المصلحة البريطانية. وأثار المقيم هذا الأمر في خطابه بتاريخ 22 محرم 1355/14 ابريل 1936 الذي جاء منه أنه يرى الإسراع بتحديد السيادة على جزر فارس و عربي و حرقوص لأنها، بوضعها الراهن، يمكن أن تعتبر أرضا مباحة لا مالك لها Res Nullas و يمكن لأية قوّة دولية بموجب أحكام القانون الدولي أن ترفع عليها علمها و تدّعي السيادة عليها[496]. و يشير الخطاب إلى أن هذه الجزر " لا تشكل في الوقت الراهن أية أهمية و لكن ربما ظهر فيها البترول مستقبلا". و اقترح المقيم أن تؤول ملكية هذه الجزر إلى بريطانيا. و يرى المقيم أنه في حال رفض الحكومة البريطانية لهذا الأمر فمن المستحسن أن تضم هذه الجزر إلى سيادة الكويت بدلا من أن تصير إلى دولة أخرى. و أشار الخطاب إلى أن إيران لم تبد حراكا تجاه هذه الجزر حتى الوقت الراهن و لكنها سرعان ما تتحرك لتصيبها إذا عرفت باحتمال وجود بترول فيها. و ردت الخارجية البريطانية بأنها "[497] لا تريد أن تثير مسائل السيادة على هذه الجزر في الوقت الراهن، فلها من المشكلات ما يكفي ". و عبرت وزارة الخارجية للهند عن رأيها بأنها تعتقد أنه: " في حالة احتمال وجود بترول في هذه الجزر فيجب أن تؤول الجزر إلى فارس و ليس للكويت. ففي فارس تعمل شركة البترول الإنجلوفارسية التي يشمل

امتيازها حتى الآن 100.000 ميل مربع" أو بمعنى آخر، يمكن و بسهولة دمج هذه الجزر ضمن نطاق الامتياز المذكور. و أشارت الخارجية البريطانية إلى أن امتياز الشركة المذكورة سيقتصر بعد 31 ديسمبر 1938 على المناطق التي تختارها الشركة ضمن حدود الإمتياز الحالي. فإذا أرادت الشركة هذه الجزر فيمكن أن تلعب أوراقها بمهارة للحصول عليها. و رأت الخارجية البريطانية أن هذه الجزر إذا دخلت نطاق السيادة الفارسية قبل عام 1938م فستؤول نفطيا، و بطريقة أتوماتيكية، إلى شركة بريطانية خالصة. و شككت وزارة الخارجية البريطانية في حكمة إلحاق هذه الجزر بالكويت لأن هذه الجزر، في هذه الحالة، تصبح بطريقة آلية ضمن نطاق عمليات شركة بترول الكويت، أو يمكن للشركة أن تدفع للشيخ لتمد عملياتها إلى تلك الجزر، و على هذا يصبح الاستثمار فيها نصف بريطاني. و أشارت الخارجية أنه يجوز أيضا أن لا تدخل هذه الجزر ضمن منطقة امتياز بترول الكويت و تحصل عليها، بالتالي، بتروليوم كونسشن و فتصبح الاستثمارات في هذه الحالة أيضا نصف بريطانية. و يجوز أيضا أن تحصل شركة أخرى غير بريطانية على الامتياز في تلك الجزر و لن تحقق المصالح البريطانية في هذه الحالة، أيّة مكاسب على الإطلاق.

عادت المقيمية البريطانية لتبحث في أمر ملكية هذه الجزر ووضعها الجغرافي والسياسي. و أفاد البحث أن " الجزر أقرب إلى أرض ابن سعود و لكن ليس هناك جهة تمارس عليها السيادة في الوقت الراهن "[498]. و يفيد التقرير أيضا بأن بعض صائدي الاسماك من إيران و السعودية و الكويت يقصدون هذه الجزر. و أوصى المقيم مرّة أخرى بضم هذه الجزر للسيادة البريطانية. و رفضت وزارة الهند هذا الرأي " لأننا بمجرد ما أن نضمها سيظهر من يبرر ملكيته لها بالوثائق، و ربما تنصحتنا وزارة الخارجية نتيجة لذلك بالانسحاب منها، و في هذا انتقاص من سمعتنا و ضياعا لهيبتنا، و ربما سبب لنا الكثير من الحرج[499]". و تشير الوثائق اللاحقة إلى أن ابن سعود يمكنه أن يدّعي السيادة على هذه الجزر لوقوعها جغرافيا بالقرب من ساحله " و في هذا إزعاج لأننا ربما نسعى مستقبلا أن نستعملها كمحاط هبوط في طريقنا الجوي. و قد لقينا من ابن سعود فيما مضى الكثير من العقبات في هذا الصدد ".[500]

أثارت هذه القضية مسألة " تسكين " سيادة هذه الدولة والمشيخة أو تلك على مجموعات جزر الخليج. و بدأت التحريات في أوضاع الجزر من حيث موقعها، و ديمغرافيتها، ووضع السيادة عليها. قسمت هذه الدراسة الجزر إلى مجموعات المجموعة الأولى عبارة عن جزر وربة و بوبيان و ماسكان و فليكا و عوها Aughah و كبار و قارو و أم المراديم، و هي مجموعة من الجزر تقع

عند ساحل الكويت و بالقرب من مدخل شطّ العرب. و كانت هذه المجموعة من الجزر قبل الحرب العالمية الأولى تابعة للدولة العثمانية يديرها شيخ الكويت نيابة عنها. كما اعترف الإتفاق الأنجلوتركي في 29 يوليو 1913 بالسيادةالعثمانية على هذه المجوعة من الجزر.

أما المجموعة الثانية من هذه الجزر فهي مجموعة قشم حنجام، هرمز ولاراك، شعيب، هندرابي، قيس، فارور و نابيوفارور. و اعتبرت بريطانيا أن هذه الجزر فارسية و ذلك لقربها من الساحل الجنوبي لفارس. و تأكد اعتراف بريطانية بفارسية هذه الجزر حين قدمت في عام 1914م طلبا إلى فارس كي تؤجر لها أو تبيعها كل هذه المجموعة من الجزر عدا قيس و فارور. و تقدمت الحكومة البريطانية بهذا الطلب إلى فارس مرّة أخرى في عام 1918 م, و تشير الدراسة إلى أن وضع السيادة على نابيو فارور غير محدد " لأنها جزيرة غير مأهولة ". و تشير التقارير الواردة في عام 1906م إلى أن فارس لم تلتفت بعد إلى جزيرة نابيو فارور التي تقع على بعد عشرة أميال إلى الجنوب الغربي من نهاية جزيرة فارور. وتذكر تقارير عام 1908م إضافة إلى تقارير عام 1924م بعد ذلك إلى أن نابيو فارور هي جزيرة جبلية موحشة لا تفيد في شيء، و لم تدع أي جهة السيادة عليها. و يثبت الرأي الذي أفاد به المقيم في عام 1924م أن هذه الجزيرة كانت في عام 1875 م معترفا بها جزءا من أرض القواسم[501].

تتكون المجموعة الثالثة من جزر أرخبيل البحرين و هي التي تشمل البحرين و المحرق و نعسان و سترة و نبي صالح و جزر صغيرة أخرى و مجموعة صخور في البحر تقع تحت حكم شيخ البحرين.

تشكل المجموعة الرابعة جزر فارس و عربي و حرقوص و دلما و شرا عوه و صير بني ياس و صير بونعير و قران و جنة و خاراج و خاراجو و حالول. و يشير التقرير إلى أنه يمكن أن تؤول الثلاثة جزر الأولى في هذه المجموعة إلى الكويت. أما حالول فقد جرى بحث أمر تحديد ملكيتها منذ عام 1906م عندما أشيع أن الألمان يريدون أن يحوزوا هذه الجزيرة من الباب العالي كي يستعملوها محطة لتزويد سفنهم بالفحم. و كان من رأي حكومة الهند أن ملكية هذه الجزيرة غير محددة حيث يقصدها الغواصون من قطر و المشيخات المتصالحة. و أعربت حكومة الهند عن شكها في أن تصلح هذه الجزيرة محطة لتموين الوقود. و في عام 1907م انتهت حكومة الهند بعد التشاور مع مقيمها في الخليج العربي إلى أنها لا تريد أن تحدد في الوقت الراهن تبعية تلك الجزيرة. و في عام 1913م أفاد كوكس المقيم البريطاني في الخليج بأنه وجد من الوثائق ما يؤيد تبعية تلك الجزيرة

لأبوظبي. و في عام 1914 م أقامت السلطات البريطانية في الخليج العربي بعض المنشآت الملاحية فوق جزيرة حالول لم يكن لهدف من ورائها ملاحيا إنما سياسيا كما يقول التقرير. و في عام 1914م، طلبت وزارة الهند إلى الحكومة البريطانية أن تفرض سيادتها على الجزيرة و لم يتم شيء من هذا القبيل. و يشير التقرير أن الأدلة تقول بتبعية الجزيرة لأبوظبي، حيث لم يدّع أي من شيوخ الساحل العماني ملكيتها كما لم تطالب بها قطر أيضا [502]

أما جزر حوار فقد رأت وزارة الخارجية البريطانية وجوب تبعيتها لقطر لأنها أقرب إليها من البحرين، كما أنها منطقة نفطية يمكن لشركة قطر الانكليزية للبترول استثمارها بدلا من أن تصير إلى شركة بابكو الأمريكية في البحرين [503]

أما جزيرة دلما فقد اتفق رأي حكومة الهند مع رأي وزارة الهند في عام 1908م بأن الجزيرة تابعة بلا أدنى شك لأبوظبي. و تحدّدت في عام 1908م كذلك ملكية أبوظبي لصير بني ياس " ليس لها أي منافس في هذا المجال ". و يصف التقرير هذه الجزيرة " تشكل مطارا ممتازا، و مرسي ممتازا، و هي بالتأكيد أجود موانئ الخليج حاليا، أضافة إلى ان الطقس فيها جيد." و يشير التقرير إلى أنه كان هنالك اقتراح لشراء صير بني ياس من شيخ أبوظبي بمبلغ ثلاثة آلف جنيه استرليني أو تأجيرها منه لتكون الجزيرة في خدمة الطريق الجوي. و أشارت مصادر الهند لعام 1908 م بأن صير بونعير تتبع الشارقة دون شك. و ذهب لوريمر في عام 1913م إلى نفس هذا المعنى. كما نشرت الادميرالية في P.G Piolt، بناء على معلومات من كوكس، بأن هذه الجزيرة تابعة للشارقة، و يشير التقرير كذلك إلى أن خاراك فارسية، و أن أحدا لم يدع خارجيو بعد[504].

حاول البريطانيون بعدئذ تقسيم هذه الجزر بناء على ما أشارت به دراسات الفرع العسكري للأدميرالية [505] في مذكرته المقدمة بتاريخ 29 ابريل 1937 و ذلك – كما تشثير المذكرة- بعد أن يوافق عليها المقيم في الخليج العربي و مكاتبه السياسية. و بعد استطلاع رأي وزارة الخارجية البريطانية جاء من تقرير الادميرالية أن جزر فارس و عربي و حرقوص و الكران و الكرين هي جزر تابعة للكويت، و أن جزيرتي جنه و جريد هما سعوديتان لقربهما من الساحل السعودي بالرغم من أن الكويتين يقصدون هاتين الجزيرتين للصيد. و جاء رأي الخارجية بإلحاق هاتين الجزيرتين بباقي المجموعة لتصير كلها إلى الكويت مع الاشتراط على شيخ الكويت بالانسحاب من أي من هذه الجزر عندما يُطلب إليه ذلك[506].

أما المجموعة الثانية التي تضم مجموعة صخور إلى الشمال من البحرين بالإضافة إلى جزر نجوى و حرقوص و فشت اليارمم و فشت الدبال و جزيرة الليبنات فقد أورد تقرير الفرع العسكري للادميرالية أن نجوى و قصقوص هما أقرب للساحل السعودي من غيره، و أن فشت الدبال تقع جغرافيا بين البحرين و قطر، و أن لكليهما الحقّ في ادعائها [507]. و أشارت الدراسة إلى أنه يمكن للمقيم في الخليج أن يقرر ما يراه بشأن تبعية فشت ياريم و نجوى و قصوص. أما وزارة الخارجية فقد أشارت بالتريث وعدم الإسراع بتحديد تبعية هذه المجموعة حتى يُستبان أمر وجود البترول فيها. و في 23 فبراير 1938 طالبت شركة الزيت الانجلوإيرانية [508] بأن يحال بين البحرين و السيادة على فشت ياريم و فشت الدبال لاعتقاد الشركة بوجود كميات كبيرة من النفط في المنطقة، و أن الشركة لن تستطيع استثمار هذا المخزون في حالة أن تؤول الجزر المذكورة إلى البحرين أو أية دولة عربية أخرى. و طالبت الشركة بوجوب إلحاق هاتين الجزيرتين بالسيادة الفارسية.

تفيد الدراسة التي قامت بها الأدميرالية [509] أن المجموعة الثالثة المكونة من حالول و شراعوه و دلما و صير بني ياس و ذركوة و القرين و اردنة و صير بونعير و ديينه و حلاة دلما و مجاسب و كافي و مجموعة مياميت انتن و فريحات و ياسات و حلاة مسموما و رشيد و الفشي و بازام الغربي و الفيحاء و هالات هيل و الجنينة يمكن أن توزع على النمط التالي:

على أبوظبي أن ترفع علمها على حالول و شراعوه و دلما و صير بني ياس، و

على الشارقة أن ترفع علمها على جزيرة صير بونعير.

- على المقيم أن ينظر في جدوى إلحاق ديينه و حلاه مسموما و رشيد إلى أبوظبي، رغم أن هذه الجزر الثلاثة هي أقرب جغرافيا إلى قطر من غيرها.

- تؤول مجموعة حلاه دلما و جاسب و كافي و مياميت و مجموعة انتن و فريحات و ياس وكران و كرين إلى الكويت.

لم توافق وزارة الخارجية البريطانية على أن تصير حالول و شراعوه إلى أبوظبي و أقترحت إلحاقهما بقطر، و تم ذلك. كما اقترح المقيم في الخليج العربي بارجاء البت في تحديد ملكية مجموعة جزر انتن حتى يتم استطلاع رأي شيخ قطر.

ربما لا يعنينا أن تتبع هذه الجزيرة أو تلك إلى هذه المنطقة أو تلك من الأرض العربية التي غدت فيها حكومة الهند بذرة التفرقة و رعتها بعد هذا اقليمية البترول، إنما يعنينا أن إيران، و هي التي تذكر أولى وثائق حكومة الهند في الخليج انها معزولة عن البحر، و أن أهلها لا يعرفونه، أصبح لها بنتائج سياسة حكومة الهند الريادة في الخليج العربي و السيادة على العديد من جزره. وأصبحت فارس التي لم تكن تمتلك من جزر الخليج العربي شيئا حين وفدت طلائع سفن الهند الشرقية إلى منطقة الخليج العربي تمتلك العدد الأكبر من جزر الخليج العربي. ووصلت السيادة الفارسية باستثماراتها النفطية البريطانية الجنسية إلى جزر تقع جغرافيا بالقرب من الأرض العربية. و امتدت بهذا السيادة الفارسية بامتداد مياهها الاقليمية إلى قلب المنطقة العربية. و لم يكن هذا إلا نتاجا لسياسة الهند التي اوقفت التجارة العربية تحت ستار محاربة القرصنة و محاربة تجارة الرقيق و السلاح. و رسمت السياسة الهندية للسفن العربية خطوط مسارات وهمية فوق المياه لا تتعداها إلا لضرورة تقلبات الجوّ.

حرّمت هذه السياسة على أيه سفينة عربية حمل السلاح الذي تقتضيه ضرورة الدفاع عن النفس و المال.و دمّرت حكومة الهند الكثير من السفن العربية بحجة أو بأخرى، و حرّمت على المناطق العربية في الخليج أن تبني سفنا جديدة. و نجم عن أعمال هذه السياسة أن انقطعت شرايين الاتصال بين المنطقة العربية على الجانب الشرقي من الخليج العربي و بين الوطن الأم فذوت المنطقة و تهاوت إلى فارس قطعة أثر أخرى. و هوت أيضا إلى إيران الكثير من الجزر العربية التي حجبتها سياسة الهند و خطوطها الوهمية عن أصحابها الشرعيين. صار لفارس المنطقة العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي التي كانت بحكم صلة الدم تحكم جزر ومناطق أخرى في الساحل المواجه ,.و اصبح ضم فارس لهذه المنطقة من أبلغ حججها في دعاويها على المناطق العربية الأخرى التي كانت هذه المنطقة تحكمها أو تحكم منها [510]. أكدت إيران بالتغاضي البريطاني بصفة خاصة و التخطيط الأمريكي بصفة عامة في الفترة من عام 1964م إلى عام 1971 م سيادتها على كثير من الجزر العربية مثل فارس و عربي و حرقوص التي اتفقت وثائق الهند سلفا على أنها جزر عربية، و شكّلت بوموسي و الطنبين [511] آخر هدية أنجلوأمريكية من الأرض العربية لإيران. و امتد بهذا السلام الإيراني الذي ظل حتى الثورة الإيرانية يشكل رافدا هاما من روافد السلام الأمريكي الذي ظل ينشر ظلاله المعتمة رغم تقلب الأحداث على منطقة الخليج العربي، تلك المنطقة التي حاربت قوّة الهند البريطانية فيها السلام العربي، و قهرته بالحملات الاسطولية، و إثارة النعرات، و قيّدته بالمعاهدات و التعهدات، ثم تحكمت بعد هذا سياستها الإدارية في مقدراته.

يمكن أن تعد الفترة بين عامي 1899 – 1947م شريحة من تاريخ الخليج العربي متميزة عما سبقها وعن ما تلاها. كانت استراتيجية الأمن البريطاني لتحقيق السلام البريطاني في الخليج قبل بداية هذه الفترة تعتمد بصورة أساسية على قفل الخليج من جنوبه في وجه كل القوى السابحة في الطريق إلى الهند، كما اعتمدت أيضا على استعمار مياه الخليج و الإبتعاد عن التدخل في شؤون الساحل المكبل بعلاقات التعهد في أعمّه و عدم الخوض في السياسات القبلية في الجزيرة العربية. لم تضطر بريطانيا، لتحقيق غرضها الأساس في تلك الفترة الذي يقتضيه أمن الهند، إلا لتدخل طفيف متقطع في شؤون الشريط الذي أقامته على طول ساحل الخليج و ذلك حين يظهر خطر وحدة أو توحيد يمكن أن يشد هذا الشريط الساحلي إلى ظهيره و يبعده عن دوره المرسوم كحاجز للمؤثرات الداخلية من أن تبلغ مياه الخليج العربي.

لم يهتم الأمن البريطاني بأعالي الخليج العربي قبل بداية هذه الفترة. سادت القوة العثمانية منذ عام 1871م ساحل تلك المنطقة و كانت قوّة برية متذبذبة الارسال تقوى و تخفت في البر العربي من اعالي الخليج. و لما لم تكن بريطانيا تريد من ذلك البر المقفر شيئا لم يكن هنالك تناقض كبير بين الوجود العثماني و الوجود البريطاني في المنطقة إلا ما كان من شأن خروج بعض رجال القبائل من المناطق الواقعة تحت السيادةالعثمانية لمهاجمة بعض مناطق النفوذ البريطاني أو التعدي هلى متاجر بعض التابعين للبريطانيين أو مراكبهم. و لم يكن دأب بريطانيا لمحاربة هذه الفئة إلا إداريا للحفاظ على سمعتها و هيبتها في المناطق التي تتحكم فيها أو على تخومها. و قد أثار أمر وجود العثمانيين في تلك المنطقة مسألة تحديد تبعية الأراضي و حصر السيادة العثمانية و عزلها عن حدود المناطق التي تسيطر عليها بريطانيا. تمكنت بريطانيا في فترة الأمن الهندي الذي سبق هذه الفترة من السلام البريطاني من أن تقيم في خور العديد حدّا للسيادةالعثمانية، و لم تأبه بريطانيا بعد ذلك لعلاقات استانبول بالمناطق الداخلية من الجزيرة العربية أو بالكويت. و ما كان يهمها في تلك المنطقة إلا مراقبة حوادث البحر الذي لا تريد له ان يضطرب أو أن ينتشر السلاح فيه.

بدأت مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي مشروعات الخطوط الحديدية، و جاءت معها التطلعات الروسية و الألمانية للوصول مع الدولة العثمانية إلى اتفاقات بشأن امتداد تلك الخطوط الحديدية عبر أرضها حتى الخليج العربي. و لهذا بدأ نطاق الأمن الهندي يتمدد في شمال الخليج العربي ثم انقضّ فجأة على الكويت و أحدث معها عقدا يبعدها عن السيادةالعثمانية و ذلك كي يسد شمال الخليج العربي أمام الخطوط الأوروبية الزاحفة في اتجاهه، و لتقوم الكويت في الشمال بما تقوم به مسقط في الجنوب في استراتيجية سد المنافذ والثقوب. و أصبحت بهذا، مع مطلع هذا القرن، سواحل الخليج العربي كله فيما عدا المنطقة المحصورة بين البصرة و القطيف رهنا بتصرف السلطات السياسية لحكومة الهند في الخليج العربي المحكومة بالاهداف الأمبريالية لحكومة لندن.

حكم الهند في هذه الفترة القلقة من بداية القرن العشرين المدعوجورج ناثيل كيرزن (اللورد)، و كان من أميز نواب الملك في الهند و أبرع الحكام البريطانيين في إدارة الاستعمار. جمع كيرزن بين المعرفة بتاريخ منطقة الخليج العربي و جغرافيتها و سياساتها و بين حماس الشباب و الغيرة الاستعمارية. و أدى هذا الجمع إلى مجابهة بين السلام الهندوالبريطاني في الخليج العربي و السلام البريطاني الإمبريالي. أراد كيرزن أن يحكم اغلاق منافذ الخليج العربي و يمنع وصول كافة القوى الدولية إلى سواحله و ذلك باستخدام كافة الأساليب الممكنة دون خشية لعقابيل تصرفاته و انعكاساتها الخطرة في المجال الدولي في الوقت الذي كان للسلام البريطاني الإمبريالي أغراض أخرى يريد أن يحققها في مناطق أخرى من العالم، في وادي النيل مثلا و في مناطق متفرقة من افريقيا و آسيا فيما لم يمتد نظر كيرزن إلى أكثر من حدود الهند و العمل على الحفاظ على أمنها. و تزايد هذا التناقض حتى حسم بالطبع لمصلحة السلام البريطاني الإمبريالي الذي كان السلام البريطاني في الخليج العربي في النخاع منه. و أقيل كيرزن عن نيابة الملك في الهند فانتهى التشدد و أخذت السياسة الهندوبريطانية في الخليج تتبدل بالتدريج تبدلا يستجيب للمتغيرات الدولية.

لم تكن فترة كيرزن بتناقضها الواسع بين الهند و بريطانيا إلا الإرهاصات التي راحت تلف ذيولها مشكلات المستقبل الذي كان يتهدد السلام البريطاني في الخليج العربي. وجد السلام البريطاني في الخليج أنه لن يستطيع أن يحقق أهدافه بالقوّة كما كان الحال سابقا إذ تغيرت الأحوال و راحت المطامع الاستعمارية للقوى الدولية الأخرى تتشعب في المنطقة.

كان الأمن البريطاني السابق للسلام البريطاني يتعامل مع القوى الإقليمية، أما و قد دخل الخليج، بدخول القرن العشرين، إلى بؤرة الإهتمام العالمي فقد غدا الأمر أمر دبلوماسية و مساومات

على تحديد مناطق النفوذ االدولي. و لهذا عمدت لندن، في محاولاتها للحفاظ على السلام البريطاني في الخليج، إلى الدخول في اتفاق مع استانبول، رمت من ورائه إلى تثبيت " الحالة الراهنة " في الخليج العربي.و إستفادت لندن من الضعف البين الذي اعترى الدولة العثمانية في هذه المناطق خاصة مع ظهور بعض اشكال القومية العربية التي أخذت تناطح الطوارنية و تقف ضدّ عثمنة المنطقة العربية. و انتهت تلك المفاوضات إلى اتفاق عام 1913م الذي لم يُعمل به لقيام الحرب العالمية الأولى.

عمد السلام البريطاني في الخليج في فترة الحرب العالمية الأولى على اذكاء حدّة الشعور بالقومية العربية في المنطقة، و اعتمد في تحقيق اهدافه على شيخى الكويت و المحمرة بشكل أساسي. كما ضمن له اتصاله بابن سعود المناوئ لابن رشيد، و غير الموالي للعثمانيين، و تعامله معه من خلال وحدة الهدف، أن يكفيه ابن سعود أمر ابن رشيد الواقع تحت النفوذ العثماني، و أن ينازله ليعجزه عن القيام بمساندتهم في منطقة القناة و ما بين النهرين.

انتهت الحرب العالمية الأولى وجدّت عوامل أخرى في الوضع الإقليمي كان لها أثر عميق على السلام البريطاني في الخليج العربي. أدى انتصار المعسكر البريطاني في الحرب بعد أن خرجت الدولة العثمانية من المنطقة مدحورة، إلى أن يصبح الخليج و كأنه بحيرة مغلقة على السلام البريطاني. و لم يكن هذا الاعتقاد - بالنظرة الفاحصة – إلا وهما.

ظهرت على المستوى الدولي الولايات المتحدة الأمريكية كقوّة كبرى حين دخلت تلك الحرب و دعمت الانتصار الذي حازه الحلفاء و باتت تنتظر نصيبها من الغنيمة. و منها كذلك قيام الإتحاد السوفيتي و محاولته الاتنتشار لتحقيق الشيوعية العالمية و العمل على هدى إيدولوجيتها و ذلك من خلال استثمار حماس القوى الوطنية لمحاربة الاستعمار و فعملت على استدراجها إلى شباكه و حبائله.

أما على المستوى الإقليمي فقد كانت هنالك متغيرات عميقة غيرت وجه المنطقة. ظهر في فارس رضا شاه بهلوي و علا أمره حين حزم أمر فارس بقوّة إرادته الحديدية و أصبح قوّة يخشى السلام البريطاني بشقيه بأسها و يعمل على استرضائها. و منها كذلك ثبات أمر عبد العزيز بن سعود فوق مناطق مترامية من رمال نجد و تلال الاحساء و محاولاته الدائبة لتوحيد الجزيرة العربية و ما يمكن أن تؤدي إليه تلك المحاولات النشطة الدائبة من خطر على السلام الهندوبريطاني إذا لم

يستجب عبد العزيز و يتعامل معه رضي أم أبى.و يضاف إلى كل هذا تلك الأهمية الأستراتيجية الجديدة التي أضحت للمنطقة مع تطور الطيران الذي كان يحتاج محطات هبوط و مطارات في المنطقة، كما أدى استثمار النفط في المنطقة بعدئذ إلى شرخ كبير في صرح السلام البريطاني في الخليج العربي.

قضى استثمار البترول في الخليج بتنظيم الإدارات المحلية المختلفة فيه و توزيع السيادة على بعض مناطقه في الساحل و الداخل. و أجبر هذا الأمر السلام البريطاني على أن يتخلى عن عربستان (الأحواز) لشاه إيران إرضاء له ووصولا إلى هدفه من تثبيت النظام في تلك المنطقة الحيوية من الخليج التي شاخ شيخها العربي و لم يعد قادرا على ضبط الاضطرابات العمالية التي بدأت مع الصناعة البترولية. لم يجد السلام البريطاني في أبناء الشيخ من يستطيع القيام بمهمة ضبط التذمر العمالي الذي بات يشكل خطورة كبيرة على القلب المتدفق طاقة في قلب السلام البريطاني.و لهذا تركت بريطانيا الأمر لشاه فارس كي يتولى حكم تلك المنطقة الثرية فيحقق بذلك هدفه في السيطرة و الرخاء كما يحقق هدف السلام البريطاني في ضبط زمام الأمور وتحقيق الأمن للشركة البريطانية العاملة في مجال استثمار نفط المنطقة.

إقتضى السلام البريطاني في هذه المرحلة الحفاظ على الكويت بشتى الطرق بعيدة عن العراق أو السعودية و ذلك لما تميزت بن العلاقات العراقية البريطانية من عداء يستطيع السلام البريطاني أن يتحكم في معادلاته من الكويت، و لما تميزت به السياسة السعودية التى أرسى دعائمها عبد العزيز على أسس الإسلام و الأخوة العربية من تناقض أساسي مع السياسة البريطانية. أصبحت الكويت بالنسبة للندن " جبل طارق " أو " قناة السويس " الطيران إلى الشرق. و زاد اهتمام البريطانيين بالكويت حين درّت أرضها القفر بترولا يشد من عصب السلام البريطاني و يغذي قوّته.

مع الحرب العالمية الثانية و في أعقابها تقلّص دور السلام الهندوبريطاني في الإستراتيجية الأمنية للهند و تضخم دورالسلام الإمبريالي لبريطانيا في استراتيجية الطاقة. و أدى اشتراك قوى دولية غير بريطانية في الاستثمارات البترولية، كما أدى تعاظم دور الإتحاد السوفيتي و بروزشكل من الفكر القومي و التحرري في المنطقة إلى أن تدرك لندن أنها ما عادت تستطيع الهيمنة بسلامها على الخليج العربي فوجّهت سلطاتها في الهند و الخليج العربي لاشراك الولايات المتحدة الأمريكية في شؤون الخليج السياسية و الأمنية. و أصبحت سياسة المنطقة، من ثمّة، بريطانية في اطارها و أنجلوأمريكية في لبّها، و أمست بريطانيا تمارس فيها دور الشريك الأصغر بعدئذ.

إستمرت بريطانيا تلعب هذا الدور حتى بعد أن طويت صفحة حكومة الهند البريطانية في عام 1947م، و انقلب السلام البريطاني في الخليج ليصبح السلام الغربي من أجل الطاقة.

Notes

[1←]

Dilks, Daid., Curson in India, Vol. 1 ,Achievements, London. 1969-1970. p.p. 50-52

[2←]

ولد جورج ناثيل كيرزن، المركيز الأول لكلدستون في 11 يناير 1859 من أب خامل الذكر يعمل بالزراعة، لا باع له في المجد غير لقب لورد الذي ورثه عن أبيه. و ما أن تخرج كيرزن في أكسفورد حتى بدأ يمارس الكتابة في الصحافة و الخطابة في صفوف المحافظين. و أختاره سالسبري في عام 1885 م مساعدا لسكرتيره الخاص. بدأ كيرزن سياحته في العالم منذ عام 1887م حيث زار غرب أوروبا و فلسطين و مصر و شمال افريقيا و الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان و الصين و جزر الملايو و سيلان و الهند التي وقف علي حدودها الشمالية الغربية، و أدرك كيرزن حينها خطورة أن تقوم روسيا بغزو شبه القارة الهندية من ذلك الاتجاه. و ألّف كيرزن كتابه: " Russia in Central Asia " و لم يبلغ سنه الثلاثين بعد. و في عام 1888م زار كيرزن استانبول و تجوّل في فارس. و أصبح بفضل مؤلفاته و خبرته العملية وكيلا في وزارة الهند. و في عام 1892م ألف كتابه Persia and the Persian Problem. و في عام 1895م اختار سالسبري كيرزن وكيلا برلمانيا لوزارة الخارجية التي استمر فيها حتى أغسطس 1898 حيث عُين بعدها حاكما للهند .

راجع : ibid. p. p 17-49

[3←]

ibid. p. 54

ibid. p .p 60-62

[4←]

ibid. p 63-64

[5←]

Salisbury MSS, George Hamilton to Salisbury, 4 June, 1898

[6←]

Dilks ,David, (1) Op.cit, p. 66 – 68

[7←]

I.O) L/P&S/20/C. 189, Hand book ,Persain Gulf, June 1919, p. 52)

[8←]

Brydges, An account of His Majestys mission to the court of Persia in the years 1807 to 1811, (London, 1834), p .p. 12 – 15

[9←]

I.O) /L/P&S/20/C.239, Affairs of Kuwait, henceforth A-K)

[10←]

Bidwell, R.,(ed) Foreign office confidential print, the affairs of Kuwait, 2 Vols, (.London.1971) Vol. 1 introduction p. X. I

[11←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[12←]

I.O) L /P&S / 3 / 386, Memo to SSI)

[13←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 437, H.M.R.W.S.A.B.G., 1800 – 1834)

(12) عن استقرار آل صباح في الكويت راجع :

Dickson ,H.R.P.,Kuwait and Her Neighhbours, (London, 1956) p.p.26-28

يروي ديكسون علي لسان الشيخ عبد الله السالم بأن آل صباح ينتمون إلى أواسط القوم في عنيزة، و أنهم قد فارقوا نجد في حوالي عام 1710م حين دفعهم القحط إلى وادي الدواسر لكنهم لم يستقروا هناك فهاموا حتى بلغوا قطر و أقاموا في الزبارة فترة ثم انتقلوا إلى الكويت حيث وجدوا عين ماء حلوة استقروا عندها. و يردّ اصل اسم العتوب إلى أنهم " عتبوا " إلى الشمال. و يروي ديكسون بأن آل صباح و آل خليفة استقرّوا في الكويت لكنهم خشوا أن يعترضهم العثمانيون فقرروا ارسال مندوب عنهم إلى البصرة لينهى إلى الباشا العثماني هناك بأنهم قوم مساكين دفعتهم ظروف الجدب في نجد إلى هذا المكان. و كان صباح هو مندوبهم إلى البصرة و ذلك لميزته خبرة و سنا. و يرجع رحيل آل خليفة عن الكويت كما ينقل ديكسون عن عبد الله السالم, نتيجة لحروب وقعت بين الناصر (الفئة الحاكمة في بني كعب من عرب عربستان) و بين عبد الله الصباح. و يرفض عبد الله السالم، كما يروي ديكسون، المتواترات التي تقول أنه نسبة لرفض عبد الله الصباح أن يزوج ابنته مريم من بعض شيوخ بني كعب و هجوم بني كعب علي الكويت اجتمع شيوخ الكويت و أقسموا علي حماية مريم عند عتبة الشيخ, و لهذا اشتهر آل صباح بالعتوب

Freeth, Zahra ,Kuwait was my home, 2 nd imp. (London ,1958) p. p. 119

[14←]

.I.O) L / P&S /20 / C. 239, A. K)

[15←]

ينص الفرمان علي جعل الكويت سنجقيه مع عدم اسقاط أسرة الصباح في وراثة الحكم و ذلك بأن يختار أعضاء هذه الأسرة الحاكم ثم يُنصبه السلطان و يمنحه لقب قائم مقام.

أنظر صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي، ص191

ذات العام – فيما يبدو – مركز جمارك عثماني لم يعمر إلا قليلا.

[16←]

.Bidwell, R. (1) op. cit., introduction p. X. I

[17←]

.I.O) L / P&S / 20 / C .239, A. K)

[18←]

.Bidwell, R., (ED) (1) op. cit. p.X.I

[19←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[20←]

Bidwell ,R,(ed) (1) op.cit.,memo. by Stavridge ,June, 30, 1896

[21←]

ibid. ,(1) Captain Whyte to Colonel Wilson ,Bassorah, Aug. 6, 1896

[22←]

.Loc. cit

[23←]

.ibid, Salisbury to Sir P.Cuirrie F.O. Apr. 2, 1897

[24←]

ibid, Salisbury to P. Currie ,F.O. July.,17, 1897

[25←]

ibid., F.O. to I.O., F.O. July 22. 1897

[26←]

. I.O) L / P &S / 20 / C. 239, A. K)

[27←]

صلاح العقاد ن مرجع سبق ذكره، ص 190

[28←]

. I.O) L / P & S / 20 / C. 239, A. K)

[29←]

P.R.O) FO / 78 / 5113, Baumount to Sanderson, 18 Feb., 1898)

[30←]

.I.O) L / P&S / 3 / 368, memo. to SSI)

[31←]

P.R.O) FO / 78 / 5113, Meada Private to Curson, 28 Mar. 1898)

[32←]

Bush, B.C., Britain and the Persian Gulf 1894-1914 p.p. 106 – 107

[33←]

I.O) L / P &S / 3 / 368 ., Memo. to S.S.I)

[34←]

Curson MSS, Meade to Lawrence, 24 Mar. 1899

[35←]

عن تطور مسألة بساتين تمور آل صباح في العراق هناك 16 ملفا خاصا بهذه المسألة في ارشيف وزارة الهند راجع R/15/5/140 و الملفات التي تليه علي التوالي حتى : R/15/5/155

[36←]

Bidwell, R,(ed) (1) op. cit. F.O to I.O, 14 Feb., 1899

[37←]

Bush ,B. C. Op. cit., p. 111 – 112

[38←]

Bidwell, R,(ed) (1) Op. cit. ,I.O to F.O feb,14,1899

[39←]

ibid, Meade to Gio, Bushire, Apr., 30, 1899

[40←]

.Graves, Philips, the life of Sir Percy Cox ,(London, 1941) p

[41←]

Bidwell, R,(ed) (1) Admirality to F.O, 9 Feb. 1899

[42←]

ibid ., Meade to Gio, May. 7, 1899

[43←]

I.O) L/P&S/18/166, Memo Resecting British Interest. In P.G., Feb.12,1908) ,hemceforth

M.R.B.I.P.G ., 1908

[44←]

Curson MSS. Curson to Harding ,15,Jan.1901, cf Godly to Curson, 6 Jan, 1899

[45←]

جمال زكريا قاسم : مرجع سبق ذكره, ص 395

[46←]

Hurewitz ,J.C., Diplomacy in the Near and Middle East, A Dooumentary Record 1535-1914. Curson analysis of B. policy and interests in Persia and P.G.. 21 Sep 1899.Doc. 101

[47←]

Bush, B.C. Op. cit. p. 67

[48←]

Curson MSS, Curson to Hamilton, 2 Feb, 1899

[49←]

Curson MSS, Rear Admiral to Curson 10 Mar., 1899

[50←]

Curson MSS, Gio to SSI, 2 Mar. 1899

[51←]

I.O) L / P&S / 3 / 363 /, Memo to SSI)

[52←]

.Loc. cit

[53←]

Bush, B.C. Op. cit. p.77

[54←]

Dilks, David, (1) op. cit. p. 120

[55←]

Curson NSS, Curson Private Hamilton, 2Mar.1899, Salisbury MSS., Curson to Salisbury, 61 Mar. 1899

[56←]

Curson MSS, Salisbury to Curson, 21 Apr. 1899

[57←]

Salisbury MSS, Curson to Salisbury, 18 May 1899

[58←]

Salisbury MSS, Hamilton to Salisbury, 19 Sep. 1899

[59←]

Curson,MSS, Hamilton to Curson, 16 Feb,1899

[60←]

عن الظروف التي أدّت إلى تعيين كوكس في مسقط أنظر :

Craves, Philips, op. cit. Chap. VI, P.P. 64-71

و عن سيرة كوكس في مسقط, أنظر: ibid.., Chapt., VII ,P.P. 71-93

[61←]

ibid.. p., 91

[62←]

Curson MSS, Godley private to Curson. Jun.16.1899

[63←]

Hamilton MSS, Curson to Hamilton, July, 3.1901

[64←]

Dilks ,David, (1) Op. cit., p.p. 97-101

[65←]

صلاح العقاد، مرجع سبق ذكره، ص 219

[66←]

Curson MSS, Curson to Hamilton, 24 may, 1900

[67←]

جمال زكريا قاسم، مرجع سبق ذكره، ص 272 - 273

[68←]

Bush, B.C. Op.cit. p.p. 159 – 160

[69←]

Curson MSS, Brodrick to Curson ,8 Aug. 1900

[70←]

Salisbury MMS, curson to Salisbury, 12 July 1900

جاء في هذا الخطاب على لسان كيرزن " ان كل ما نصبو إليه هو أن ندخل ذلك العربي (الأغبش) الذي يسيطر على ذلك المكان في جيبنا و نبعده عن جيب الفرنسيين ."

[71←]

L / P&S / 20/ C. 247, International Rivality in P.G

[72←]

Landen ,R. G .Oman Since 1856, Disruptive Modernization in a Traditional Arab Society, p. 154

[73←]

ibid, p 155

[74←]

Bidwell. R.(ed) Forign office confidential print the affairs of Arabia 1905-1906, Vol. II, Graham to Lansdowne the Hague. Aug. 8. 1905

[75←]

,.ibid

[76←]

راجع :

Lewis,E, The German Road to the East.(London 1916) Passim

Langer, William L, The Diplomacy of Imperialism (N.Y. 1956) p.p.. 229 – 249

[77←]

Curson MSS, Hamilton to Curson, 23 June 1899

[78←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[79←]

Curson MSS, Hamilton Private to Curson, 2 Nov. 1899

[80←]

Kumar ,R. ,India & the Persian Gulf Region. p. 155

[81←]

Bidwell, R.(ed)(1) Affairs of Kuwait ,Mubark to Meade 13 Jan. 1900

[82←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[83←]

التقى جاسكن بالمدعو علي غلام رضا، وكيل الأنباء السري البريطاني في الكويت، أولا و استمد منه الكثير من المعلومات و ذلك قبل أن يلتقي بالشيخ أو يسأله .راجع:

Bidwell, R,(ed)(1) Affairs of Kuwait, Meade to Gol, 23 Jan. 1900

[84←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[85←]

جاء في الخطاب " لقد جاء القنصل العام للامبراطورية الألمانية إلى هنا بهدف إجراء مسح لإنشاء خط حديدي و هو يتجه الآن إلى نواحيكم لأداء مهمته. عاملوه بالاحترام اللازم لتنالوا منه الثناء " مشير الجيش السادس، راجع :

.Bidwell, R, (ed) (1) Affairs of Kuwait C in C Turkish forces Bagdad, undated

[86←]

I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A., K. cf also)

[87←]

Bidwell,R,(ed) (1) Op.cit Memo of an interview with SK Mubark, Bushire, Feb.5.1900

[88←]

Curson,MSS, Hamilton to Curson, 9 Nov, 1899

Curson ,MSS, Curson to Hamilton, 14 Dec. 1899

[89←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A.K)

[90←]

Bidwell, R,(ed) (1) Affairs of Kuwait, Sir Ocnor to Salisbury ,Apr. 10,1900

[91←]

,. ibid, Mubark to Lyle, 4 Rabi Sani 1318 H

[92←]

Bush, B. C. Op.cit. p.172

[93←]

Curson MSS, Curson to Hamilton, 4 July ., 1900

[94←]

.I.O) L / P&S / 3 / 368, Memo. to S.S.I)

[95←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[96←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 239, A. K)

[97←]

Curson MSS ,Curson to

[98←]

I.O) L / P&S / 18 / 166, M .R.B.I.P.G. 1908)

[99←]

.ibid

[100←]

..ibid

[101←]

.I.O) L / P&S / C. 239, A.K)

[102←]

Bidwell ,R,(ed) (2) Affairs of Kuwait, Bash Katib El Mabain to the Vali of Bussourah, 8 (th Rabe Sani (Nov. 23, 1901

[103←]

جاء في خطاب مبارك لقد حدثني المير عالي نجيب باشا، أخو والي البصرة، و نقيب البصرة بأن السلطان سيرضى عني و يصدر لي فرمانا اذا تخليت عن البريطانيين، و اذا وافقت ببقاء بعض الجنود الأتراك في الكويت الذين لن يتدخلوا في شؤون الادارة، و انهم سيكونون تحت إمرتي. أما إذا لم اوافق على هذا فإن الاتراك سيطردونني من الكويت.

.ibid, Mubarak to Kemball, 21 Shaban 1319 H

[104←]

ibid ., Memo by Lansdowne, 21 Mar. 1902

[105←]

I.O) L / P&S / 18 / 166, M.R.B.I.P.G., 1908)

[106←]

Bidwell, R ,(ed) (2) Op .cit. Col to Kemball, 17 Oct. 1902

[107←]

I.O) L / P&S / 18 / 166, M.R.B.I.P.G., 1908)

[108←]

Dilks, David (1) Op. cit ., p. 157

[109←]

Hurewitz J.C.(ed) Diplomacy in the Near&Middle East, A Documentary Record ,vol 1 ,Doc. 101, p. 219

[110←]

.ibid

[111←]

من أبرز نشاط الأفراد ما قام به الدكتور شفونسكي Chevanowsky حيث كان في عام 1899م يقوم بالتطبيب في بوشهر مجانا. و ترى السلطات البريطانية في الخليج أنه كان يحادث مرضاه في الشؤون المحلية

Issawi, Chaless, The Economic History of the Middle East p. 351

[112←]

I.O) L / P&S / 20 / C. 247, Lord Curson Dispatches on the foreign activity in the) Persian Gulf & the measures to be taken to maintain our interest

[113←]

Curson MSS, Meed to Lawrence, June. 26, 1899

[114←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 247, Russian activies in P.G)

[115←]

.ibid

[116←]

.ibid

[117←]

ibid

[118←]

خرج كيرزن بعض الشيء عن السياسة التي دعا إليها في كتابه : فارس و المسألة الفارسية .أشار في كتابه بوجوب الاحتفاظ بتكامل الأرض الفارسية بكل الجهد الممكن، أما منطقة وسط و جنوب فارس فيجب أن تشكل كتلة

صماء لا تخرق. راجع

Persia & the Persain Question Vol. II P.P. 590-600

و كما يظهر فان ما اعتبرناه خروجا لا يعدو كونه تطورا للفكرة ذاتها

[119←]

I.O) L / P&S / 20 / C. 247, Lord Curson Dispatches)

[120←]

.ibid

[121←]

.ibid

[122←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 247 Russain Activities in P.G)

[123←]

I.O) L / P&S / 20 / C. 247, Lord Curson dispatch .Russian ambitions to construct a) railway line through Persia and aquire a port in the P.G. 1901

[124←]

.ibid

[125←]

يشير كيرزن إلى رأي جودلي من " أنه مع عدم ترحيبه بميناء روسي في منطقة الخليج العربي إلا أن المسألة لن تكون خطيرة طالما ظلت الريادة في المنطقة في يد الاسطول البريطاني. أما إذا فقد الاسطول البريطاني ريادة البحر في المنطقة فعلى ممتلكات بريطانيا في الهند و على تجارتها السلام ".

Curson MSS, Godley to Curson, 15 Mar. 1899

[126←]

.I.O) L / P&S /20 / C. 247 Russian Activities in P.G)

[127←]

.ibid

[128←]

.ibid

[129←]

وصل القنصل الروسي إلى بوشهر في صحبة اثنين من المسلمين الروس. و لم يكن لروسيا في هذا الوقت أي مواطنين أو رعايا في المنطقة, و كانت شركة هوتز Hotz الهولندية هي التي تقوم بتمثيل المصالح الاقتصادية

لشركة أوديسا في الخليج العربي, راجع: Issawi, Charles, op. cit. p. 351

[130←]

.I.0) L/ P&S / 20 / C. 247, Russian activities in P.G)

[131←]

.ibid

[132←]

Bush, B.C. op.cit. p.p. 246 – 248

[133←]

في عام 1902 زار أحد مدراء مصرف موسكو منطقة جنوب فارس ليتحرّى في امكانية الاستثمار الاقتصادي و لم تصل جهوده إلى شيء

Issawi, Charles, Op. cit. p. p. 351 – 352

[134←]

Curson MSS, Curson to Hamilton, Jan. 16, 1902

[135←]

.I.O) L / P&S / 20 / C. 247, Russian Activities in P.G)

[136←]

.ibid

[137←]

Issawi, Charles, Op. cit. p. 352

[138←]

I.O) L / P&S / 20 / C. 74,official statements of official policy with regard to (1))
proposed Baghdad railway and (2) Persia and the Persain Gulf Generally

[139←]

Same Statement

[140←]

Same Statement

[141←]

Same Statement

[142←]

Same Statement

[143←]

Curson MSS, Russia India and the Persian Gulf, by J.D. Rees, (London ,1903)p.p. 2-7

[144←]

, ibid. p. 21

[145←]

Lewis E ,. Op. cit. p. 153

[146←]

Dundas (Earl of Rolandshay), the life of lord Curson, Being the Autherized Biography of George Nathaniel Marquis Curson of kedleston K.G.,Vol. 2 (London June,1928) p. 313

[147←]

I.O) L / P&S / 18 / 166, M.R.B.I.P.G., 1908)

[148←]

Dundas (Earl of Rolandshay) op. cit. p.p. 314 – 315

[149←]

Dilks, David (2) op. cit. p. 62

[150←]

Graves ,Philip, the life of sir percy Cox. P.91

[151←]

Curson MSS, Curson to Brodrick, 17 Dec, 1903

[152←]

I.O) L/ P&S / 20 / C. 248 D, Visit of lord Curson to the pirate coust and the Darbar of) the Trucial chiefs at Shargah, Nov. 1903

[153←]

أنظر نص الخطبة في .(I.O) L / P&S / 7 / 195

المعاهدات البحارية فيما بين البهية البريطانية و مشايخ المتصالحين.

أنظر كذلك عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا و امارات الساحل العماني –دراسة في العلاقات التعاهدية (بغداد ,1978), الملاحق.

[154←]

Dilks, David, (2) op.cit. p.63

[155←]

Curson MSS, Curson to Brodrick, 17 Dec. 1903

[156←]

Lorimer,J.C. Gazzetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Vol.1 Historical, part 1 p.123

[157←]

كان كيرزن في رأي البعض يكره النصح و التوجيه. قال بلفور أن كيرزن" سيرفع الهند إلى مصاف دولة مستقلة لن تكون دائما صديقة لنا ". بدأت المشكلات الحادة بين كيرزن و حكومة لندن بخصوص اجراءات تخفيض الضرائب التي أراد كيرزن اعلانها في دربار دلهي في عام 1903م .أخذ كيرزن خلافه مع الحكومة إلى الصحافة البريطانية، و كان الرأي في لندن :"كنا نتمنى أن لا يتجه كيرزن إلى معسكر الصحافة .. ان هذا غير مشرف، و بالتأكيد ليس ضروريا.ان شكل كيرزن هنا يبدو و كأنه يسعى إلى الظهور. ربما يكون هذا هو ما يهدف إليه "

Young, Kenneth ,Arther James Balfour ,the Happy life of… p.p. 237 – 238

[158←]

بدأ الخلاف بين كيرزن و كتشنر، القائد العام للجيش في الهند، و انتهى بتقديم كيرزن استقالته التي قبلتها الحكومة البريطانية في أواخر أغسطس 1904, راجع : ibid., p.p. 240 –243

[159←]

I.O) L / P&S/ 20 / C. 239, A.K. cf also)

Bidwell (ed), (1) ,op. cit., Vol. I, To lord Hamilton, Simla Aug. 190

[160←]

Dundas (Earl of Roland shay) op. cit. p.p. 309 – 310

[161←]

I.O) L / P&S / 20 / C. 247, International Rivality in P.G)

[162←]

ibid

[163←]

Graves, Phlips, The life of Sir. Percy Cox p.p. 126 – 130

[164←]

Hurewitz, J.C.(ed) the Middle East and North Africa in world Politics ,A Documentary Record, Vol. 1, Europian Expansion 1535 – 1914. Doc

p.p.. 528 – 541 170

[165←]

ibid 538

[166←]

Smith, V., The Oxford History of India, 3 rd ed. (Oxford, 1958) p. 693

[167←]

جمال زكريا قاسم :الخليج العربي- دراسة لتاريخ الامارات العربية (1840-1914), ص 413

[168←]

كتب كيرزن بأن هذا الاتفاق قد قضى على كل شيء كنا نحارب من أجله منذ سنين.. ان هذا الأمر يجعل المرء يزهد في الحياة العامة .. لقد قضى هذا الاتفاق على مجهودات قرن بأكمله دون عائد.

Lenczowisky, George, Russia and the west in Iran, p. 43

[169←]

(I.O) same Series and Vol.. P.R. to minster Tehran, 14 Mar. 1912

[170←]

Lorimer ,J.G., The Gazetter of the Persian Gulf. part.,1. p.p. 34 -34

[171←]

I.O) L/ P&S / 18 / D. 225, C.I.D. Report Committee, 10 Mar. 1917)

[172←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 175, Arms Traffic in P.G., 10 Jun. 1910)

[173←]

Bush, B.C., Britain and the Perssia Gulf. 1894 – 1914 p.p.. 280 – 282

[174←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 175, Arms Traffic in P.G., 10 Jun. 1910)

[175←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 196 Arms Traffic in P.G. 20 Feb. 1913)

[176←]

.ibid

[177←]
جمال زكريا قاسم، الخليج العربي 1840 – 1914, ص 424 – 425

[178←]
Garaves, Philips, op. cit. p. 131

[179←]
Issawi, Charles, Economic History of the Middle East, p. 352

[180←]
في مقولة لصحفي ألماني : إذا عطس ألماني في الخليج خيل لبريطانيا أن أركان الامبراطورية قد تزلزلت. راجع:
صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي، ص 213

[181←]
Issawi, Charles, op. cit.. p. 353

[182←]
.Loc. Cit

[183←]
I.O) R / 15 / 5 / 64, P.A. Kuwait, to P.R. 3 Sept. 1907)

[184←]
I.O) Same Series &Vol. . P.A. Kuwait to P.R., 19 Apr. 1911)

[185←]
.Loc. Cit

[186←]
I.O) Same Series &Vol ., P.R. to F. Simla, No. 395, 30 Apr. 1911)

[187←]
I.O) Same Series &Vol., F. Samla to P.R., Bushire 25 May, 1911)

[188←]
I.O) Same Series & Vol.. P.A., Kuwait to P.R., 21 Jun., 1911)

[189←]
,I.O)Same Series &Vol. ,Extract from daily, agency Kuwait ending 25 may 1911)

[190←]
,I.O) Same Series &Vol ., Extract from daily, agency Kuwait ending 14 Jun 1911)

[191←]

I.O) Same Series &Vol. ,P.R ., to P.A. Kuwait 11 July. 1911)

[192←]

,I.O) Same Series &Vol. , P.A. Kuwait to P.R. 17 Aug., 1911)

[193←]

I.O) L-P&S / 10 / 56 / 2764., Gol to I.O., 12 Jul., 1906)

[194←]

I.O) Same Series &Vol., P.A.Kuwait to P.R., ist. feb. 1912)

[195←]

.I.O) Same Series &Vol., P.A. Kuwait to P.R. 10 Jun. 1912)

[196←]

.I.O) Same Series &Vol., P.A. Kuwait to P.R. 3 Jul. 1912)

[197←]

Morley ,MSS, Morley to Minto, 22 Nov. 1907

[198←]

P.R.O.) C.A.B. / 38 / 4 / 10 /, Gol. To I.O., 4 Feb. 1907)

[199←]

P.R.O.) C.A.B. / 38 / 4 / 25 /, Admirality Paper ., 3 Apr. 1904)

[200←]

I.O) L- P & S / 10 / 56 / 1904, Goi to I.O)

[201←]

I.O) L-P&S / 10 / 87 / 1905, Grierson to Sanderson, 27 Jun. 1905)

[202←]

P.R.O) F.O. 78/ 5449 ., Wo. to F.O. 6 May., 1904)

[203←]

P.R.O) Same series & Vol., Memo of 23 Jun., 1905)

[204←]

I.O) L – P&S / 5 / 2764, Gol to I.O ., 12 Jul., 1906)

[205←]

عن أعمال اللجنة أنظر :

P.R.O) CAB 37/87/36 The Report of the interdepartmental Committion, Bagdad Railway 26 may 1907

[206←]

Morley MSS, Minute to Morley, 18 June., 1907

[207←]

P.R.O) F.O. 371 / 148 / 1040 / 1934, Parker Memo, 6 Jun., 1906)

[208←]

I.O) L-P & S /10/56/2764, Gol to I.O. 12 Jul., 1906)

[209←]

.Kumar, R., India and the Persian Gulf Region p139

[210←]

Morley ,MSS, Morley to Minto, 15 Apr., 1909

[211←]

ينصّ البند الخامس في الاتفاق :" أنا الشيخ مبارك الصباح أصالة عن نفسي و نيابة عمن يرثني و يأتي بعدي أتعهد بأن لا أهدي أو أبيع أو أؤجر أي أرض في حدود الكويت أو من حولها لأية حكومة أجنبية بما في ذلك الحكومة العثمانية، و لاأعطي أي قطعة أرض لأي من اتباع أية دولة أجنبية إلا بعد الحصول على اذن سبق من حكومة الإمبراطورية البريطانية

انظر: Loc. cit.

[212←]

.I.O) L – P&S / 10 / 58 / 2764, Parker Memo)

[213←]

I.O) L – P&S – 3 /575 / 195 / 4252, Minute on F.O. to I.O. 23 Nov 1910)

[214←]

I.O) L – P&S – 10 / 300 / 191 / Minute on F.O. to I.O. 27 Dec. 1912)

[215←]

Bush, B.C., op. cit. p. 156

[216←]

P.R.O) F.O. 371 / 1712 / 167 : 27788., Hirtzel to Nickleson, 4 Jun. 1913)

[217←]
جمال زكريا قاسم : مرجع سبق ذكره, ص 435

[218←]
Bush, B.C., op. cit. ,p. 159

[219←]
Chirol ,Valentine, Fifty Years in Changing World (London, 1927) p. 167

[220←]
الأصل العربي في : (I.O) R / 15 / 5 / 59, No. 101)

[221←]
الأصل العربي في : (I.O) R / 15 / 5 / 59, No. 103)

[222←]
الأصل العربي في : (I.O) R / 15 / 5 / 59, No. 104)

[223←]
أنظر النصّ الإنكليزي : (I.O) L / P&S / 18/B. 425 Translation of a Lease by sheikh Mubark)
of Kuwait of Bunder shweikh Lands and the acceptance by P.A. 15 Oct. 1907

أما النصّ العربي فلم نطلع عليه : يقول نوكس و كيل الكويت أن النصّ العربي ارسل مباشرة إلى وزارة الخارجية البريطانية دون أن يمرّ بحكومة الهند و لا بسلطاتها.

I.O) L- P&S – 12/3739/30/25., from S.C., Knox, P.A. Kuwait to P.Z. Cox., P.R., 16)
Oct. 1916

[224←]
جزيرة على بعد 10 أميال جنوب العقير .

[225←]
I.O) L / P&S / 20 / C/ 189, Handbook Persain Gulf p. 53)

[226←]
I.O) L / P&S / 18 / B. 181 ., British Relations with Turkey in P.G. 1 Dec. 1910)

[227←]
الأصل العربي في : (I.O) R / 15 / 5 / 59, No. 89)

[228←]
جمال زكريا قاسم، مرجع سبق ذكره، ص 287

[229←]

(I.O) L / P&S / 20 / C. 189., Handbook Persian Gulf, P. 54)

[230←]

جمال زكريا قاسم, مرجع سبق ذكره، ص 287

[231←]

أنظر مثالا لحجج حكومة الهند المتكررة لحفظ الأمن في الخليج العربي و محاربة القرصنة، و ما يستوجبه هذا من استقطاب قطر في النظام التهادني في :

Bidwell, R., Foreign office confidential print: the Affairs of Arabia 1905-1906, Vol. 1., .Gol to Brodrick Dec. 8, 1904

[232←]

I.O) L- P&S – 10 / 162 / 1909 / 757, Grey to Lowther, 30 May ., 1909) (

[233←]

I.O) L- P&S / 18 / B. 181, British Relations with Turkey in P.G., 1 Dec. 1910)

[234←]

.I.O) L – P&S – 10 / 88 / 1911 / 4523, Gol to I.O)

[235←]

I.O) L – P&S – 10 / 162 / 1910 / 1716 , Minute on I.O. to F.O., 23 Nov. 1910)

[236←]

I.O) Same Series &Vol. ,Head clerk in charge in the absence of P.A. Kuwait, to first) , assist.P R., 22 Jun .,1912

[237←]

.I.O) L / P&S / 18 / B. 181., British relation with Turkey in P.G)

[238←]

.I.O) L / P&S / 18 / B., 181, Loc. Cit)

[239←]

Bush, B.C., op.cit. p. 322

[240←]

Chirol, Vallintine, op. cit. p.p. 170 – 171

[241←]

P.R.O) F.O. 371 / 1484, Djavid Bey to Parker 22 mar. 1912)

[242←]

انظر النصّ في : (I.O) R / 5 / 15 / 59, No. 100)

[243←]

Bush, B.C.. op. cit., p.p. 329 / 330

[244←]

أنظر تأثيرها في : (I.O) L – P&S – 11 /18P. 261 / 2164 / 1912)

[245←]

Bush, B.C. op. cit. p. 330

[246←]

أنظر نص الإتفاق في : Hurewitz J.C., op. cit. Doc, 178 p.p. 567 – 570

[247←]

.Same Doc

[248←]

.Same Doc

[249←]

) التيارات السياسية في الخليج العربي، ص 205

[250←]

Kumar ,R, India and the Persian Gulf, p. 201

[251←]

Loc. Cit

[252←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 200 Memo by Parker of B. policy of non intervention in the)
.Affairs of Nejd

[253←]

Kumar, R., op. cit. p.. 203

[254←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 200 Memo by Parker of B. policy of non intervention in the)
Affairs of Nejd

[255←]

يرى مقيم بوشهر، بناء على رأي الشيخ مبارك، أن ابن سعود حين أعلن خبر زيارته للساحل العماني يقصد بذلك " إبتزاز" المال من شيوخه ليبعدوه عن أرضهم. و تشير هذه الوثيقة إلى بداية سوء العلاقات بين ابن سعود و مبارك " لأن" علاقات مبارك أخذت تسير في هذه الأيام نحو التحسن في الوقت الذي وصلت علاقة ابن سعود بهم إلى نقطة اللاعودة. و لهذا نجد أن ابن سعود لم يعد يتبع نصيحة مبارك في علاقاته بالباب العالي " أنظر:

Bidwell, R.,(ed) Foreign Office Confidentied Print, the Affairs of Arabia, 1905 – 1906 Vol. II Cox to Gol, Bushire, Feb 23, 1906

[256←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 437 ,H.M.R.W.S.A.B.G., 1800 – 1834)

[257←]

جاء من ذلك أن " هذا الرسول الكهل أصيب بخيبة أمل من رد كوكس و انهى له – أنه قاصد بوشهر للعلاج – و وصل في هذا التاريخ إلى بوشهر ثلاثة من النجديين تابعت المقيمية تحركاتهم بدقّة. أرسل هؤلاء الأشخاص برقية ولاء مكتوبة بحروف لاتينية و مذيّله باسم قاسم آل ثاني، حاكم قطر. جاء من البرقية " أن عبد العزيز بن رشيد ذبح الاتقياء، و نهب ممتلكاتهم، و قتل ابناءهم و أحدث فوضى ضربت باطنابها في الأرض. فهو قد شجع غارات البدو الذين نهبوا الطرقات و سدّوا الدروب التي يطرقها رعايا الحكومة العثمانية. و لما بلغت الأمور هذا الحد من السوء تقدم رجال الدين الذين ابتلوا بهذا الوباء المسلط على المسلمين إلى ابن سعود ليخلصهم منه. و هبّ ابن سعود منتظما في صفوف العلماء و طرد الجناة و الماكرين. و أقام ابن سعود بفضل حسن سيرته و شخصيته المرموقة وورعه الديني و جليل خدماته لخليفة الله على العالمين, الأمن في الأرض. ان ابن سعود ملتزم بتقديم خدماته للحكومة العليّة التي يمتثل امرها، و هو حارس الطرق كما يشهد بهذا كافة الخلق. لقد تقدم ابن سعود لكم مرارا يسألكم القبول ويذكر أنه خادمكم المطيع, ليس هو بانفصالي و لا ثائر... راجع:

Bidwell, R. (ed) (II) op. cit. Transtation of a tel. in Romanizad Arabic to H.M. the Sultan ,Const. From Bushire by a rep. of I. Saud and Sk. Qassim I. Tani on 18 Feb. 1906

[258←]

Kumar, R. op. cit. p. 208

[259←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 437, H.M.R.W.S.A.B.G., 1800 – 1834)

[260←]

P.R.O.) F.O./371/1820: 2915, Shakespear to Cox, May. 15, 1913)(

[261←]

P.R.O.) F.O/ 371/1820: 22067: 25377, Gol to Crewe, May. 1913)

[262←]

I.O) L / P&S / 10: 2297 / 1919 / 3126 / 1913, Pol. Diary for P.R. for may. 1913)

[263←]

P.R.O.) F.O. / 371 / 1820 /: 22067: 23972, minute by A.P., 20 MAY., 1913)

[264←]

.I.O) L / P&S / 18 / B. 437, H.M.R.W.S.A.B.G., 1800 – 1834)

[265←]

P.R.O) F.O. 371/ 1820:22076:29150, F.O. to I.O., July, 2, 1913)

[266←]

P.R.O) F.O. 371/ 1820:22076:31971 ,Cox to Gol, 11, July, 1913)

[267←]

P.R.O) F.O. 371/ 1820:22076:37510, Minute by L.M. ,11 Aug., 1914)

[268←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 437, H.M.R.W.S.A.B.G., 1800 – 1834)

[269←]

P.R.O) F.O. 371/ 1820:22076:37510 ,Gol to Crewi ,Aug. 10, 1913)

[270←]

P.R.O) F.O. 371 / 1820: 22076: 43979, Hakki to Parker, 24 Sept. 1913)

[271←]

I.O) L- P&S – 10 / 2182: 1913: 3010: 1914.. Minute by A.H. ,Mar. 16, 1914)

[272←]

Same Series & Vol. PT 2, Minute by A.H. 2 Apr., 1914

[273←]

P.R.O) F.O. 371 / 2124:1990: 26063. Gol, Grey to P.R. May., 6, 1914)

[274←]

.P.R.O) F.O. 371 / 2124: 1990: 26063. P.R. to Gol., 30 June 1914)

[275←]

.I.O) L – P&S / 10 / 2182 / 1913, PT 6)

[276←]

.I.O) L – P&S / 10 / 2182 / 1913, PT 6, Memo. for Storrs regarding affair of B. Saud)

[277←]

لنص الاتفاق أنظر: (P.R.O) F.O. 371 / 2769, Translation of a treaty Between B.Saud and the Turks dated 4 15 Rajab, May 1914

[278←]

I.O) R / 15 / 6 / 36., From the Chief Pol. Officer in charge, Iraqu station to director)
.Arab Bureau, Cairo, 12 Jan. 1917

[279←]

P.R.O) F.O. 371 / 2124: 1990: 22042, Minute by E.G., May., 18, 1914)

[280←]

P.R.O) F.O. 371 / 2124: 1990: 22677, Mallet to Grey, 15 May., 1914)

[281←]

P.R.O) F.O. 371 / 2124: 1990: 22405, Crewe o Vic, 5, June., 1914)

[282←]

.I.O) R/ 15 / 36. Chief Pol. Officer Iraq to Arab Bureau Cairo)

[283←]

P.R.O) F.O. 371 / 2479: 1385, Commander of G. staff to W.O., June, 19, 1915)

[284←]

.I.O) R/ 15 / 6 / 36, Chief pol. Officer Iraq to Arab Bureau Cairo)

[285←]

P.R.O) F.O. 371 / 122470: 1385, Vic to I.O. June, 1915)

[286←]

I.O) L- P&S / 10 / 2182 / 1918, PT, 1., Memo on Communication to B.Saud)
.Commitments, Nov., 16

[287←]

انظر صورة النصّين في: (I.O) L- P&S / 10 / 2182 / 1918, PT, 1.

[288←]

"المعاهدة بين الدولة الفخيمة الانجليزية و سعادة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعودي.

أنظر نص الاتفاق المؤرخ 18 صفر 1334 الموافق 26 ديسمبر 1915 المعتمدة في 18 يوليو بصورتها النهائية في:

.I.O) L- P&S / 10 / 2182 / 1918 P.T. 2. Cf also)

I.O) L- P&S :12/ 3739 / 30 / 25, Treaties and agreemants bet). B. Govt. and certain)
Arab Rulers, (Calcutta, 1926

[289←]

.I.O) R/ 15 / 6 / 36, Chief Pol. Officer Iraq to Arab Beareau. Cairo)

[290←]

I.O) L- P&S / 18 / 18/ 210, External Situation of Indian Conquest)

[291←]

جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص 317 – 321.

[292←]

.I.O) L- P&S / 10 / 410 / 771, I.O to Adm. 2 sept., 1914)

[293←]

I.O) L- P&S /10/300/2352, Memo of ist., July., 1915)

[294←]

I.O) L – P&S / 10/300/2881, Gol, to I.O., 17 July, 1914)

[295←]

I.O) L – P&S / 10/462/3683, Hardinge to Knox, 21 Aug., 1914)

[296←]

I.O) L – P&S: 11/35/P.4102 – 4200 / 1912., Memo prep. In Nov. 1916)

[297←]

I.O) L- P&S /10/462/3683, Cox to Harding, tel., 20 Aug. 1914)

[298←]

جمال زكريا قاسم:الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية، 1914-1945, ص 7.

[299←]

Hardinge MSS, Crewe to Hardinge tel. 2 oct., 1914

[300←]

.Hardinge MSS, Hardinge to Crewe, 5 oct., 1914

[301←]

Hardinge MSS, Duff to Hardinge, 6 oct. 1914

[302←]

Loc., cit

[303←]

Craves, Philips, the life of Sir Percy Cox., p. 122

[304←]

Marlowe, J, the Persian Gulf in the Twentieth Century p. 254

[305←]

حول هذا الموضوع راجع: Sykes, Sir Percy), History of Persia(2) p.p. 442 – ff.

[306←]

I.O) L / P&S / 18/B. 213. Notes and Private Tel. from Vic. Regarding the Future se)
.ttlement of Eastern Turkey in Asia and Arabia, 14 Mar. 1914

[307←]

.Loc., cit

[308←]

(عقد الاتفاق بين الهند و الادريسي في عسير في 30 ابريل 1915 و اعتمده نائب الملك للهند في 6 نوفمبر 1915.
و قد قام المقيم السياسي في عدن بعقد هذا الاتفاق كاجراء تحوطي لحصر الامام يحي الذي كان متعاطفا مع العثمانتيين. و يمكننا اعتبار اتفاق عسير اتفاق تحالف و ليس تعهدا إذ لم ينص على تنازل الادريسي عن سيادته الخارجية أو الداخلية. و لعل في هذا الاتفاق المعقود بين منطقة في البحر الأحمر و حكومة الهند صدى لذكرى فترة ما قبل قنال السويس حيث كان مجال الهند السياسي يمتد إلى هنالك.

راجع: J.C. Hurewitz (2) (ed), op. cit. p.12

[309←]

....I.O) L- P&S /18 / B. 213., Notes and Private tel)

[310←]

Philby, H.St J., Arabia of the Whabis (Yorkshie, 1977) p.p. 54 – 56

[311←]

ibid., p.59

[312←]

Hurewitz, J.C.(ed) (2) op. cit. p. 179

[313←]

جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية، 1914 – 1945، ص 11

[314←]

I.O) L- P&S / 18 / B. 210. External situation of Indian conquest, 15 June 1915)

[315←]

.Loc., cit

[316←]

جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، 1914 – 1945، ص 12

[317←]

I.O) L – P&S / 18/ 210. External Situation)

[318←]

.I.O) R/15/2/68., P.A. Bahrain, 1 Aug. 1916)

[319←]

أنظر: عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: حكومة الهند البريطانية و الادارة في الخليج العربي – دراسة وثائقية (دار المريخ للنشر، الرياض 1981) ص 269 – 271.

[320←]

I.O) R/15/2/68, Note on the Newly forned Eastern Bereau and the Functions of the)
Basrah Branch. 11, Aug., 1916

[321←]

.Loc., cit

[322←]

I.O) L – P&S / 18 / 210., External Situation)

[323←]

لنص الاتفاق راجع:

(Holden, Farewell to Arabia (London, 19

[324←]

I.O) L – P&S / 18 / B. 429, Treaty deted 3 Nov. 1916 & ratified on march 23,1918)
Between H.M.G., and Sk Abdulla B. Cassim of Alkatar

[325←]

P.R.O) F.O. 78 / 2322, Laschells to Lansdowne, 8 May, 1903)

[326←]

I.O) L- P&S: 10/463/1914/4717, Hirtzel Memo, 14 Mar., 1915)

[327←]

I.O) L- P&S /18/B. 213 ,Notes and Private tel. from Vic. Regarding the future)
.settements of Eastren Turkey in Asia and Arabia

[328←]

.Regarding the future settements of Eastren Turkey in Asia and Arabia

بدأت فعلا ارهاصات الحاق العراق بالهند في هذه الفترة حيث تقدّمت طائفة من "وجهاء "البصرة بمذكرة موقعة بأسمائهم يطلبون فيها الحاق العراق بالهند. و تضمّ مذكرات سليمان فيضي صورة هذه المذكرة. كذلك قدّم بعض " وجهاء" الحلة طلبا إلى بريطانيا بأن يُعيّن السير بيرسي كوكس ملكا على العراق.

راجع

"عشرة آلاف ليلية و ليلة –مذكرات سندرسن باشا طبيب العائلة المالكة في العراق " آفاق عربية، العدد الخامس، كانون الثاني، 1977.

[329←]

I.O) L- P&S / 18 / B. 213 Notes on Private tel. from Vic)

[330←]

ibid

[331←]

ibid

[332←]

.op.cit.,pp.49-50

[333←]

P.R.O) F.O. 371/13070 : 02760, From Vic, to SSI, 23 Jul. 1928)

[334←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 414, Air Comunication in P.G., 23 Aug., 1928)

[335←]

.Loc., cit

[336←]

.Same Memo

[337←]

ساءت العلاقات النجدية العراقية في أواخرعام 1927م و ذلك حين قامت الحكومة العراقية ببناء بعض المخافر في البادية خاصة مخفر بصية التي عدّته حكومة نجد خرقا للمادة الثالثة من ملحق العقير الأول التي تمنع بناء

التحصينات على أطراف الحدود. هاجم الاخوان هذا المخفر في 5 نوفمبر 1927 و قتلوا من فيه و هدموه، راجع: صادق حسن السوداني العلاقات العراقية السعودية 1920 – 1931، ص 254 – 262

[338←]

I.O) L- P&S / 18 / B. 414, Air Communication)

[339←]

I.O) L- P&S / 18 / B. 414, Relations bet. H.M. Govt. & Sk. of koweit, 11 oct. 1933)

[340←]

I.O) LP&S/18/B414., Air Communcation)

[341←]

من أواخر التقارير التي نعرفها و التي تتحدث صراحة عن أن أمن الهند يرتكز على الخليج العربي ما كتبه نائب الهند في 24 يوليو 1928. جاء من هذا الخطاب " أن الاحتفاظ بالتفوق في الخليج لا يزال أمرا ضروريا لأمن الهند و للحفاظ على المصالح الامبريالية. إن الاحتفاظ بالتفوق البريطاني يشمل بصورة محددة إبعاد القوى الأجنبية كلها من أن يكون لأي منها قاعدة اسطولية في مياه الخليج بما في ذلك مياه خليج عمان. و يشمل أيضا كما، هو واضح، إبعاد كل قاعدة أجنبية للطيران الحربي، ليس من الخليج فحسب لكن من كافة المناطق التي يمكن أن يصل مدى الطيران الحربي منها إلى الخليج. و يشمل هذا الجانب كذلك المحافظة على" الوضع الراهن" في الخليج (محمياتنا و صداقتنا مع ابن سعود و علاقاتنا الخاصة بالعراق) و الاحتفاظ ما أمكن " بالوضع الراهن" على الجانب الفارسي مع تصفية امتيازاتنا في هذا الجانب تصفية لا تخلّ بالكرامة،

راجع : (P.R.O) F.O. 371 / 13070, Vic. To SSI, 24 July., 1928

[342←]

P.R.O) F.O. 371 / 17815, South Eastern Arabian Boundries, by Walton, I.O. to Randl)
Fo. 26 Sept., 1934

[343←]

I.O) R: 16/6/177/6135., I.O. to F.O. 12, sept., 1938)

[344←]

راجع: (I.O) L – P&S / 18 / B. 441., Air Noavigation for Civil Air Craft for the territory
of Kewait.

[345←]

.I.O) R : 15 / 6 / 177 / 6135, F.O. to I.O., 15 Dec ., 1938)

[346←]

I.O) R:15/177/6: 35, F.O. to I.O. 3 Sept., 1938)

[347←]

عن اتفاقيات الطيران المدني في مسقط, راجع :

I.O) L – P&S : 12/3937/30/196. P.R. to Gol., 24 Mar. 1947)

[348←]

I.O) R: 15 / 6/ 177 / 6 : 35 F.O. to I.O., 3 Sept., 1938)

[349←]

Young, Kenneth, Arther James Palfour, the Happy life of the Politation, Prime Minster, Statesman & Philosopher., p.p.. 168 – 172

[350←]

Rappe, R. Israel and Iran :Their development, interrelationship & effect on the Indian Ocean (Uni. Microfilm international, Michigan, 1976) p. 267

[351←]

Klepanoff, S, Oil for Europe : American Foreign Policy & M. East Oil (Uni Microfilm Inter, Michigan 1976) p. 10

[352←]

ibid. p.p. 11 - 14

[353←]

Magnus, Ralph (ed) Documents on the Middle East,(U.S. Interest in the Middle East Series, Washington, July, 1969 (p.p. 38 – 40 -20 (I.O) L/ P&S / 10 – 2249 – 1915 – 1918 – 12 – 7380 -, Curson to Davis, Nov. 1919

[354←]

Magnus, Ralph (ed) Documents on the Middle East., p. 40

[355←]

Hoskins, Halford, L, The Middle East, Problem Area in world Politics (N.Y. 1957) p. 202

[356←]

Rappa, R ,. op. cit. p. 162

[357←]

أخطر أرنولد ويلسون وزارة الخارجية بلندن عن تدفق الزيت ببرقية استعمل فيها "شفرة" من الكتاب المقدس :

البرقية : See Psalm 104, Verse 15, third sentence and Psalm 114, Verse 8, second sentence

و تجري المزامير المشار إلبها على النحو التالي على التوالي :

That..he may bring forth oil to make him a cheerful countence ,oil to make his face to"
" shine""who turned the stone flint into springing well

Anderson J.R.L., East of Suez ,A Study of Britains Greatest Enterprise (London,1969) p.36-37

[358←]
I.O) L / P&S / 10-22 – 195 – 1918 – 1 – 996, F.O Memo, 14 mar., 1918)

[359←]
Marlow, John, The Persian Gulf, in the twentieth Century (London,1962) p.p. 92 – 93

[360←]
Longrig ,Stephen Hemsley, oil in the Middle East, Discovery and Development (London, 1968). p. 79

[361←]
Klepanoff, S., op. cit., p. 19

[362←]
جمال زكريا قاسم : الخليج العربي، في تاريخ الامارات العربية ,1840-1914, ص 278 .

[363←]
جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية 1914 – 1945، ص 450

[364←]
.Klepanoff, S., op., cit., p. 20

[365←]
Longerig Stephen Hemsley, op. cit., p. p.. 107 – 111

[366←]
جمال زكريا قاسم : الخليج العربي, دراسة لتاريخ الامارات العربية، 1914-1945، ص 479 .

[367←]
لقاءات مع الزعماء العرب، ج 2، 1967، ترجمة وزارة الارشاد القومي، الهيئة العامة للإستعلامات، القاهرة، ص 307 .

[368←]
نفس المرجع السابق، ص 309 .

[369←]

للملك عبد العزيز، حسب الوثائق البريطانية، مجلسان أحدهما عام يحضره من يشاء من المواطنين و الآخر خاص مقصور على خمسة عشر شخصا ثمانية أو تسعة منهم من السوريين، راجع

I.O) L / P&S / 12 – 79 P. Z. 24668 – 1933, Hope Gill to Randel, Jedda, 30 Aug., 1930)

[370←]

I.O) L / P&S / 10 – 1273, Memo by Sagger ,frontier officer, 4 Apr., 1938)

[371←]

عن هذه الاساليب انظر : (I.O) L/P&S/12-3924-30-186,Sheet 2 Persian Gulf oil

في هذا الملف نجد خطابا من وكيل الكويت بتاريخ 12 يوليو 1947 يؤكد أن اتصالات الشيخ بالشركة، يجب أن تكون عن طريق الوكيل البريطاني، إلى السير" أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت:بمناسبة محادثتنا في يوم الثلاثاء الموافق 10يوليو 1947 فيما يخص استثمار النفط في خليج الكويت،أرجو أن تتكرموا بارسال رسالة إلى شركة نفط الكويت عن طريقي تسير على النحو التالي :... " أما عن سير المفاوضات مع الشركة و علاقة الشركة بالشيخ فهنالك في ارشيف وزارة الهند 16 ملفا متسلسلة تبدأ R/15/5/336 و تنتهي R/15/5/251 و تحتوي هذه الملفات كذلك أخبارا متفرقة عن المنطقة المحايدة. أما الملفات التي تتحدث عن المنطقة المحايدة و الاستثمار فيها فهي ثمانية تبدأ R/15/5/252 بتسلسل حتى R/15/5/259

[372←]

Lenczowski ,George, Oil and State in the Middle East (N.Y., 1960) p. 19

[373←]

.I.O) L / P&S / 18 / B. 450 P.G. oil)

[374←]

راجع النصّ في : (I.O) L / P&S / 18/B. 432. A,Koweit oil, commercial agreement bet. the koweit oil CO. and the Ahmed AL Gabir, SK. of Koweit, dated 23 Dec., 1934

[375←]

I.O) L/P&S/18/427, Relations of H.M. Govt. with SK. of Koweit, 11 oct. 1933)

[376←]

I.O) L / P&S / 18 / B. 450, P.G. oil)

[377←]

راجع: (P.R.O.) CO 727, 4 from Under- Sec. I.O. to Vic. ., 7 Feb., 1922

جاء في الخطاب توجيها لنائب الملك لينتهز أول فرصة للحصول على تعهدات من الشيوخ المتصالحين على نمط تعهدات شيخى البحرين و الكويت .عن صورة تعهد البحرين و الكويت راجع الملف نفسه.

Draft agreement between SKH. Isa B. Ali, Bahrain,&SKH. Hamd (?Sic.) B.Gabir of ,Koweit

[378←]

راجع: (I.O) L/ P&S/18/B.445, Agreement of 17 May 1935, bet Anglo Persian(Qatar) oil concessions ….. etc مع عبد الله آل ثاني

[379←]

راجع : (I.O) L / P&S / 18/B.469, Abu Dhabi oil concessions

راجع كذلك :(I.O) L / P&S / 18/B. 457 Shrjah oil concessions & connected Document

مع سلطان بن صقر في 17 سبتمبر 1937

راجع كذلك : (I.O) L / P&S / 18/B. 458 Dubai oil concessions & connected Document

مع سعيد بن مكتوم الحشر 22 مايو 1937

[380←]

I.O) L / P&S / 18/B.465, Sultanah of Muscat & Oman, 1937)

[381←]

I.O) L/ P&S / 12 / 3963 Pol. Ext. 30 – 219, Affairs of Quarter)

[382←]

Klepanoff, S, op. cit. p. 35

[383←]

ibid ., p. 149

[384←]

درج البعض على ترجمة lend lease إلى الاعارة و التأجير. فإذا كانت كلمة Lend تعني الاعارة أو القرض فإن كلمة Lease لها معاني عدّة. و نجد أن كلمة (هبة)أقرب إلى طبيعة هذا البرنامج من كلمة تأجير، راجع :

Webster Third New International Dictionary (un Abriviated) (Massachusetts, 1971) p.1273

يُعرِّف هذا القاموس الLend lease بأنه قانون صادر في عام 1941م ينصّ على ارسال السلع و تقديم الخدمات لأي حليف يساعد على تحقيق هدف مشترك (كسب حرب مثلا) و يكون عائد هذا هو تقديم خدمات أو اعادة السلع نفسها مرّة أخرى و الكلمات Lend Lease وحدة واحدة حين الاستعمال فيقال مثلا :

.They have rturned most of the naval rafts Lend Leased them during the war

[385←]

Klepanoff, S, op. cit., p.48

[386←]

.ibid., p. 63

[387←]

Marlow, John, op. cit ., p. 132

[388←]

عن خط التابلاين و الآراء البريطانية راجع الملف :1 – 217 – L/ P&S / 12-3961 لاحظ أن وزارة الهند ممثلة في كل الاجتماعات و المراسلات الخاصة بالخط لكنها لم تقم بدور يذكر

[389←]

I.O) R / 15 / 6 / 147, P.A. Muscat to P.R., 11 April., 1915)

[390←]

.Loc., cit

[391←]

Zwemer, S.M.,Arabia ,The Cradle of Islam. Studies in the Geography ,people and politics of the peninsula with an Account of Islam and mission work pp.. 236- 237

[392←]

P.R.O.) F.O. 371 / 3481, Memo by Healhcote Smith, F.O., Sept. 1918)

[393←]

I.O) L/ P&S / 12-3865-30-131, Clarence F. Hay to C.O. 3 June., 1936)

[394←]

I.O) L /P&S / 12-360-1680-1940, American Charge d'affairs to F.O. 26 Feb ,1940)

[395←]

I.O) L/ P&S / 12-3945-30-205, Embassy of U.S.A. London to F.O. 27 Dec., 1940)

[396←]

في 24 مارس 1940 زار بول كنابنشورH.A.P.Knabenshure الوزير الأمريكي في بغداد، البحرين. و لعله أول دبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية يزور البحرين. و في يوم 26 مارس أخذ الوكيل السياسي الضيف الأمريكي إلى الشيخ :راجع :

I.O) L / P&S / 12-3767-30-52, Intel. Summary of P.A.,Bahrin for the Period 16 -13) mar.. 1940

[397←]

I.O) L / P&S / 12-3945-30-205, From SKH., of Bahrain to P.A. Bahrain 13 Safar 1360) H

[398←]

I.O) L / P&S / 12-3945-30-205., F.O. to I.O. ., 11 Mar. 1941)

[399←]

I.O) L/ P&S / 12-3933-30-193, F.O.to I.O. ,Enc. In 15 Nov. 1941)

[400←]

كانت اعداد الأمريكيين في البحرين منذ 1/1/1934 و في 1/1 من الاعوام التالية حتى 1943 كما يلي :

20,24,49,146,128,91,67,55,34,32, و يلاحظ أن تزايد عدد الأمريكيين بدأ في 1/10/1936 حيث قفز إلى مائة وواحد وعشرين شخصا ثم أخذ في الانخفاض بعد اتمام تشييد مصفاة النفط راجع :

I.O) L/P&S/12-3956-30-2-3, P.A.Bahrain to P.R. Bushire, 21 Apr., 1944)

[401←]

I.O) L / P&S / 12 – 3956 – 30 – 2 – 3 ,P.A Bahrain to P.R. 21 Apr., 1944)

[402←]

I.O) L/P&S/ 12-4626- No.47-3 Observations of Wallac Murray regarding the Middle) . East. 11 – 28 Apr 1944

[403←]

نجد أنه أصبح للولايات المتحدة اعتبارا من هذه السنة(1944م) اهتماما كبيرا بتطوير التجارة و تطوير صناعة النفط في الخليج. و في خطاب للضابط البريطاني الأعلى للأسطول في الخليج بتاريخ 29 سبتمبر 1944 جاء فيه أنه كان يعتقد أن اهتمام ضباط أسطول الولايات المتحدة الأمريكية ينحصر في النفط و صناعاته لكنه فوجئ بأنهم يعملون من أجل تطوير التجارة الأمريكية و هذا أمر قنصلي و ليس عسكري. و نقل هذا الضابط عن الوكيل السياسي في البحرين أن اعداد ضباط الأسطول الأمريكي في البحرين في تزايد مستمر، و ان العدد أكبر من أن يقارن بالاهتمامات الأسطولية للولايات المتحدة في الخليج العربي. و يلاحظ القائد البريطاني لأسطول الخليج بأنه: " يوجد حاليا في البصرة ملاحظ اسطول أمريكي, و له مساعدان و حارس, و في خورمشهر ضابط اسطولي و حارسان. و في عبدان مراقب مواد أمريكي، و في البحرين ضابط و حارسان, و هؤلاء كلهم من ضباط الاستخبارات الأسطولية في الولايات المتحدة الأمريكية مدربين على اعمال الجاسوسية تدريبا جيدا". راجع :

I.O) L / P&S / 12-3945-30-205, S.N.O. to C. in chief ,Eastern Fleet 27 Sept., 1944)

[404←]

I.O) L / P&S / 12 – 4626-No.47-3. Observations of Mr.Wallace Murray Regarding the) Middle East, 11 -28 Apr. 1944

[405←]

IO) L/P&S / 12-1580-16-65, Eden to Lord Moyne, minster of state Resident, Cairo,) - 18 Apr., 1944

[406←]

Same Memo

[407←]

.Same Memo

[408←]

I.O) L/ P&S / 12-2956, P.A. Bahrain to P.R. 2 Nov., 1944)

[409←]

أجاب الوكيل السياسي في البحرين على القنصل في رسالة بتاريخ 20 اكتوبر 1944 جاء فيها انه قد صرح للبحرين في هذه السنة جلب 400 طن من واردات أمريكا الشمالية و ذلك حتى نهاية اكتوبر. و سيصرح للبحرين بجلب 50 طنا اخرى بعد اكتوبر لتصبح كوتة أمريكا 450 طنا .و شرح المقيم الطريقة المتبعة لتراخيص الاستيراد في البحرين .تتلخص هذه الطريقة في تقديم التجار المحليين طلبات لاستيراد كميات البضائع التي يرغبون في جلبها. فيفحصها الوكيل السياسي ليقرر عما اذا كان استيرادها ممكنا أم لا. و يكتب الوكيل السياسي بقراره إلى المقيم و ذلك في حالة موافقته على الاستيراد. و يقوم المقيم بعدئذ لطلب حجز اماكن لهذه السلع في السفن، و ترسل الاوراق جميعها إلى حكومة الهند التي تُصدق عليها ثم تبعثها إلى لجنة الشراء الهندية .I.P.M الذين يتصلون بالممثلين المحليين للشركات. و ابلغ المقيم البريطاني القنصل الامريكي بانه ترد إلى وكيل البحرين السياسي طلبات استيراد كثيرة يقوم بفحصها مع مدير الجمارك ليتأكد ان السلع المطلوبة لازمة للبحرين، و انها للاستهلاك المحلي و ليست لاعادة التصدير، و ان مقدم الطلب سبق له التعامل في استيراد تلك السلعة. ثم يشرح للوكيل البريطاني لنائب القنصل الأمريكي سبب منع استيراد السجائر الامريكية فيذكر أن التاجر علي رضا طلب في 17اكتوبر استيراد 12مليون سيجارة من الولايات المتحدة الامريكية. و لما كانت السجائر الامريكية في السوق تفي بالاستهلاك المحلي، و لما لم يكن علي رضا من المتعاملين مع الولايات المتحدة الامريكية في هذه السلعةفقد رفض طلبه : انظر :

I.O) L / P&S / 12-3956, P.A. Bahrain to American Vice Council, Dehran ,29 Oct. 1944)

[410←]

I.O) L/ P&S / 12-3956 – 2 – 3 ,Office of P.R.Bahrain to Gol, 22 Nov. 1944)

[411←]

I.O) L / P&S / 12-3956-2-3, P.R. to SSI, 5 Dec. 1944)

[412←]

.I.O) L / P&S / 12 – 3953 – 30 – 2 – 3, SSI. To P.R., 10 Jan. 1944)

[413←]

I.O) L/P&S/ 12-3956-30-2-3, F.O to U.S. Embassy, 3 July., 1945)

[414←]

I.O) L /P&S / 12 – 3956- 30 -2-3, SSI. To Gol, 27 Mar., 1945)

[415←]

I.O) L / P&S / 12-3965-30-2-3., GoI to SSI, 5 May, 1945)

[416←]

I.O) L/ P&S / 12-3956-30-2-3, P.R. to P.A., Bahrain, 2 Mar., 1945)

[417←]

I.O) L/P&S/ 12 – 3956 – 30 – 2 – 3, P.A. Muscat to P.R., 7 May., 1946)

[418←]

I.O) R / 15 -2- 757, P.A. Bahrain to P.R., 31 July., 1944)

[419←]

I.O) R/15-2 – 757 – Britich agent, Sharjah to P.A. Bahrain, 2 Aug. 1944)

[420←]

I.O) R/ 15 / 2-757, P.A. Bahrain, to P.R, 12 Aug., 1944)

[421←]

I.O) R / 15 – 2- 757, British agent, Sharjah, 28, Nov. 1943)

[422←]

I.O) L / P&S / 12-3967 No. 30-233, P.R. to P.A. Muscat)

[423←]

I.O) R/15-2-757, P.A. Bahrain to P.R. Feb., 1984)

[424←]

I.O) R /15- 2-757. P.A. Bahrain to Hewitt, 13 Mar. 1944)

[425←]

I.O) L/P&S/ 12-906 Ext 1078 -44 GoI to SSI, 8 Mar., 1944)

[426←]

I.O) L/P&S/ 12- 906 Ext 1078 -44, F.O. to Bagdad 18 Mar., 1944)

[427←]

I.O) L /P&S / 1 – 906 Ext. 1078 – 44. Bagdad to F.O., 21 Mar., 1944)

[428←]

I.O) L / P&S / 12 – 906 Ext. 1078- 44, Bagdad to F.O., 28 Apr. 1944)

[429←]

I.O) L / P&S / 12- 906 Ext. 1078 – 44, P.A. Muscat., 28 Mar. 1944)

[430←]

I.O) L/P&S/12-3956-30-2-3, Report on evisit to Kuwait from 13 to 16 May of Mr.) , .Sutton, American vice council of Basrah

[431←]

I.O) L/P&S/12-3956-30-2-3, P.G.Residency to Rexandum .17 Jan., 1946)

[432←]

I.O) L/P&S/12-3956-30-2-3, P.R. to I.O, 6 Sept. 1944)

[433←]

.I.O) L/ P&S / 12-3956-30-2-3, A note to Harrison)

[434←]

(.I.O) L / P&S / 12 – 3956 -30 -2 -3, Minute by W.R. Hay (N.D)

[435←]

.I.O) L/P&S/ 12-3956-30-2-3,P.R. to Rexandum, 8 Aug. 1947)

[436←]

I.O) L/P&S/12-3956-30-2-3, F.O to I.O., 24 Nov., 1947)

[437←]

.I.O) L/P&S/ 12-3956 – 30 – 140, P.R. to SSI, 17 May., 1947)

[438←]

Hurewitz ,J.C. Diplemacy in the Near and the Miidddle East & Documentary Record :1914 – 1956, Vol .II, P. 177

[439←]

I.O) L/ P&S / 12-3717 – 30 – 7, Segrare to Shuckburgh, 7 May., 1928)

[440←]

I.O) L / P&S / 12-3717 – 30 – 7, Proposed Soveit Steamship Service 11 June., 1928)

[441←]

.I.O) L/P&S/ 12-3717-30-7, P.R. &Conslate general Bushiren 21 June 1928)

[442←]

I.O) L/ P&S / 12 -3717 – 30 – 7, F.O. to I.O, 16 Aug., 1928)

[443←]

تعرّضت توبلسك لسوء الاحوال الجوية و هي تشقّ طريقها من المحمرة إلى عدن. و حين رجعت السفينة إلى مسقط في 18 اغسطس لم يكن لديها الفحم الذي ستواصل به رحلتها فطلب قائدها إلى الوكيل السياسي في مسقط أن يمده بأربعمائة طن فحما. أعطى ثلاثمائة طنا فقط فحم بعد موافقة الضابط الاعلى لقوات الخليج. راجع :

I.O) L / P&S / 12 – 3717 – 30 – 7, P.R. to Gol, 14 Sept., 1928)

[444←]

I.O) L/P&S/ 12 – 3717 – 30 – 7, From Rexandum to pub. Sec. Minstry of interior) Cairo, 15 June ., 1929

[445←]

I.O) L/P&S/ 12-3717-30 -7, Extract from Economic Report 10 Oct. 1928)

[446←]

.I.O) L/P&S/ 12-3717-30-7, Extract from Intel. Summary 3 Nov. 1928)

[447←]

أصدر شيخ البحرين بيانا في سبتمبر 1929 يشجب فيه التعامل التجاري مع روسيا "الشيوعية الملحدة ", كما اصدر بيانا آخر في أواخر هذا العام يحرم فيه على السفن السوفيتية دخول موانيه أو التعامل معها أو استقبال المسافرين الذين يأتون عليها، أنظر : (I.O) R / 15-1-37, Russain activities in P.G.

[448←]

I.O) L / P&S / 12-3717 – 30 – 7, Minute by Walton, 7.2.29)

[449←]

I.O) L/P&S/ 12-3717-30-7, Minute by Walton 18. 4. 29)

[450←]

I.O) L / P&S / 12-3717-30-7, B. Iegation, Tehran, 17 Apr.1930)

[451←]

I.O) L/P&S/ 12 -3717 -30 7, Kowait 6 Dec., 1932)

[452←]

.I.O) R/ 15 – 6 -161 – 6 – 23, Cons. Muscat, 21 Apr., 1933)

[453←]

I.O) R / 15 – 6 – 161 – 6 – 23 P.R. Bushire, 10 June, 1933)

[454←]

I.O) L / P&S / 12 – 3797 – 30 – 80, Economic Conditions in P.G. ., 1934)

[455←]

يعتقد بيج Page بأن الشيوعيين حاولوا الظهور كأصدقاء للأمم المستضعفة و ذلك اعتبارا من عام 1920 م زو حين ذوت آمال البولشفيك في ثورة البروليتاريا الأوروبية ركّزوا اهتمامهم بالشرق. ركز لينين في كلمته أمام المؤتمر الشيوعى العالمي الثاني على أن على الشيوعية العالمية أن تتضافر و تتضامن مع الحركات الثورية في المستعمرات و في الدول المتخلفة. كما وجه مؤتمر شعوب الشرق في باكو في سبتمبر 1920 اهتمامه بطريقة مباشرة لمسلمي الشرق الادنى و الأوسط حيث نادى زنوفيف Zinoviev بالجهاد المقدس ضدّ الامبراطورية البريطانية، و أشار إلى مكانة الجهاد من العبادات الاسلامية فهو كالحج، فيما يعتقد. و لهذا اتجه السوفييت إلى الجزيرة العربية يحكمهم هدف واحد و هو ازعاج الامبراطورية البريطانية, فأسسوا في اغسطس 1924 علاقات دبلوماسية مع الشريف حسين في الحجاز و جعلوا مبعوثهم إليه من مسلمى الاتحاد السوفيتي. و اشادت صحيفة نوفي فستك Novy Vostok بسياسة ابن سعود و حركة الاخوان النجديين و رأت فيها منهاج عمل سياسي اجتماعي يلفت النظر بصورة غير طبيعية, و رأ ى الاتحاد السوفيتي في سياسة عبد العزيز بن سعود ضربة جادة لمحاولات بريطانيا لخلق دولة عربية تابعة لها سياسيا. و يستعرض بيج بعد هذا علاقة السوفييت بعبد العزيزبن سعود و بيحي امام اليمن. و يرد بيج انسحاب السوفييت من السياسة النشطة في شبه الجزيرة العربية في منتصف الثلاثينات إلى أنهم صاروا منذ ذلك الوقت ينشدون التعاون مع إنكلترى ضدّ ألمانيا و ايطاليا، و كان لزاما عليهم عدم اتباع خط متشدد مع الامبرالية البريطانية. راجع :

Page Stephen, The U.S.S.R. and Arabia the Developments of the Soveit politicies and attitudes towards the countries of Arabian peninsula, (London, May. 1971) p. 13-17

[456←]

مصطفى عبد القادر النجار : دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر, القاهرة 1978, ص 89 – 90

[457←]

I.O) R/15 – 2 -68., P.A. Bahrain to Eastern Bearue Branch, 11 Oct., 1916)

[458←]

I.O) L /P&S/ 12 – 3797 – 30 -80, P.A. Kuwait to P.R., 5 Feb., 1931)

[459←]

I.O) L / P&S / 12- 3797 -30- 80, P.A., Muscat to P.R., 7 Apr. 1931)

[460←]

I.O) L / P&S / 12-3785 – 30 – 68 ,From Osha Shosm Ksisha Co. to port office Kuwait) 27 July ., 1933

[461←]

I.O)L / P&S / 12-3785-30-68-,B. Conslate Basrah 23 Oct., 1931)

[462←]

ترد سلطات الخليج السياسية هذا الازدهار إلى رخص أسعار البضائع اليابانية، و هي " سلع رديئة جدا حتى صارت مضرب الامثال ." و تروي وثائق مخابرات البحرين أن امرأة جاءت إلى المستشفى و هي تشكو ألما

في صدرها فقالت أن صدرها ياباني Japani وفي هذا – كما نرى – سوء فهم من الجاسوس المعني و لعله غير عربي هذ يبدو ان الكلمة (تعباني) أي تتعبني, أنظر (I.O) L/P&S/12-3785-30-68, Extract from Dialy 18 Feb. 1934.

[463←]

هنا : Joyeshida Maru, Sewn Maru أنظر :

I.O) L / P&S / 12 – 3785 – 30 – 68, Memo D.Conslate Basrah, 23 Oct., 1933)

هي شركة : Yoshohafa shinohara & Twnejikaneko

[464←]

.I.O) L / P&S / 12 – 3785 – 30 – 68, Loc. Cit)

[465←]

I.O) L / P&S / 12-3785-30-68., Extract from Kuwait News 1 – 31 Mar., 1934)

[466←]

I.O) L / P&S / 12-3785-30-68, P.A. Bahrain to P.R. 29 Apr., 1934)

[467←]

I.O) L / P&S / 12-3785-30-68, P.R. to SSI. 7 May. 1934)

[468←]

I.O) L/P&S/ 12-3785-30-68, P.R. to SS(Foreign affairs dept. overseas trade) 7 May) 1934

[469←]

I.O) L / P&S / 12-3785-30-68, Extract from Muscat intel Summary No. 14 Nov., 1937)

[470←]

.I.O) L / P&S / 12-3785-30-68, P.R. to External affairs, N. Delhi, 8 Jan)

[471←]

.I.O) L / P&S / 12-3785-30-68, Extact from air force Miltary intel., Iraq)

[472←]

في 8 ديسمبر 1957 حصلت شركة البترول اليابانية على امتياز من المملكة العربية السعودية للتنقيب عن البترول في مياه المنطقة المحايدة. و في يوليو 1958 حصلت على امتياز من الكويت عن بقية المنطقة. و في فبراير 1958 تشكلت شركة الزيت العربية في طوكيو. لمعلومات أوفى راجع :

.Stocking ,G.W.,Middle East oil (Vend erbitt Uni. Press U.S.A. 19) P.P

Hartshorn J.E. Politics and World Economy (N.Y. 1962) P. 287

Longing, S.H. Oil in the Middle East ,its discovery and development (N.Y. 1968) P.310-312

Hamilton C.W. Americans and oil in the Middle East (Texas, 1962) p.p. 262-266

[473←]

I.O) L/P&S/12-3797-30-80, Translation of a letter Residency Agent, Sharjha, 6) Apr.1931

[474←]

I.O) L/P&S/12-3790-30-73, P.R. to SSI, 11 Oct. 1936)

[475←]

I.O) L/P&S/12-3790-30-73, P.A. Bahrain to P.R., 21 Apr. 1937)

[476←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 73, F.O. to I.O., 7 May., 1937)

[477←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 73, Extract from The Times)

[478←]

بلغ عدد السفن الألمانية التي وصلت البحرين في هذه السنة ثلاثين سفينة، راجع :

.I.O) L /P&S /12 – 3716 – 30 -6, Bahrain Trade Reports)

[479←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 73, P.A. Bahrain to P.R., 13 Dec. 1938)

[480←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 73, P.R. to Peel. 29 Mar. 1939)

[481←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 73, P.R. to SSI, 27 Mar. 1939)

[482←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 80, Economic conditions in P.G. Oct. 1934)

[483←]

I.O) L /P&S /12 – 3790 – 30 – 73, Inauguration of regular service to P.G by IIoyd) . triestion Co. 24 Jan. 1934

[484←]

من أطرف هذه الشائعات ما جاء بشأن تعامل سفن الأسطول البريطاني مع الغواصات الإيطالية. تقول هذه الإشاعة التي رُوِّجت في سوق البحرين أن السفن البريطانية التي تعمل في خدمة الأهداف الحربية مزودة بقاع من زجاج يُمكّنها من رؤية الغواصات الإيطالية القابعة تحت الماء، و انها زُودت، بقوابض طويلة من الحديد ترسلها في أثر الغواصة الإيطالية و تلتقطها إلى خارج الماء حالا حيث يتم تدميرها. راجع :

I.O) L /P&S /12 -3767-52, Intel summary for P.A. Bahrain, 15 Jun. 15 Jul., 1940)

[485←]

I.O) L /P&S /12 -3874-30-140.,Intel Report 15 Jan. 1935)

[486←]

I.O) L /P&S /12 -3874-30-140.,P.R. to SSI., 28 Mar., 1937)

[487←]

راجع الملف : (I.O) L /P&S /12 -3716-30-6, Bahrain Trade Reports

[488←]

I.O) R / 15-2-796., P.R. to P.A. Bahrain 15 Nov., 1945)

[489←]

I.O) R / 15 -2-799., S.N.O. P.G. to Navy Office Colombo, Repeated Bushire, 15)
Aug.,1949

[490←]

راجع مثلا: Kelly, J.B. Eastera Arabian Frontiers (London, 1964) passim:

Memorial of the government of Saudi Arabia, Arbiteration for the settlement of the territorial Dispute Between Muscat and Abu Dhabi on one side and the Saudi (Arabia on the other side (N.P.,1374 H, 1955

شركة الزيت الأمريكية (ادارة العلاقات، شعبة البحث) عمان و الساحل الجنوبي للخليج الفارسي، القاهرة، 1952
صادق حسن : العلاقات العراقية السعودية، 1920-1931، بغداد 1976

[491←]

عن مسائل تخطيط الحدود بين العراق و فارس و مسألة شط العرب عموما : راجع الملف :

,I.O) External Collection, 30 File 86, part 1 : Persia Relations with Iraq)

عن التطور التاريخي لمسألة شط العرب راجع : مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب، البصرة، 1974

. و عن الحدود بين نجد و الكويت، راجع : Dickson ,K.R.P. Kuwait and her Neighbours (London, 1956) p.p. 267 – 279

[492←]

P.R.O) C.O. 271/10, Vol.1, Arabia P.R. to Sec, to Gol 30 May, 1925)

[493←]

يقول هذا التقرير : " أن الشيخ خزعل قاد ثورة ضدّ رضا شاه و كان واثقا من أن حكومة جلالته سوف لن تسمح بأن يهتز موقفه كحاكم شبه مستقل, لكنه أخطأ التقدير فانتهت سلطته كحاكم. لقد طعن هذا الشيخ في السن و اعتلّت صحته، و لن يستطيع أن يحصل على وضعه السابق مرّة أخرى "

I.O) L/P&S/ 18-428, Status of Basidu, 18 Oct ., 1933)

[494←]

.I.O) L/ P&S / 18-166, Lansdowne to Anthropoulus Pasha, Sep. 11, 1901)

[495←]

عن حقوق السيادة العمانية على باسيدو, راجع :

[496←]

I.O) L /P&S /18-3863-No.30-129, Ownership of Farsi. Arabi, Harqus, P.R to SSI. ,21) Apr.1936

[497←]

I.O) L /P&S /12 -3863-No.30 -129, F.O. to Walton, 17 Aug. 1936)

[498←]

I.O) L /P&S /12 -3863- No.30-129, A Memo, From Beckette 29. Sept. 1936)

[499←]

.I.O) L /P&S /12 -3863-No. 30-129, Minute 13. 10)

[500←]

I.O) L /P&S /12 – 3863 –No.30- 129, F.O. to I.O. 16 Oct., 1936)

[501←]

I.O) L /P&S /12 -3863-No. 30-129,Status of certain Groups of islands in P.G Memo B.) 309, P. 4632 – 8

[502←]

,.Same Memo

[503←]

P.R.O.) F.O. 371 – 20773, P.R. to Fowle)

[504←]

….I.O) L/ P&S / 12-3863-No. 30-129, Status of certain Groups)

[505←]

.I.O) L/P&S/ 12-3863-No. 30-129, Miltary Branch admirality 29 Apr. 1937 to I.O)

[506←]

P.R.O.) F.O. 371 – 20773- E 7330, Copy sent to seal, 26 Mar. 1939)

[507←]

I.O) L / P&S / 12-3863 – No. 30-129, Mitary Branch admirality)

[508←]

تمّ هذا في زيارة قام بها المدعو كمب kempt سكرتير شركة نفط الكويت أو المدعو وايلي Wylie إلى وزارة الهند في هذا التاريخ, أنظر :

I.O) L / P&S / 12 – 3863 – No. 30- 129, Minute 23 – 2 – 38)

[509←]

.I.O) L / P&S / 12 – 3863 – No. 30- 129, Miltary Branch)

[510←]

حول هذا الموضوع راجع : جمال زكريا قاسم, الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي, أصول المشكلة و تطورها, بحث مستخرج من المجلة المصرية للدراسات التاريخية, المجلد العشرون, القاهرة، 1973

[511←]

حول هذا الموضوع راجع : (P.R.O.) F.O. 371 – 13010. Status of island Tambn Abu Musa&Siri

.P.R.O.) F.O. 371 – 13070 Passim)

P.R.O.) F.O. 371-13009 Persian Seizure of Debai Dhow)

P.R.O.) F.O. 371- 13723, From I.O. to Treasury)

P.R.O.) F.O. 371- 13070, F.O. to R. clive 7 Nov., 1928)

P.R.O.) F.O. 371- 18911, Bahrain intel Report No. 3, 1935)

- جمال زكريا قاسم : الخليج العربي، دراسة لتاريخه المعاصر، 1945-1971، القاهرة، 1974، ص 214 – 215

- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم : التوسع الاقليمي لإيران في امارات الساحل العماني, البصرة، مركز دراسات الخليج 1978، السلسلة الخاصة، رقم 6، كله.

- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم :" معاهدة 1892 في ساحل عمان و انعكاساتها على مسائل الحدود في المنطقة", مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد الخامس 1401، ص 186 – 205